الإدارة المركزية للشئون الفنية للمجالس
ولجان قطاعات التعليم الجامعي والعلاقات الثقافية
الإدارة العامة للشئون الفنية للمجالس

السيد الأستاذ الدكتور/

رئيس الجامعة

تحية طيبة وبعد،

أتشرف بالإفادة أن المجلس الأعلى للجامعات اعتمد بجلسته المنعقدة بتاريخ ٢٠٢٣/٣/٢٥ مقرر القضايا المجتمعية في آخر صورة له، مع مراعاة أنه يحق لكل مجلس جامعة أن يُفَعِل آليات مشاركة طلاب الجامعات المصرية في اية مبادرات مجتمعية، مع تعميم المقرر على الجامعات (مرفق).

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام،

أمين المجلس الأعلى للجامعات

(أ.د/ مصطفى رفعت)

رانا حمدي
تحريراً في ٢٠٢٣/٣/٢٨

Supreme Council of universities -Cairo university campus
Website : www.scu.eun.eg
E-Mail: scu.sec2012@gmail.com

المجلس الأعلى للجامعات - الكائن في حرم جامعة القاهرة – الجيزة
التليفون : ٠٢/ ٢٦٤٦٠٧٥٣
الفاكس : ٠٢/ ٩١٤٦٠٧٥٣

المجلس الأعلى للجامعات المصرية

دليل مقرر

القضايا المجتمعية

تحرير

أ.د/ السيد محمد دعدور

رئيس جامعة دمياط

لجنة إعداد المقرر:

- السيد أ.د/ السيد محمد دعدور	رئيس جامعة دمياط	رئيساً
- السيد أ.د/ منصور حسن أحمد	رئيس جامعة بني سويف	عضواً
- السيد أ.د/ عبد العزيز قنصوه	رئيس جامعة الإسكندرية	عضواً

تمهيد:

تختص الجامعات ببناء الإنسان بما يحقق أهداف المجتمع فتتضمن المادة (١) من قانون تنظيم الجامعات أن "تختص الجامعات بكل ما يتعلق بالتعليم الجامعى والبحث العلمى الذى تقوم به كلياتها ومعاهدها فى سبيل خدمة المجتمع والارتقاء به حضاريا ..... وتعتبر الجامعات بذلك معقلا للفكر الإنسانى فى أرفع مستوياته ومصدرا لاستثمار وتنمية أهم ثروات المجتمع وأغلاها وهى الثروة البشرية .....".

كما أن المجتمع يتطلب من الجامعات .....تزويد البلاد بالمتخصصين والفنيين والخبراء فى مختلف المجالات وإعداد الإنسان المزود بأصول المعرفة وطرائق البحث المتقدمة ....." وإعداد الإنسان المزود "..... بالقيم الرفيعة ..... وتهتم الجامعات كذلك "ببعث الحضارة العربية والتراث التاريخى للشعب المصرى وتقاليده الأصيلة ومراعاة المستوى الرفيع للتربية الدينية والخلقية و الوطنية .....".

ومن هذا المنطلق تلعب المناهج التى تدرس بالجامعات دورا فاعلا فى تلبية حاجات المجتمع واستقر خبراء التربية على أن المناهج تبنى على أسس فلسفية ومعرفية واجتماعية ونفسية تستهدف جميعها نقل الفكر الإنسانى وموروثه الثقافى من الجيل الأكبر إلى الجيل الأصغر للحفاظ على الحضارة الإنسانية وتطوير جودة الحياة، وفى سبيل ذلك تستهدف المناهج الجامعية بناء الإنسان من ثلاثة جوانب:

١. الجانب المعرفى: ويتضمن ذلك تعليم الطلاب المعارف المختلفة والمعلومات والحقائق العلمية وتدريبهم على مستويات متعددة من مهارات التعامل مع المعلومة ومنها الحفظ والإستدعاء والتذكر والفهم والتحليل والتركيب والتقويم وإصدار الأحكام وانتقال أثر التدريب فى المواقف المشابهة وتعويض النواقص المعلوماتية، وما شابه ذلك.
٢. الجانب الوجدانى: ويشتمل ذلك على تهذيب الوجد والارتقاء بالمشاعر وضبط الانفعالات وما يتطلبه ذلك من تدريب الطلاب على بناء تقدير الذات وخفض مستوى القلق وزيادة الدافعية للإنجاز وتكوين الاتجاهات الإيجابية وتعزيز مشاعر التعاطف والتسامى بأخلاقيات العلم، وتعزيز مفاهيم الولاء والانتماء وما يشابه ذلك وصولا لتنمية منظومة القيم عند الطلاب.
٣. الجانب المهارى الحركى: ويتعلق ذلك بالتدريبات والممارسات الحركية التى تعتمد على التعلم بالحركة، ويتضمن ذلك مستويات مختلفة من الممارسات العملية والتدريبات

الملموسة بداية من الأبسط وحتى الأعقد بغية التمهن، فتبدأ مثلا من كيفية عد النقود فى المصرف البنكى بالنسبة لطلاب كلية التجارة أو تتعقد على سبيل المثال لتصل للإمساك بالمشرط الجراحى واستخدامه فى العمليات الجراحية أو ما يزيد عن ذلك.

وفى ضوء كل ما سبق أقر المجلس الأعلى للجامعات تعميم تدريس مقرر بمسمى "قضايا مجتمعية" كمتطلب جامعى على النحو التالى:

أهداف المقرر:

يستهدف هذا المقرر ما يلى:

١. رفع درجة وعى الطالب الجامعى بمجموعة من القضايا المجتمعية الملحة.
٢. تكوين عادات سلوكية إيجابية.
٣. تعزيز مفهوم المشاركة المجتمعية عند الشباب.
٤. تثقيف الشباب بالأخطار التى تحيط بالمجتمع المحلى والإقليمى والعالمى.
٥. ربط الجانب الأكاديمى الذى يدرسه الطلاب بمتطلبات واحتياجات مجتمعية.
٦. تنمية الجوانب الوجدانية عند الطلاب.
٧. تطوير المحتوى العلمى لمقررات المتطلبات الجامعية.
٨. تدريب الطلاب على التعلم الذاتى الذى ينمى القدرة على التعلم مدى الحياة.
٩. دعم بناء منظومة القيم عند الطلاب.

المحتوى العلمى:

يتكون هذا المقرر من بابين الباب الأول اجباري ويحتوي على أربعة فصول على النحو التالى:

الفصل الأول: المشكلات المترتبة على الزيادة السكانية وأثرها على الصحة الإنجابية.

الفصل الثانى: حقوق الإنسان.

الفصل الثالث: الشفافية ومكافحة الفساد.

الفصل الرابع: سماحة الأديان وآداب الحوار مع الآخر.

والباب الثاني اختياري ويتكون من فصلين:

الفصل الخامس: التربية الإعلامية الرقمية.

الفصل السادس: يحدده مجلس الجامعة.

وتتراوح الفصول بين عشرة صفحات إلى خمسين صفحة بحسب المحتوى العلمي لكل فصل ويراعى كل فصل ما يلى:

١. عرض المفاهيم الأساسية والرئيسة بشكل مباشر.
٢. إعطاء أمثلة توضيحية.
٣. مراعاة أن الطالب سيتعلم ذاتيا دون معلم نظرا لاستحالة قيام ست أساتذة بتدريس مقرر المتطلب الجامعى.
٤. تسلسل المحتوى بشكل منطقى، ويحدد التعليمات المطلوب من الطالب.
٥. يتبع كل فصل عدد من العبارات وعلى الطالب بعد أن يقرأ محتوى الفصل أن يحدد صحة أو خطأ كل منها.
٦. يتبع الاسئلة مفتاح إجابة، نظرا لأن المستهدف ليس الحفظ والتذكر ولكن رفع مستوى الوعى وتكوين عادات سلوكية إيجابية تنعكس على الممارسات الحياتية.
٧. يتم تقديم المحتوى إلكترونيا من خلال الموقع الرسمى للجامعة على شبكة المعلومات وكتطبيق على الهواتف الذكية ويمكن تحميله منها.
٨. يتم تصميم المقرر إلكترونيا بشكل يسمح بأن يعرف الطالب الدرجة التى يحصل عليها فى كل مرة يجيب فيها على الأسئلة.

طريقة التدريس:

يقوم هذا المقرر على التعلم الذاتى للأسباب التالية:

١. تشجيع طلاب الجامعات على التعلم الذاتى.
٢. التغلب على صعوبة اختلاف الموضوعات واستحالة إشراك ستة متخصصين فى تدريس المقرر.
٣. الطلاب فى سن يسمح لهم الاعتماد على الذات فى التعلم.
٤. تدريب الطلاب على أكثر من طريقة للتعلم.
٥. إعداد الطالب للتعلم مدى الحياة.

و المطلوب من كل طالب ما يلى:

١. قراءة الفصل بدقة وروية.
٢. الإجابة على أسئلة الفصل بشكل كامل، وعلى الطالب أن يقرأ كل مفردة بعناية ثم الإجابة ويحدد صحة أو خطأ ما ورد بالعبارة.

٣. على الطالب أن يتحقق من صحة إجابته فى ضوء مفتاح الإجابة.
٤. على الطالب أن يتابع درجته التى ترد إلكترونيا فى ضوء عدد الإجابات الصحيحة.
٥. على الطالب أن يكرر الإجابة على الأسئلة من آن لآخر حتى يتحصل على الدرجة النهائية لثلاث مرات متتالية.
٦. يكرر الطالب ذلك مع كل فصل.

الأنشطة المصاحبة:

يتضمن كل فصل جزءا نظريا كما ذكر وصفه من قبل كما يتضمن أيضا أنشطة تعتبر بمثابة تدريب عملى فى ضوء القواعد التالية:

١. يخدم النشاط الميدانى العملى متطلبات المجتمع وحاجاته الملحة.
٢. على الطالب أن يختار النشاط الذى سيقوم به من بين عدة بدائل تعرضها إدارة الكلية.
٣. يراعى عند اختيار النشاط العملى مجال التخصص لكل طالب.
٤. تعرض كل كلية الأنشطة التى سيختار منها الطالب وترسم الضوابط والقواعد اللازمة لتنفيذها ولتقويمها وينبغى أن يكون ذلك بمعرفة الكلية فقط ومن خلال خطتها المعتمدة.
٥. يمكن أن تكون هذه الأنشطة مجموعة من الزيارات الميدانية لمشروعات قومية، أو التدريب على مهارة معينة من خلال دورات، أو حضور حزمة من الندوات، أو محو أمية عدد من الأميين، أو الاشتراك فى قوافل طبية، أو المساهمة فى الإشراف على مشروعات إنشائية، أو التنسيق الحضارى، أو تزيين الميادين أو الجامعة ذاتها، أو حل مشكلات صيانة أجهزة، أو تنظيم المرور، أو الاشتراك فى الاستبيانات التى تقوم بها مؤسسات الدولة الإحصائية، أو المساهمة فى تنظيم المرور، أو الاشتراك فى مهام رفع المساحة أو الإشتراك فى الأرشفة الإلكترونية، أو ما شابه ذلك من أنشطة.
٦. ينبغى أن يختار الطالب من الأنشطة التى تعلن عنها كليته وليس أية كلية أخرى.
٧. لا يعترف بالأنشطة المماثلة التى يقوم بها الطالب بشكل فردى دون تكليف من كليته.
٨. ينبغى أن يتم ذلك تحت إشراف تام من الكلية.

التقويم:

بالنسبة لتقويم الجزء النظرى:

- ينبغى أن يكون من إجمالى بنود الأسئلة التى ترد بعد كل فصل، بمعنى آخر يلتزم واضع الاختبار بأن تكون مفردات الاختبار مختارة من متوسط الـــ ٣٠٠ سؤال التى تلى الفصول الستة عقب كل فصل.
- على الطلاب التى تجيب على الاختبار أن تحدد صحة أو خطأ كل عبارة ترد بالاختبار.
- تخصص ٥٠% من درجات تقويم الطلاب فى المقرر للاختبار النظرى.

بالنسبة لتقويم الجزء العملى:

- إجمالى الدرجات المخصصة لتقويم الجزء العملى الميدانى تمثل ٥٠% من إجمالى درجات تقويم الطلاب فى المقرر.
- تشكل الكليات لجان للإشراف على أداء الطلاب فى أثناء التدريب العملى الميدانى وتقويم أدائهم طوال فترة التدريب.

قواعد عامة:

- يراعى المقرر الاتجاهات الحديثة فى بناء الإنسان فى القضايا المختلفة التى يتداولها.
- يجب أن تتضمن فصوله متطلبات المجتمع التثقيفية والتنويرية.
- يسمح بالحذف أو الإضافة لتلك الفصول فى ضوء ما يستجد من متطلبات المجتمع.
- يتكون المحتوى العلمى من بابين الباب الأول يتكون من أربعة فصول أساسية بحسب ما أقره المجلس الأعلى للجامعات وهى: (١) المشكلات المترتبة على الزيادة السكانية وأثرها على الصحة الإنجابية.(٢) حقوق الإنسان. (٣) الشفافية ومكافحة الفساد، (٤) سماحة الأديان وآداب الحوار مع الآخر، والباب الثاني اختياري ويتكون من فصلين وهم:(٥) التربية الإعلامية الرقمية. (٦) فصل يحدده مجلس الجامعة.
- يجوز للمجلس الأعلى للجامعات أن يستبدل أحد هذه القضايا بقضية أكثر إلحاحا بحسب متطلبات المجتمع على أن يكون ذلك قبل بدء العام الدراسى بوقت كاف.
- يترك لكل جامعة اعتماد توصيف المقرر سنويا قبل بدء العام الدراسى على أن يشتمل على أربعة قضايا يقرها المجلس الأعلى للجامعات وتختار الجامعة قضيتين آخرين لتستكمل بهم الفصول

الست، من بين موضوعات مجتمعية أخرى مثل التربية الإعلامية الرقمية، تعزيز الانتماء، أخطار الأمية، ريادة الأعمال، إعداد القادة، وغيرها من القضايا الملحة بحسب رؤية مجلس الجامعة.

- يكون كل فصل في حدود من عشر صفحات إلى خمسين صفحة وينبغى ألا تزيد فصوله عن ستة، وذلك لتحقيق الهدف تزامنا مع مراعاة سعة الانتباه عند الطلاب لقضايا هامة تتعلق ببناء منظومة القيم.
- يراعى أن الهدف الرئيس للمقرر بناء شخصية الإنسان وتكوين عادات إيجابية وليس حفظ وتذكر مجموعة من المفاهيم.
- ينبغى أن يشتمل المقرر على جزء عملى ميدانى إضافة للفصول النظرية الستة يشارك فيه الطالب فى خدمات مجتمعية مثل المشاركة فى مشروع محو الأمية أو المشاركة فى قوافل أو حملات طبية أو زراعية أو حضور حزمة من الندوات فى الأمن القومى أو زيارة المواقع والمشروعات أو غيرها من التكليفات العملية التى تنظمها الجامعة وتنطبق عليها نفس قواعد التدريب الميدانى العملى.
- يفضل أن يختار الطالب أحد الأنشطة العملية الميدانية السابقة من بين بدائل بحسب التخصص العلمى.
- يخضع الجزء النظرى لهذا المقرر للتقويم الإلكترونى ويخصص نصف الدرجة الكلية للتقويم النظرى والنصف الآخر للتدريب الميدانى العملى.
- تحدد مجالس الكليات الفرقة التى سيتم فيها تدريس مقرر القضايا المجتمعية.
- تشكل بالكليات لجان للإشراف على الجزء العملى الميدانى، وأداء الطلاب فى هذا الجزء تحت إشراف عميد الكلية.
- تصرف مكافأة للجان المشرفة على أداء الطلاب فى الجزء العملى الميدانى، وذلك فى ضوء القواعد المحددة للمكافآت بقانون تنظيم الجامعات.

الباب الأول

الفصول الإجبارية :

١- **الفصل الأول:** المشكلات المترتبة على الزيادة السكانية وآثرها على الصحة الإنجابية.

٢-**الفصل الثاني:** حقوق الإنسان.

٣-**الفصل الثالث:** الشفافية ومكافحة الفساد.

٤-**الفصل الرابع:** سماحة الأديان وآداب الحوار مع الآخر.

الفصل الأول:

المشكلات المترتبة على الزيادة السكانية وأثرها على الصحة الإنجابية

تأليف

أ.د/ هشام حسن مخلوف

أستاذ الاحصاء السكاني المتفرغ

بكلية الدراسات والبحوث السكانية

جامعة القاهرة

الفصل الأول:

المشكلات المترتبة على الزيادة السكانية وأثرها على الصحة الإنجابية

أولاً: المشكلات المترتبة على الزيادة السكانية:

يعتبر النمو السكاني السريع الذى تميزت به كثير من الدول النامية منذ بداية النصف الثاني من القرن الماضي ظاهرة غير عادية فى تاريخ البشرية، حيث إن التقدم الطبي الذي حققته الدول المتقدمة خلال فترات طويلة نسبيا فى مجالات تشخيص وعلاج الأمراض واكتشاف التطعيمات والمضادات الحيوية، أدى إلى محاصرة كثير من الأوبئة والأمراض المعدية وإلى تحسين الظروف الصحية بتلك الدول بصفة عامة، وأمكن نقله مباشرة إلى الدول النامية، نظرا للتقدم السريع الذى شهده العالم فى مجال النقل والمواصلات والاتصالات، وقد أدى ذلك بدوره إلى انخفاض مستوى الوفيات فى هذه الدول انخفاضا سريعا ومفاجئا، دون أن يقابله انخفاض مماثل فى مستوى المواليد، مثلما حدث سابقا فى الدول الصناعية المتقدمة، وقد ترتب على ذلك ما نشاهده اليوم من زيادة سكانية مرتفعة، وضغط متزايد على الموارد الاقتصادية المحدودة نسبيا فى مثل هذه الدول، الأمر الذي يعرقل كل جهودها فى سبيل التنمية الاجتماعية والاقتصادية، وأصبحت هذه الدول تعاني مما يعرف بالمشكلة السكانية وتداعياتها.

المشكلة السكانية في أي دولة تنشأ فى أغلب الأحيان عندما تعجز الزيادة في معدلات التنمية الاقتصادية والاجتماعية عن ملاحقة الزيادة في معدلات النمو السكاني مما يؤدي إلى زيادة معدلات الفقر في المجتمع، كما أنها ترتبط ارتباطا وثيقا بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المختلفة السائدة، كما أنها تؤثر بصورة مباشرة على جهود المجتمع فى مجال التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

ومصر تقع فى مصاف الدول التى عانت – ولا زالت – من آثار المشكلة السكانية، حيث لا زالت تمثل هذه المشكلة تحدياً كبيرا للجهود المستمرة فى التنمية وبناء المجتمع التى تقوم بها الدولة، ولذا فإن مواجهة المشكلة السكانية تقع فى مقدمة أولويات واهتمامات القيادة السياسية والقيادات التنفيذية المسئولة فى مصر.

١ أبعاد المشكلة السكانية في مصر:

من تتبع الاتجاهات السكانية في مصر خلال العقود القليلة الماضية، وما واكبها من سياسات سكانية للدولة في محاولة للسيطرة عليها، أمكن بلورة المشكلة السكانية في ثلاثة أبعاد رئيسية ... متداخلة ومترابطة وهي:

المشكلة السكانية : مشكلة أمن قومي وأخطر من مشكلة الإرهاب.

رئيس الجمهورية

١- النمو السكاني السريع.
٢- التوزيع الجغرافي غير المتوازن للسكان.
٣- الانخفاض في مستوي الخصائص السكانية.

وذلك كما يلي :

١-١ البعد الأول : النمو السكاني السريع:

أظهرت نتائج التعدادات التي أجريت في مصر، أن عدد السكان في أواخر القرن التاسع عشر قد بلغ حوالي ٩،٦ مليون نسمة، ثم تضاعف هذا العدد تقريبا خلال نحو خمسين عاما، حيث وصل في عام ١٩٤٧ إلي حوالي ١٩ مليون نسمة، ثم تضاعف مرة أخري خلال تسعة وعشرين عاما فقط، حيث بلغ عام ١٩٧٦ حوالي ٣٧ مليون نسمة. هذا وطبقا لنتائج تعداد السكان لعام ٢٠١٧، بلغ عدد السكان المصريين بالداخل ٩٤،٨ مليون، وهو ما يزيد عن تسعة أضعاف عدد السكان عند بداية القرن العشرين، أي في غضون ما يزيد قليلا علي مائة عام وذلك ما يوضحه الجدول رقم (١) والشكل رقم (١) :

شكل رقم (١)
عدد سكان مصر

أ- تطور عدد السكان المصريين (١٩٩٦ - ٢٠١٧):

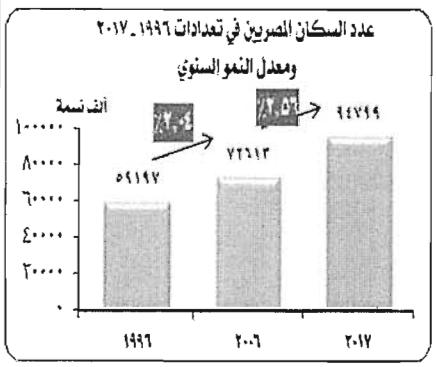

جدول رقم (١)
عدد سكان مصر ومعدلات التغير السكاني حسب تاريخ التعداد

سنة التعداد	عدد السكان بالمليون	التغير بين التعدادات %
١٨٩٧	٩,٧	ـــــ
١٩٠٧	١١,١	١٥,٧
١٩١٧	١٢,٧	١٣,٧
١٩٢٧	١٤,٢	١١,٥
١٩٣٧	١٥,٩	١٢,٣
١٩٤٧	١٩,٠	١٩,١
١٩٦٠	٢٦,١	٣٧,٥
١٩٦٦	٣٠,١	١٥,٣
١٩٧٦	٣٦,٦	٢١,٨
١٩٨٦	٤٨,٢	٣١,٧
١٩٩٦	٥٩,٣	٢٢,٩
٢٠٠٦	٧٢,٦	٢٢,٤
٢٠١٧	٩٤,٨	٢٥,٦

المصدر: الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء.

هذا وتحتل مصر المرتبة السادسة عشر بين دول العالم من حيث حجم السكان، وتعتبر ثالث دولة أفريقية بعد نيجيريا وأثيوبيا، وأكبر دولة عربية في عدد السكان خاصة بعد ما وصل عدد السكان إلى نحو ١٠٠ مليون نسمه، ونمو السكان – كما هو معروف – محصلة تفاعل ثلاثة عوامل " متغيرات " رئيسية هي : المواليد، والوفيات، والهجرة الخارجية ...

الزيادة السكانية = عدد المواليد – عدد الوفيات + عدد المهاجرين

وتعتبر الهجرة الخارجية ظاهرة حديثة نسبيا في مصر، حيث لم تبدأ بشكل ملحوظ نسبياً إلا في بداية السبعينات من القرن الماضي، وخاصة بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣، وتتسم الهجرة في مصر فى أغلب الأحيان بأنها هجرة مؤقتة:

- ٩,٥ مليون مصري مقيم بالخارج طبقاً لتقديرات وزارة الخارجية.
- ٦,٢ مليون مصري مقيم في الدول العربية. أي ما يعادل ٦٥,٨٪ من إجمالي عدد المصريين في الخارج.
- ١,٢ مليون مصري مقيم في الدول الأوروبية أي ما يعادل ١٢,٢٪ من إجمالي عدد المصريين في الخارج.
- ١,٦ مليون مصري مقيم في دول الأمريكتين أي ما يعادل ١٦,٧٪ يليها الدول الآسيوية واستراليا بنسبة ٢,٧٪، ثم المنطقة الأفريقية بنسبة ٠,٥٪.

وعلي هذا يمكن إرجاع النمو السكاني بالدرجة الأولي إلي عاملي الزيادة الطبيعية، وهما: المواليد والوفيات، وذلك كما يلي:

١- المواليد:

استعراض معدلات المواليد منذ عام ١٩٤٠ يوضح أنها قد تذبذبت حول مستوي مرتفع يزيد علي ٤٠ في الألف خلال فترة طويلة وذلك حتي عام ١٩٦٦، ثم اتجهت إلي الانخفاض التدريجي حيث وصلت إلي حوالي ٣٥ في الألف خلال النصف الأول من عقد السبعينات (جدول رقم ٢).

إلا أن الإحصاءات تشير إلي ارتفاع معدل المواليد بعد ذلك مرة أخري، حيث بلغ ما يقرب من ٤١ في الألف عام ١٩٨٥، ثم أخذ في الانخفاض التدريجي، حتى بلغ حوالي ٢٥،٨ في الألف عام ٢٠٠٦، إلا أنه عاد وشهد ارتفاعاً تدريجيا منذ عام ٢٠٠٧ حيث وصل في عام ٢٠١٧ إلى حوالي ٢٦،٨ في الألف ثم بدأ الانخفاض مرة أخرى ليصل إلي ٢٣،٤ في الألف عام ٢٠١٩ (جدول رقم ٢)، كما وصل عدد المواليد في ٢٠١٩ إلى حوالي ٢،٣ مليون مولود (جدول رقم ٣).

جدول رقم (٢)
معدلات المواليد والوفيات والزيادة الطبيعية في مصر
خلال الفترة ١٩٦٠- ٢٠١٩

السنة	معدل المواليد في الألف	معدل الوفيات في الألف	معدل الزيادة الطبيعية (في الألف)
١٩٦٠	٤٣،٠	١٦،٩	٢٦،١
١٩٦٥	٤١،٧	١٤،٠	٢٧،٧
١٩٧٠	٣٥،٧	١٥،٤	٢٠،٣
١٩٧٥	٣٧،٢	١٢،٥	٢٤،٧
١٩٨٠	٣٨،٧	١٠،٤	٢٨،٣
١٩٨٥	٤٠،٩	٩،٧	٣١،٢
١٩٩٠	٣٢،٥	٧،٦	٢٤،٩
١٩٩٥	٢٧،٩	٦،٧	٢١،٢
٢٠٠٠	٢٧،٤	٦،٣	٢١،١
٢٠٠٥	٢٥،٥	٦،٤	١٩،١
٢٠٠٦	٢٥،٨	٦،٣	١٩،٥
٢٠٠٧	٢٦،٥	٦،١	٢٠،٤
٢٠٠٨	٢٧،٣	٦،١	٢١،٢
٢٠٠٩	٢٨،٧	٦،٢	٢٢،٦
٢٠١٠	٢٧،٥	٦،٣	٢١،٢
٢٠١١	٣٠،٤	٦،١	٢٢،٦
٢٠١٢	٣١،٨	٦،٤	٢٥،٤
٢٠١٣	٣١،٠	٦،٠	٢٥،٠
٢٠١٤	٣١،٣	٦،١	٢٥،٢
٢٠١٥	٣٠،٣	٦،٤	٢٣،٩
٢٠١٦	٢٨،٦	٦،١	٢٢،٥
٢٠١٧	٢٦،٨	٥،٧	٢١،١
٢٠١٨	٢٤،٥	٥،٨	١٨،٧
٢٠١٩	٢٣،٤	٥،٧	١٧،٦

جدول رقم (٣)
عدد المواليد والوفيات والزيادة الطبيعية في مصر
خلال الفترة ٢٠٠٠- ٩٨

السنة	عدد المواليد (بالمليون)	عدد الوفيات (بالألف)	الزيادة الطبيعية (بالمليون)
٢٠٠٠	١،٧	٤٠٥	١،٣
٢٠٠١	١،٧	٤٢٤	١،٣
٢٠٠٢	١،٨	٤٤٠	١،٣
٢٠٠٣	١،٨	٤٤٠	١،٣
٢٠٠٤	١،٨	٤٥٠	١،٣
٢٠٠٥	١،٨	٤٥١	١،٤
٢٠٠٦	١،٩	٤٥١	١،٤
٢٠٠٧	١،٩	٤٥٠	١،٥
٢٠٠٨	٢،١	٤٦١	١،٦
٢٠٠٩	٢،٢	٤٧٧	١،٧
٢٠١٠	٢،٢	٤٨٣	١،٧
٢٠١١	٢،٤	٤٩٣	١،٩
٢٠١٢	٢،٦٣	٥٣٠	٢،١
٢٠١٣	٢،٦٢	٥١١	٢،١
٢٠١٤	٢،٧٢	٥٣١	٢،٢
٢٠١٥	٢،٧	٥٧٤	٢،١
٢٠١٦	٢،٦	٥٥٦	٢،٠
٢٠١٧	٢،٦	٥٤٦	٢،٠
٢٠١٨	٢،٤	٥٦٠	١،٨٢
٢٠١٩	٢،٣	٥٧٠	١،٧٤

المصدر : نشرات الإحصاءات الحيوية للمواليد والوفيات، الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء.

ويمكن إرجاع ارتفاع معدلات المواليد وبالتالى حجم السكان بصفة عامة إلي عدة أسباب، منها:

أ- ارتفاع القيمة الاقتصادية والاجتماعية للطفل وانخفاض تكلفة تنشئته: خاصة في الريف والسكان الأقل مستوى في التعليم والأكثر فقراً.

ب- الزواج المبكر بين الإناث: يؤدي إلي طول فترة الحياة الإنجابية للمرأة، كما يحد من استمرارها في التعليم.

ج- ارتفاع معدلات وفيات الأطفال الرضع: حيث ثبت إنه في ظل المعدلات المرتفعة لوفيات الرضع (الأقل من سنه) تتجه الأسرة إلي إنجاب عدد أكبر من الأطفال تحت تأثير الشعور بعدم الاطمئنان إلي بقاء عدد مناسب منهم علي قيد الحياة عندما يتقدم بهم العمر.

د- نظرة المجتمع للمرأة: إذ أدي ارتفاع مستوي الأمية بين الإناث، وانخفاض المستوي التعليمي لهن، إلي عدم تأهيلهن بصورة مناسبة للالتحاق بسوق العمل، فضلاً عن انتشار النمط الثقافي الذي يحد من دور المرأة في المجتمع، وبالتالي تصبح الحياة المنزلية وإنجاب وتربية الأطفال محل الاهتمام الأساسي لغالبية النساء خاصة في الريف.

ه- العادات والتقاليد السائدة في المجتمع: حيث لازال الإنجاب المبكر وإنجاب عدد كبير من الأطفال صمام أمان للمرأة خاصة الريفية، حيث لازال يعتقد أن ذلك يمكن أن يقي من خطر الطلاق أو من خطر تزوج الزوج بأخرى.

و- استمرار ثقافة تفضيل إنجاب الذكور وبخاصة في الريف: حيث تفضل العادات والتقاليد الأبناء الذكور في الأسرة استنادا إلي القيمة المرتفعة للعزوة بهم، ودلالاتها في الثقافة التقليدية، فقد يستمر الأبوان في إنجاب البنات علي أمل أن يكون المولود ذكراً.

ز- عدم الفهم الصحيح للدين : إلي جانب بعض المعتقدات الخاطئة يجعل الكثير من سكان الريف ينظرون إلي تنظيم الأسرة ووسائله بعين الريبة من الناحية الدينية وعدم الرضا.

ح- هذا إلى جانب التيار المتحفظ والذى ساعد على انتشاره فى المجتمع عودة أعداد من المصريين من دول الخليج محملين لأفكار متحفظة نحو تنظيم الأسرة واستخدام وسائلها بل أيضا تجاه الحديث عن

(*) معدل المواليد: عدد المواليد لكل ١٠٠٠ من السكان.

(*) معدل الوفيات: عدد الوفيات لكل ١٠٠٠ من السكان.

(*) معدل الزيادة الطبيعية: الفرق (الزيادة) بين المواليد والوفيات لكل ١٠٠٠ من السكان.

خفض معدل النمو السكانى باعتبار هذا الحديث نتيجة أفكار غربية تهدف إلى خفض عـــدد الســكان المسلمين فى العالم.

كما لا يمكن تجاهل سيطرة الجماعة الإسلامية على الحكم ودورها فى تحفيز وتشجيع التيار المتحفظ فى المجتمع المناوء لتنظيم الأسرة وضبط النسل.

٢- الوفيات:

أدت الجهود المستمرة في مجال تطوير وتوفير الخدمات الصحية ... وتوفير الأدوية الحديثة والأمصال الواقية، وكذلك توفير مياه الشرب النقية بالإضافة إلى التوسع في توفير شبكات الصرف الصحي، وغير ذلك من الإجراءات والخدمات الصحية، إلي خفض معدل الوفيات من حوالي ٢٦ في الألف عام ١٩٤٠ إلي حوالي ١٧ في الألف في بداية الستينات وإلي حوالي ١٠ في الألف في بداية الثمانينيات، حتى بلغ ٦،٤ في الألف في عام ٢٠٠٥ ثم ٥،٧ في الألف عـــام ٢٠١٩ الجدول رقم (١).

أما بالنسبة لمعدل وفيات الأطفال الرضع والذى يعتبر مؤشر هام للحالة الصحية، فيمكن القول إن الإنجازات التي تحققت في مجال خفض معدلات وفيات الأطفال بصفة عامة، والرضع بصفة خاصة، كان لها أعظم الأثر في خفض مستوي معدل الوفيات، حيث تشير الأرقام من واقع التسجيل الحيوي إلي أن هذه المعدلات قد انخفضت تدريجيا ووصل إلى ١٥،٤ عام ٢٠١٩.

والملاحظ أن الانخفاض المستمر في معدلات الوفيات بصفة عامة، ومعدلات وفيات الرضع بصفة خاصة، قد أدى إلي ارتفاع متوسط العمر عند الميلاد للذكور من ٦٠،٥ سنة في عام ١٩٨٦ إلي ٧٣ سنة في عام ٢٠٢٠، وللإناث من ٦٣,٥ سنة في عام ١٩٨٦ إلي ٧٥ سنة في عام ٢٠٢٠.

١-٢ البعد الثاني: التوزيع الجغرافي غير المتوازن للسكان:

رغم أن المساحة الكلية لمصر تزيد قليلا علي مليون كيلو متر مربع، إلا إن السكان يتركزون في الشريط الضيق لوادي النيل والدلتا، بالإضافة إلي الواحات القليلة في وسط الصحراء الغربية، وتمثل المساحة المأهولة بالسكان نسبة ضئيلة، تقدر بحوالي ٧،٨% من جملة المساحة، وقد ترتب علي ذلك أن أصبحت مصر تعاني كثافة سكانية عالية، إذا ما قورنت بالكثافة السكانية في كثير من دول العالم.

توزيع السكان طبقا	
الحضر	٤٢,٣%
الريف	٥٧,٨%

حيث بلغت الكثافة السكانية الكلية ٩٨،٤ نسمة/كم٢ بينما بلغت الكثافة السكانية على أساس المساحة المأهولة أكثر من ١٤٤٨ نسمة/كم٢ عام ٢٠١٩ مع ارتفاعها بشكل كبير فى بعض المحافظات خاصة محافظة القاهرة حيث تبلغ أكثر

من ٥٠ ألف نسمة في الكيلو متر المربع، مع ملاحظة ارتفاع هذه الكثافة السكانية بكثير في بعض أحياء محافظة القاهرة وتبلغ الكثافة السكانية أدناها فى محافظات الحدود. علماً بأن نسبة سكان القاهرة ١٠،٥% من إجمالي سكان الجمهورية (٩،٥٣٤ مليون نسمة)، ونسبة سكان جنوب سيناء ٢،٢% من إجمالي السكان (١٠٢ ألف نسمة)، أما نسبة سكان القاهرة الكبرى (القاهرة والجيزه والقليوبية) فتبلغ ٢٥% تقريباً.

١-٣ البعد الثالث : الخصائص السكانية المتدنية:

مازالت مصر تعاني من انخفاض مستوي الخصائص السكانية والتي تتمثل في عدة مظاهر منها:

١- اختلال التركيب العمري للسكان وارتفاع نسبة الأطفال:

أدت الزيادة السريعة في حجم السكان وارتفاع مستوي الخصوبة حتي منتصف الثمانينيات إلي اتساع قاعدة الهرم السكاني في مصر (شكل رقم ٢)، أي ارتفاع نسبة السكان دون سن ١٥ عاما، حيث بلغت هذه النسبة ٤٠% حسب تعداد ١٩٨٦، إلا أنها تناقصت إلي ٣٧،٧% في تعداد عام ١٩٩٦ ثم إلي ٣٤،٧% طبقا لتعداد ٢٠١٧، وتمثل زيادة أعداد السكان في هذه الفئة العمرية (فئة الأطفال) عبئاً علي المجتمع، باعتبارها فئة معالة ومستهلكة، تحتاج إلي العديد من الخدمات إلي أن تصبح فئة منتجة، يستفيد منها المجتمع، وهي بذلك تمثل حملاً ثقيلاً علي الاقتصاد وموارده المحدودة، حيث إنها تستحوذ علي جزء كبير من الموارد لتوفير ما يلزمها من الغذاء والخدمات الصحية وفرص التعليم.

وهذه الموارد كان من الممكن توجيهها لدفع عجلة التنمية وخلق فرص عمل ورفع مستوي المعيشة للسواد الأعظم من الشعب كما حدث فى الدول المعروفة بالنمور الأسيوية.

كما يشهد المجتمع تحولا ديموجرافيا نحو ارتفاع تدريجي في نسبة المسنين (أكثر من ٦٠ عام).

توزيع السكان طبقا لفئات السن	
أقل من ١٥ سنه	%٣٤,٢
١٥ – ٦٤٠	%٦١,٩
٦٠ فأكثر	% ٣,٩

(*) متوسط العمر عند الميلاد : متوسط السنوات المتوقع أن يعيشها الفرد عند الميلاد.

(*) الكثافة السكانية : عدد السكان لكل كيلو متر مربع من مساحة الدولة.

شكل رقم (٢)

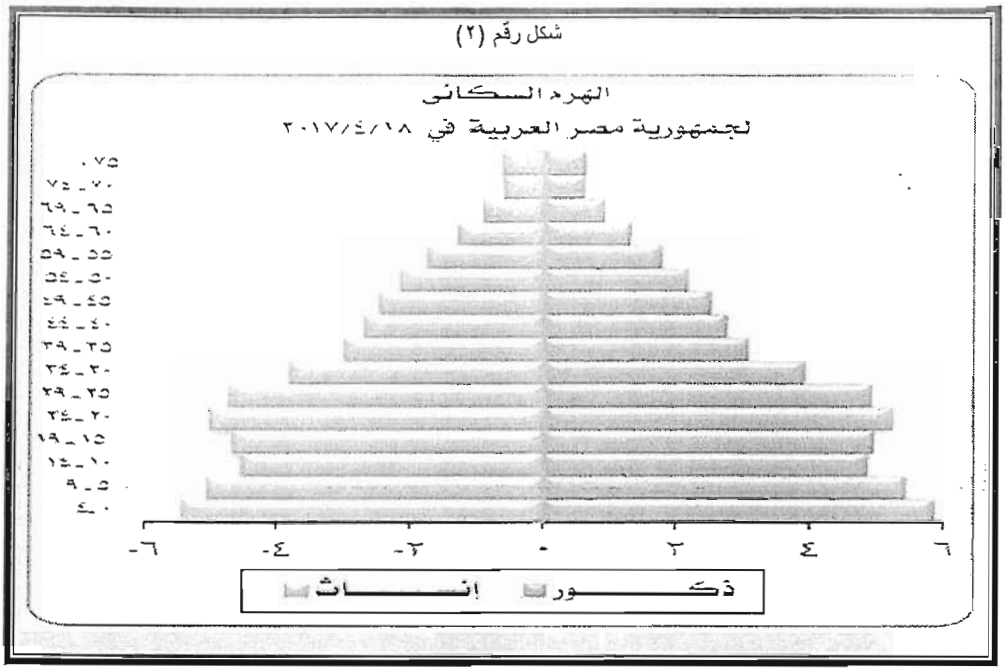

هذا وقد أدى الاختلال فى التركيب العمرى للسكان (السابق ذكره) إلى الارتفاع النسبى فيما يعرف بمعدل الإعالة السكاني والذى يقيس العبء الذى يقع على الجزء المنتج (١٥-٦٤) من السكان حيث وصل عام ٢٠١٧ إلى ٦١،٦ نسمة أى أن كل ١٠٠ من السكان فى سن العمل عليهم عبء إعالة ٦١،٦ من السكان فى غير سن العمل، وهذا الرقم ليس بصغير.

٢- ارتفاع نسبة الأمية:

من المؤشرات التعليمية التي يجب أن تلقي اهتماماً كبيراً علي كافة المستويات الرسمية والتطوعية في مصر، ارتفاع نسبة الأمية بين السكان والتعرف على أسبابها، حيث إنها مازالت تمثل مشكلة كبيرة تحتاج إلي مزيد من الجهد لمواجهتها، وتعتبر من تداعيات النمو السكاني، حيث إن النظام التعليمي لم يستطع استيعاب كل الأطفال في سن الإلزام التعليمي، بالإضافة إلى ظاهرة التسرب مما يؤدي إلى – بالإضافة إلى عوامل أخري – زيادة عدد الأميين سنه بعد سنه، ووصلت نسبة الأمية إلى ٢٥،٨% لإجمالي الجمهورية وإلى ٣٠،٨% للإناث وإلى ٢١،٢% للذكور عام ٢٠١٧.

(*) معدل الإعالة السكاني : عدد السكان (المعالين) في غير سن العمل (الأقل من ١٥ سنه + الأكبر من ٦٤ سنه) إلي السكان في سن العمل (١٥-٦٤ سنه).

٣- انخفاض مساهمة الإناث في القوي العاملة:

تشير نتائج بحوث القوي العاملة بالعينة – التي يقوم الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء بإجرائها بصفة دورية – إلي أن نسبة مساهمة الإناث في قوة العمل للفئة العمرية (١٢-٦٤) سنة بلغت ١٨،٣% في عام ٢٠١٨، ومع ذلك فإن هذه النسبة لازالت منخفضة، الأمر الذي يتطلب مزيداً من الجهد نحو الاهتمام بتعليم الإناث، وخلق فرص العمل المناسبة لهن، وتعزيز ثقافة تمكين المرأة اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً.

كما أن زيادة مساهمة المرأة في العمل يؤدي إلى تغيير نظرة المجتمع نحو قصر دور المرأة على الإنجاب وعلى الحد من كل من ظاهرتي الزواج المبكر والإنجاب المبكر وعدم المباعدة في الحمل.

٤- ارتفاع معدل البطالة:

تشير نتائج تعدادات السكان إلي ارتفاع مستوي البطالة في الآونة الأخيرة، وارتفاع هذا المعدل يعتبر – بالإضافة إلى عومل أخري – من تداعيات الزيادة السكانية، ووصل معدل البطالة عام ٢٠١٨ إلى ٩،٩، وذلك لعدم قدرة المجتمع على خلق وظائف جديده عام بعد عام يتناسب مع حجم المنضمين إلى سوق العمل سنويا.

وتتركز البطالة في سن الشباب، حيث توضح الإحصاءات أن حوالي ٩٠% من المتعطلين أعمارهم أقل من ٣٠ سنة، كما تتركز البطالة في الحاصلين علي مؤهلات متوسطة خاصة بين الإناث.

٥- تعرض نسبة من الأطفال لسوء الحالة التغذوية:

تعتبر ظاهرة سوء الحالة التغذوية للأطفال أحد مظاهر تنامي الفجوة الغذائية والتي ترجع إلى زيادة استهلاك الغذاء وارتفاع أسعاره بسبب الزيادة السكانية، وتعتبر الحالة التغذوية للأطفال أحد المحددات الأساسية لصحة الطفل ونموه، ويتناول المسح الصحي السكاني المصري لعام ٢٠٠٨ الأوضاع التغذوية لأطفال مصر كما تعكسها بعض المقاييس الدولية المستخدمة لهذا الغرض، ومنها مقياس الطول بالنسبة للعمر حيث يقيس القصور في النمو لعدم حصول الطفل علي الغذاء المتوازن لمدة زمنية طويلة، أو نتيجة الإصابة بمرض مزمن. ويوضح هذا المقياس أن ١٨% من الأطفال دون سن الخامسة من العمر يعانون التقزم، وأن ٦% يعانون قصر قامة حاد، كما توضح نتائج البحوث إن الأطفال في الريف أكثر احتمالا للتعرض لقصر القامة من أطفال الحضر.

٦- معاناة نسبة من السكان من الفقر:

توضح الإحصاءات إن نسبة الفقراء إلي إجمالي السكان شهدت ارتفاعا حيث وصلت إلى حوالي ٢٥% عام ٢٠١١ نظراً للظروف التي مرت بها البلاد عقب ثورتي ٢٥ يناير و٣٠ يونيه.

هذا وقد وصلت النسبة إلى ٢٩،٧% طبقاً لمسح الدخل والإنفاق ٢٠١٩ (شكل رقم ٣)، وتختلف هذه النسبة جغرافيا في مصر حيث ترتفع في الريف عن الحضر، كما ترتفع في الصعيد مقارنة بالدلتا وتزداد هذه النسبة في المناطق العشوائية، وهناك ارتباط وثيق بين معدلات الفقر والزيادة السكانية على مستوى الأسرة والمجتمع.

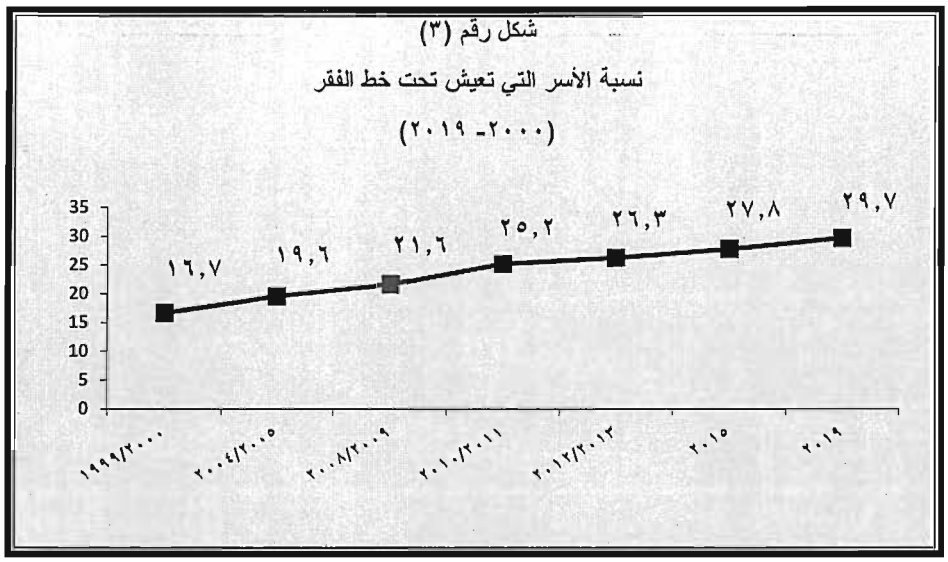

٧- تزايد ظاهرة السكن في العشوائيات

تعاني مصر من تزايد المناطق العشوائية وبالتالي تعاني من تزايد أعداد ونسب السكان الذين يعيشون في تلك المناطق، وذلك نتيجة لظاهرة الهجرة من الريف للحضر، وعدم قدرة الدولة على توفير السكان الملائم لهؤلاء المهاجرين بحثا عن الرزق في ظل عدم وجود فرص عمل في الريف مع تزايد عدد السكان، وفي ظل محدودية الأرض الزراعية، وقد تباينت التقديرات المتاحة عن أعداد المناطق العشوائية وكذا أعداد السكان المقيمين بها، فمن ناحية قدرتها وزارة التنمية المحلية بعدد ٩١٦ منطقة

(*) المسح الصحي السكاني، مسح يجريه الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء كل اربع سنوات.

(*) مسح الدخل والإنفاق، مسح يجرية الجهاز المركزي للتعبئة العامه والإحصاء كل سنتين.

عشوائية، بينما يقدرها مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بحوالي ١٠٣٤ منطقة، ويقدر عدد سكانها بما يزيد عن ١٦مليون نسمة وذلك لاختلاف تعريف العشوائيات.

ويعيش سكان العشوائيات عيشة غير أدمية، حيث تفتقر على المرافق الأساسية، بالإضافة إلى المعاناة من الفقر والبطالة.

٢ تداعيات الزيادة السكانية:

الخصائص السكانية ومشاكلها السابق ذكرها تعتبر أمثله من نتائج وتداعيات الزيادة السكانية التى شهدتها مصر خلال العقود السابقة وارتفاع معدلات الفقر وارتفاع نسبة الأمية وارتفاع معدلات البطالة وتزايد ظاهرة السكن العشوائى، كل هذه وغيرها من متغيرات تعبر عن تدهور للمستوى الاقتصادي والاجتماعي وتعتبر من تداعيات الزيادة السكانية للأسف الشديد مثل :

١- انخفاض نصيب الفرد من المياه : فمع ثبات حصة مصر من المياه والتي تبلغ ٥٥،٥ مليار متر مكعب، ومع الزيادة السكانية المستمرة، أدي هذا الوضع إلى وصول مصر إلى مرحلة الفقر المائي، حيث وصل نصيب الفرد من المياه ٥٠٠ متر مكعب فقط، وطبقا للمؤشرات الدولية إذا انخفض نصيب الفرد عن ١٠٠٠ متر مكعب فإن هذا يعبر عن معاناة الدولة وسكانها من الفقر المائي، ومع استمرار الزيادة السكانية عام بعد عام فإن الوضع ينذر بأخطار كبيرة، حيث إن المياه أساس زراعة الغذاء من أجل محاربة الجوع وتحقيق الأمن الغذائي .... فالأمن المائي والأمن الغذائي يعتبرا وجهان لعمله واحدة.

٢- انخفاض نصيب الفرد من الأرض الزراعية : مع زيادة عدد السكان ومحدودية الأرض الزراعية، فإن نصيب الفرد من الأرض الزراعية يتناقص عام بعد عام، حيث اصبح نصيب الفرد من الأرض الزراعية (٠،١) فدان فقط، ومحدودية الأرض الزراعية ومحدودية المياه يعني محدودية الأمن الغذائي، فهناك فجوة غذائية تقدر بـ (٦٠%) من جملة الإنتاج، وللقضاء على هذه الفجوة يتطلب الأمر زراعة ٦ مليون فدان بالإضافة إلى توفير ٦ مليار متر مكعب من المياه ...، فهل هذا ممكن في ظل الزيادة السكانية وتداعياتها !؟

٣- زيادة الاعتماد على الاستيراد لتوفير احتياجات المجتمع من الغذاء :كنتيجة لكل من الفقر المائي والفجوة الغذائية مع الزيادة المستمرة للسكان، فقد أدي إلى الاعتماد على الاستيراد، حيث أصبحت مصر مستوردة لحوالي ٨٠% من احتياجاتها الغذائية.

٤- ارتفاع كثافة الفصول خاصة فى مرحلة التعليم الإبتدائى: مع زيادة عدد الأطفال في سن الإلزام عام بعد عام بسبب الزيادة في أعداد المواليد ومع المحدودية النسبية لميزانية التعليم أدى ذلك إلى ارتفاع كثافة الفصول خاصة في المرحلة الإبتدائية، حيث وصل أعداد التلاميذ في بعض المدارس وبعض المناطق إلى ما يزيد عن ٨٠ أو ١٠٠ تلميذ في الفصل الواحد، مما يؤثر على درجة استيعاب تحصيل التلاميذ وعلى المستوى التعليمي.

٥- تزايد معدلات الجريمة وتفاقم مشاكل المرور: مع تزايد أعداد السكان تزايدت المشاكل الاجتماعية والاقتصادية بين السكان، وتزايد الجرائم حيث أصبح المجتمع يعاني من أشكال وأنواع جديده من الجرائم التي تتسم بالعنف أو الجرائم الحديثة الناجمة عن سوء استغلال تكنولوجيا المعلومات، بالإضافة إلى ظاهرتي أطفال الشوارع والبلطجة واللذان يعتبران بحق من تداعيات النمو السكاني السريع، مما يؤثر على السلام الاجتماعي.

٦- الاعتماد على الخارج فى توفير بعض الاحتياجات فى الطاقة: كما هو الحال في الغذاء فإن الأمر يستلزم سد الفجوة في الطاقة بالاعتماد على الخارج، وكلما زاد عدد السكان زادت الفجوة اتساعا وزادت التبعية للخارج وزادت الفاتورة التي كان ممكن استخدامها في تحسين جودة الحياة.

٧- تلوث البيئة : الإنسان هم المسؤول عن كل من تلوث البيئة وعن حماية البيئة في نفس الوقت ... والبيئة في أبسط تعريف لها هو " ذلك الحيز الذي يباشر فيه البشر مختلف الأنشطة ".

وتمثل الزيادة المستمرة في عدد السكان زيادة في الضغط على الموارد البيئية المتاحة خاصة تلك الموارد غير المتجددة مثل البترول، هذا بجانب زيادة استهلاك الأعداد الهائلة من السكان والتي قد لا تتلاءم مع الإنتاج خاصة الغذاء مما قد يتسبب في حدوث مجاعات.

وخطورة التزايد السكانى وتداعياته تكمن فى عدم فهم وإدراك المجتمع على ما تنطوى عليه هذه الزيادة فى الأمد القصير والأمد البعيد فى ظل الموارد المتاحة والمحتملة

٣ السياسات السكانية:

بذلت الحكومات جهود لمواجهة المشكلة السكانية بأبعادها خاصة بعد التزايد السكانى منذ عام ١٩٦٥. وتغيرت هذه السياسات بتغير الوزراء ولكنه كان تغير شكلى فى أسلوب الكتابة والصياغة وكان أخرها الاستراتيجية القومية للسكان (٢٠١٥-٢٠٣٠)، ونظراً لضعف التنسيق بين الوزارات المشاركة فى تنفيذ السياسات والاستراتيجيات فإن أغلب أهدافها لم تحقق.

٤ التوقعات السكانية المستقبلية:

تم إجراء عدة دراسات تتعلق بتقدير سكان مصر في المستقبل وذلك علي ضوء بيانات التعدادات السكانية ، وتوضح احدي هذه الدراسات أن عدد سكان مصر المقدر عام ٢٠٥٠ سيزيد عن ١٤٠ مليون نسمه، وذلك ما يوضحه الجدول المقابل.

تقديرات إعداد السكان خلال الفترة ٢٠١٥-٢٠٥٠ (بالألف)	
السنة	جمله
٢٠١٥	٩٤
٢٠٢٠	١٠٤
٢٠٢٥	١٠٨
٢٠٣٠	١١٤
٢٠٥٠	١٤٠

٥ التحديات المستقبلية للزيادة السكانية:

تحققت بعض الإنجازات في مجال التعامل مع المشكلة السكانية، إلا أن هذه الإنجازات يجب ألا تدعوا إلى تجاهل الحقائق شبه المؤكدة والمتوقع حدوثها في المستقبل والعمل على مواجهتها، ومن أهمها :

الحقيقة الأولـــي : أنه وعلى الرغم من الجهود المبذولة حاليًا وبافتراض استمرارها خلال الفتـــرة القادمة، فمن المسلم به أن حجم السكان سوف يستمر في الزيادة المطـــردة وذلـــك يرجع لطبيعة الهيكل العمري والنوعي للسكان، والذي يتميز بزيادة نسبة الأطفـــال والشباب ... ونتيجة لقوة الدفع الذاتي لهذا الهيكل والذي نتج عن ارتفاع معـــدلات الخصوبة منذ منتصف القرن الماضي.

الحقيقة الثانية : أن حجم السكان المتوقع عام ٢٠٥٠ يمكن أن يصل إلى مـــا يزيـــد علـــي ١٤٠ مليون نسمة.

٦ ماذا بعد:

التوقعات المستقبلية للنمو السكاني بالإضافة إلى التحديات السابق ذكرها تدعو إلى وقفة مجتمعية جادة، من أجل تقييم كافة السياسات والاستراتيجيات السكانية والتنموية والجهود المبذولة خلال العقود الماضية، وبما يمكن من الخروج برؤية واقعية واضحة ومحددة عن الخطوات المستقبلية الواجب اتخاذها، على أن تبنى هذه الرؤية على محورين أساسين :

المحور الأول : يتناول السياسات والاستراتيجيات السكانية ومدى كفايتها ومقترحات تفعيلها ودفعها في ضوء تحديد مسئوليات كافة الأجهزة المعنية.

المحور الثاني : يتناول السياسات والاستراتيجيات التنموية المتعلقة بتعظيم الاستفادة من الثروة البشرية المتاحة والمستقبلية، وبمعني أخر يتناول استراتيجيات التنمية البشرية بمكوناتها.

ومن الجدير بالذكر في هذا المجال أن الأمر يستلزم أن تعمل الحكومة بالتعاون مع الجمعيات الأهلية والقطاع الخاص على هذين المحورين معا، من أجل أن يصل معدل النمو الاقتصادي المستهدف إلى ثلاثة أمثال معدل النمو السكانى على الأقل، وحتى يرتفع متوسط نصيب الفرد فى الدخل القومى إلى ١٥٠% مما هو عليه وتنخفض معدلات الفقر ويشعر المواطن بعوائد التنمية.

ولابد من التعامل مع كلا المحورين السالف ذكرهما معا باعتبارهما متلازمين ومكملين لبعضها البعض، حيث يؤثر ويتأثر كل منهما بالآخر.

وتنفيذ تلك السياسات والاستراتيجيات السكانية بأسلوب علمي سليم وبجدية يمكن أن يحقق لمصر الاستفادة مما يعرف بـــ " الفرصة الاقتصادية " أو " الهبة الديموجرافية " والتي يمكن الوصول إليها نتيجة تنفيذ سياسات واستراتيجيات سكانية وتنموية فعالة، تؤدي إلى انخفاض في معدلات الخصوبة لعدة عقود، وبما يؤدي إلى تناقص نسبة الأطفال إلى السكان في سن العمل ... ومن ثم تناقص معدلات الإعالة، بحيث يمكن توجيه الموارد التي أمكن توفيرها – نتيجة لنقص عدد الأطفال وبالتالى تناقص نفقاتهم فى الغذاء والصحة وجودة التعليم – إلى استثمارات إضافية من شانها رفع جودة التعليم والتدريب وتوفير فرص عمل حقيقية، وبما يزيد من حجم الإنتاج القومي وزيادة الصادرات ويحفز النمو الاقتصادي ويساعد على الحد من الفقر ... وذلك كما حدث في الصين وبعض دول أمريكا اللاتينية وبلدان شرق أسيا المعروفة بالنمور الأسيوية.

وتقدر الأمم المتحدة إمكانية استفادة بعض البلدان العربية من هذه الهبة الديموجرافية في غضون عقدين من الزمان، وهذا يستلزم وضع الخطط والبرامج اللازمة لتأهيل ناتج هذه الهبة حتى تصبح بجد "هبة" ديموجرافية وليست "عبئا" ديموجرافيا على المجتمع يؤدى إلى زيادة نسب الفقر.

كما تقدر بعض الدراسات إمكانية استفادة مصر من الهبة الديمواجرافية خلال الثلاثينيات من هذا القرن تحت شروط محددة بشأن فعالية السياسات السكانية والتنموية ومدى تأثيرهما على مستويات الخصوبة المستقبلية.

وفيما يلي يمكن استعراض عناصر السياسات والاستراتيجيات المطلوبة لتعظيم الاستفادة من ناتج الهبة الديموجرافية:

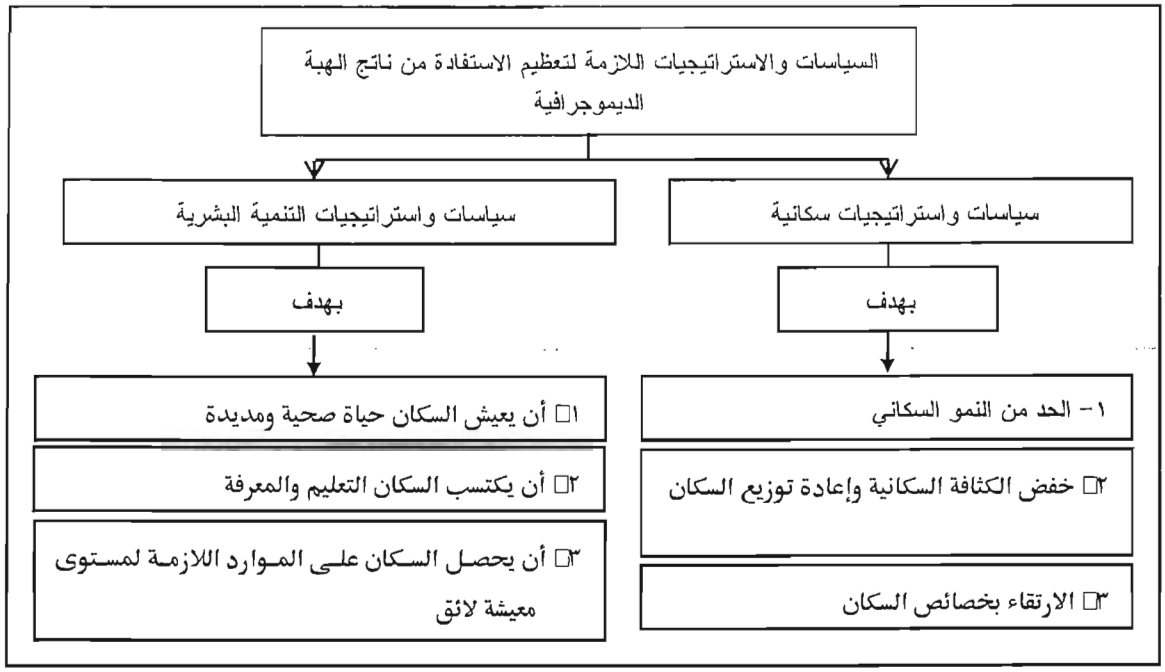

أخيرا يجب التأكد على أهمية تفعيل المادة رقم (٤١) من دستور (٢٠١٤) بكل جدية الا هى:

" التزام الدولة بتنفيذ برنامج سكاني يهدف إلي تحقيق التوازن بين معدلات النمو السكاني والموارد المتاحة، وتعظيم الاستثمار في الطاقة البشرية وتحسين خصائصها، وذلك في إطار تحقيق التنمية المستدامة " كفيل بتحقيق العديد من التوصيات سالفة الذكر.

المصادر العلمية

١- الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء، أهم النتائج النهائية للتعداد العام للسكان والإسكان والمنشآت، ٢٠١٧.

٢- الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء، مصر فى أرقام، ٢٠٢٠، القاهرة.

٣- مخلوف، هشام، السكان والبيئة وحقوق الإنسان : وتحديات تحقيق أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠، جمعية الديموجرافيين المصريين، القاهرة، ٢٠١٨.

٤- مخلوف، هشام، الديموجرافيا الأمنية (المفاهيم والأساليب)، أكاديمية الشرطة، القاهرة، ٢٠١٢.

٥- وزارة الصحة والسكان، المسح الصحى الديموجرافى، ٢٠١٤، القاهرة، ٢٠١٥.

أسئلة الجزء الأول: الزيادة السكانية في مصر

م	السؤال	الإجابة	
١	بلغ عدد سكان مصر ١٠٠ مليون نسمه تقريبا عام ٢٠٢٠.	√	X
٢	من العادات الاجتماعية خاصه فى الريف تفضيل المولود الذكر مما يدعو إلى تكرار الحمل والولادة على أمل ميلاد الذكر.	√	X
٣	مشكلة مصر السكانية وأغلب الدول النامية لها ثلاث أبعاد : النمو السريع للسكان، سوء التوزيع الجغرافي للسكان، ثم انخفاض خصائص السكان التعليمية والصحية والعمرية والفقر.	√	X
٤	حصه مصر من مياه النيل سنويا تبلغ ١٠٠ مليار متر مكعب.	√	X
٥	الزواج المبكر والإنجاب المبكر للإناث خاصه فى الريف لا يساعد على الزيادة السكانية.	√	X
٦	الزيادة السكانية فى مصر ترجع فى الأساس إلى زياده عدد المواليد وتناقص عدد الوفيات.	√	X
٧	من المتوقع أن يصل عدد سكان مصر إلى ١٤٠ مليون نسمه عام ٢٠٥٠.	√	X
٨	عدم الفهم الصحيح للدين يجعل البعض خاصه فى الريف ينظر إلى تنظيم الأسرة بعين الريب والحرماني.	√	X
٩	تحتل مصر المرتبة السادسة عشر بين دول العالم من حيث عدد السكان.	√	X
١٠	بينما توضح الدراسات إن الحد الأدنى لنصيب الفرد من المياه يجب ألا يقل عن ١٠٠٠ متر مكعب إلا إن نصيب الفرد من المياه فى مصر لا يزيد عن٦٠٠ متر مكعب مما يجعل مصر من دول الفقر المائي.	√	X

م	السؤال	الإجابة	
١١	الزيادة السكانية = عدد المواليد + عدد الوفيات – المهاجرين.	√	X
١٢	تحتل مصر المرتب الاولى عربيا من حيث عدد السكان.	√	X
١٣	لمواجهه الزيادة السكانية وتداعياتها يجب ان تعمل الحكومة على محوريين أساسيين فى نفس الوقت: - **المحور الاول** وضع سياسات واستراتيجيات سكانيه للتحكم فى النمو السكاني، - **والمحور الثاني** وضع سياسات واستراتيجيات تنموية لاستيعاب ومقابله احتياجات الزيادة السكانية المستمرة.	√	X
١٤	تناول دستور مصر ٢٠١٧ الزيادة السكانية حيث يطالب الحكومة بوضع خطط وبرامج سكانيه تهدف إلى تحقيق التوازن بين معدلات النمو السكاني والموارد الاقتصادية المتاحة.	√	X
١٥	نسبه سكان المناطق الريفية تبلغ ٧٠ ٪ من إجمالي سكان مصر.	√	X
١٦	التعداد العام للسكان والذى تجريه الدولة كل ١٠ سنوات هو المصدر الأساسي للتعرف على عدد سكان الدولة.	√	X
١٧	للجمعيات الأهلية والقطاع الخاص دور فى الاستراتيجيات السكانية وتنفيذها.	√	X
١٨	تعتبر محافظه الإسكندرية اكبر محافظه مصريه من حيث عدد السكان.	√	X
١٩	بالرغم من إن مساحه مصر الكلية حوالى مليون كيلو متر مربع إلا أن المساحة المأهولة بالسكان لا تزيد عن ٧٪ تقريبا.	√	X
٢٠	سكان كل من محافظه القاهرة ومحافظه الجيزه ومحافظه القليوبيه يمثلون ١٠٪ من سكان الجمهورية فقط البالغ حجمه ١٠٠ مليون نسمه.	√	X
٢١	هناك فجوه غذائية تجعل مصر تستورد ٨٠٪ من احتياجات الغذائية.	√	X
٢٢	مصر تعتبر واحده من أكبر ٣ دول استيرادا للقمح.	√	X
٢٣	الفقر أحد الاسباب الهامه لزياده الطلب على الإنجاب حتى يستطيع الأبناء مساعدة العائلة عند الكبر فى السن.	√	X
٢٤	البطالة لا تعتبر من تداعيات وآثار الزيادة السكانية.	√	X

م	السؤال	الإجابة	
٢٥	معدل المواليد هو عدد المواليد لكل ١٠٠٠ من السكان.	√	X
٢٦	الأميه تعتبر أحد تداعيات الزيادة السكاني.	√	X
٢٧	مصر أكبر دوله افريقيا من حيث عدد السكان.	√	X
٢٨	محدودية المياه تعنى محدودية الأمن الغذائي.	√	X
٢٩	الزيادة الطبيعية للسكان هو الفرق بين عدد المواليد وعدد الوفيات لكل ١٠٠٠ من السكان.	√	X
٣٠	التيار المتحفظ فى المجتمع يشجع على زياده الإنجاب.	√	X
٣١	المشكلة السكانية فى مصر أصبحت مشكله أمن قومي.	√	X
٣٢	العادات والتقاليد فى المجتمع ومنها النظرة إلى أن زياده الإنجاب تعتبر صمام أمان للمرأة – خاصه فى الريف – يجنبها خطر الطلاق أو الزواج بأخري	√	X
٣٣	توضح الدراسات والبحوث إنه لا يوجد ارتباط بين زياده الإنجاب والأميه.	√	X
٣٤	نسبه الإناث فى المجتمع أعلى من نسبه الذكور.	√	X
٣٥	سكان مصر يذيدون بمقدار ٢ مليون نسمه سنويا.	√	X
٣٦	معدل وفيات الأطفال الرضع (أقل من سنه فى العمر) وعدد وفيات الاطفال الرضع لكل ١٠٠٠ من السكان يعتبر مقياس للحالة الصحية فى المجتمع.	√	X
٣٧	نسبه الأطفال فى المجتمع (أقل من ١٥ سنه) تمثل ثلث حجم السكان.	√	X
٣٨	ظاهره أطفال الشوارع وتزايدها لا علاقه لها بالنمو السكاني.	√	X
٣٩	تلوث البيئة (بالإضافة إلى عوامل اخري) ترجع إلى النمو السكاني المتزايد.	√	X
٤٠	الفقر والجوع والجهل والمرض من تداعيات الزيادة السكانية.	√	X
٤١	المناطق الريفية أقل إنجابا من المناطق الحضرية فى مصر طبقا لنتائج الدراسات والبحوث.	√	X
٤٢	المشكلة السكانية تنشأ عندما تعجز الزيادة في معدلات التنمية الاقتصادية والاجتماعية عن اللحاق بمعدلات الزيادة السكانية.	√	X
٤٣	يمكن اعتبار زياده معدلات الجريمة أحد تبعات الزيادة السكانية.	√	X
٤٤	للشباب دور هام فى مواجه مشكله التزايد السكاني خاصة إنهم آباء وأمهات الغد.	√	X
٤٥	الدساتير المصرية تجاهلت المشكلة السكانية وخطورتها.	√	X

م	السؤال	الإجابة	
٤٦	ازدحام الشوارع والمرور فى الشوارع يعتبر مظهر من مظاهر الزيادة السكانية.	√	X
٤٧	البطالة وخاصه بطاله الشباب لا تعتبر من مظاهر ونتائج الزيادة السكانية.	√	X
٤٨	على الحكومة أن تعمل على زياده الاستثمار فى المشروعات القومية الكبيرة وذلك لزيادة فرص العمل أمام الشباب.	√	X
٤٩	لم يتأثر متوسط نصيب الفرد فى الأرض الزراعية رغم الزيادة السكانية المتتالية.	√	X
٥٠	سوء أو الخلل فى التوزيع الجغرافي للسكان يعتبر البعد الأساسي للمشكلة السكانية فى مصر.	√	X

إجابات أسئلة الجزء الاول:
الزيادة السكانية في مصر

رقم السؤال	الإجابة		رقم السؤال	الإجابة
١	غلط		٢٦	صح
٢	صح		٢٧	غلط
٣	صح		٢٨	صح
٤	غلط		٢٩	صح
٥	غلط		٣٠	صح
٦	صح		٣١	صح
٧	صح		٣٢	صح
٨	صح		٣٣	غلط
٩	صح		٣٤	غلط
١٠	صح		٣٥	صح
١١	غلط		٣٦	صح
١٢	صح		٣٧	صح
١٣	صح		٣٨	غلط
١٤	صح		٣٩	صح
١٥	غلط		٤٠	صح
١٦	صح		٤١	غلط
١٧	صح		٤٢	صح
١٨	غلط		٤٣	صح
١٩	صح		٤٤	صح
٢٠	غلط		٤٥	غلط
٢١	صح		٤٦	صح
٢٢	صح		٤٧	غلط
٢٣	صح		٤٨	صح
٢٤	غلط		٤٩	غلط
٢٥	صح		٥٠	غلط

ثانيا

الصحة الإنجابية ومبادئ تنظيم الاسرة

2022

المجلس القومي للسكان

National population council

الصحة الإنجابية وتنظيم الأسرة

تعتبر برامج الصحة الإنجابية وتنظيم الأسرة من البرامج الأساسية لمواجهة الزيادة السكانية والتي تشكل خطرا كبيرا على جهود التنمية التي تبذلها الدولة ، كما أنها تساهم في خفض معدلات وفيات الأمهات والأطفال، و الصحة الإنجابية وتنظيم الأسرة هي أحد الاستراتيجيات القومية والعالمية للحد من الفقر وتحسين المستوى المعيشي للأسر وتهدف الى الارتقاء بجودة حياة المواطنين ، وتشمل برامج الصحة الإنجابية وتنظيم الأسرة مختلف الأبعاد الأسرية الاجتماعية والصحية والثقافية ، كما تعمل على تقدم التطعيمات وخدمات الرعاية الأولية، فضلاً عن متابعة الفحوصات الطبية قبل الزواج وبعده وكذا اتخاذ ما يلزم في إطار الارتقاء بالخصائص السكانية .

ماهي الصحة الإنجابية:

الصحة الإنجابية هي قدرة الناس على التمتع بحياة جنسية مرضية ومأمونة، وأن يكونوا قادرين على الإنجاب ولديهم حرية اختيار توقيت وكيفية القيام بذلك، وتشمل أيضًا أن يكون الرجال والنساء على علمٍ بوسائل تنظيم الأسرة الآمنة والفعالة والميسورة التكلفة والمقبولة؛ وكذلك تطبيق برامج التثقيف الصحي للتأكيد على أن الحصول على فترة حمل وولادة آمنين توفر للأزواج أفضل فرصة للحصول على طفل سليم.

وتشمل الصحة الإنجابية العادات الشخصية الصحية والسلامة البدنية والنفسية بالإضافة إلى النشاط الجنسي. وهي تعد جزء أساسي من الصحة العامة تعكس المستوى الصحي للرجل والمرأة في سن الإنجاب . وتهتم كذلك بمرحلة ما قبل الانجاب وصحة المراهقين، وتعنى أيضا بالمرحلة العمرية بعد سن الانجاب للسيدات، وينبغي النظر إلى الصحة الإنجابية كنهج حياتي لأنها تؤثر على كل من الرجال والنساء من الطفولة الى الشيخوخة. والصحة الإنجابية في أي عمر تؤثر تأثيرًا عميقًا على صحة الفرد لاحقًا، ويشمل ذلك التحديات التي يواجهها الناس في أوقات مختلفة من حياتهم مثل تنظيم الأسرة، والخدمات التي تمنع الأمراض المنقولة جنسيا، والتشخيص المبكر وعلاج أمراض الصحة الإنجابية.

ولتحقيق مستوى أفضل للصحة الإنجابية لابد من إشراك الرجل والمرأة بالقرار الإنجابي للأسرة. وتقديم هذه المفاهيم لكل من الشباب والشابات في عمر مبكر فالصحة الإنجابية لم تعد من اهتمام النساء المتزوجات وهن في سن الإنجاب فقط، وهي ليست مرادفاً لتنظيم الأسرة فقط، وانما مفهوم الصحة الإنجابية أشمل من ذلك، وهو مسؤولية الجميع في كافة المراحل العمرية.

لذا تم تعريف الصحة الإنجابية في برنامج العمل الصادر عن المؤتمر الدولي للسكان والتنمية على أنه هو رفاه الفرد بدنيا وعقليا واجتماعيا في جميع الأمور المتعلقة بالجهاز التناسلي ووظائفه وعملياته، وليست مجرد السلامة من المرض أو الإعاقة.

الفئات التي تستهدفها خدمات الصحة الإنجابية:

- الرجل والمرأة في سن الإنجاب لرفع المستوي الصحي لهما.
- المراهقون والشباب لتجنبهم السلوكيات الضارة.
- النساء ما بعد سن الإنجاب للوقاية من أمراض الجهاز التناسلي.
- الطفل ما بعد الولادة للحفاظ على صحته وبقائه وحمايته ونمائه.

خدمات الصحة الإنجابية:

- ضمان حق الرجل والمرأة في معرفة أساليب تنظيم الأسرة المأمونة والفعالة والميسورة والمقبولة
- تقديم خدمات عالية الجودة لتنظيم الأسرة بما في ذلك خدمات علاج العقم.
- الحق في الحصول على خدمات الرعاية الصحية المناسبة التي تمكن المرأة من أن تجتاز بأمان فترة الحمل والولادة.
- تهيئة أفضل الفرص للزوجين لإنجاب وليد متمتع بالصحة.
- القضاء على ظاهرة الإجهاض غير المأمون.
- مكافحة الأمراض المنقولة جنسيا.
- تعزيز الصحة الجنسية.

الفحص الدوري للأطفال والفحص المرحلي للمدارس وفحص قبل الزواج

- حزمة خدمات الصحة الإنجابية

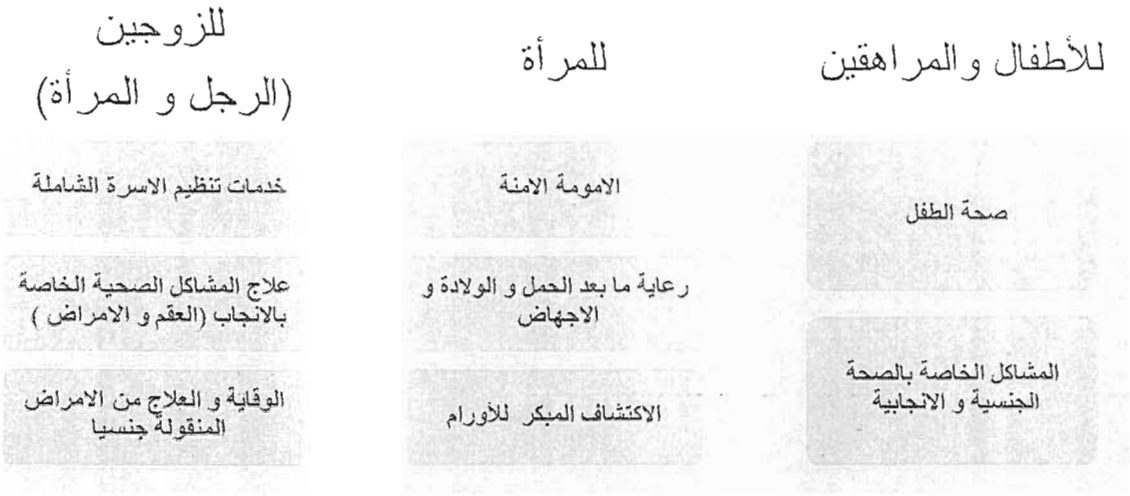

أهم رسائل الصحة الإنجابية:

١. رعاية ما قبل الزواج.
٢. تأخير أنجاب الطفل الأول.
٣. دور الرجل في تنظيم الأسرة والصحة الإنجابية.
٤. المباعدة بين الولادات.
٥. منع زواج الأطفال.
٦. ضرورة تعليم الاناث.
٧. الحد من زواج الأقارب لتجنب الأمراض الوراثية الناجمة عنه.

١. رعاية ما قبل الزواج:

رعاية ما قبل الزواج تهدف الى التثقيف الصحي لراغبي الزواج والتدخل الطبي والنفسي والاجتماعي لتهيئة الأفراد للزواج ولتقويم المخاطر المحتملة التي قد يتعرض لها الزوجين ومناقشة وسائل تنظيم الأسرة المناسبة لتأجيل الحمل الأول في حالة رغبة الزوجين في ذلك، كذلك تهدف مشورة ما قبل الزواج في الحد من منع انتقال العدوى بين الزوجين مع مساعدة الزوجين على التخطيط السليم للحمل وإنجاب أطفال أصحاء وكذلك توعيتهم بأهمية المباعدة بين الولادات. ويتم أخذ التاريخ الطبي وإجراء الفحوصات والتحاليل الطبية اللازمة.

٢. تأخير أنجاب الطفل الأول:

ان تأجيل الحمل قبل إنجاب الأول يسمح بتوطيد العلاقة بين الزوجين والتمتع بالحياة الزوجية دون تحمل أي مسؤوليات ما يعزز الشعور بالاستقرار. كما أن تأخير الطفل الأول يساعد على تأقلم الزوجين على الحياة الجديدة والتغيرات المتتابعة من مسؤوليات الزواج والبيت والأطفال وربما العمل أيضًا إن كانت عاملة.

٣. دور الرجل في تنظيم الأسرة والصحة الإنجابية:

للرجل دور هام في المساهمة في تنظيم الأسرة ودعم الصحة الإنجابية للسيدة:

١- تبنى مفهوم الأسرة الصغيرة.
٢- المشاركة في مسؤولية اتخاذ قرار الحمل والإنجاب مع الزوجة.
٣- تشجيع الزوجة فى اتخاد قرار تنظيم الأسرة.
٤- استخدام الواقى الذكرى كوسيلة لتنظيم الأسرة.
٥- الاهتمام بمتابعة صحة الأم و الأسرة.
٦- تغيير الاتجاهات تجاه تنظيم الأسرة وتغيير السلوك الإنجابي.
٧- الوعى بأهمية المشكلة السكانية وتأثيرها على الحالة الاقتصادية للأسرة والمجتمع.

٤. المباعدة بين الولادات:

تعمل المباعدة بين الحمل والأخر على المحافظة على حياة الأم ومولودها وتقليل حالات الإجهاض والحمل غير المرغوب فيه وتعزيز صحة الأم والمولود وتحسين صحة الأطفال وتغذيتهم ونموهم ، كما تساعد على السماح للأم بأن تتعافى بدنياً وعاطفياً قبل أن تحمل من جديد وتواجه متطلبات حمل آخر وما يعقبه من ولادة وإرضاع ورعاية المولود الجديد ، أيضا تساعد على تحقيق العدالة بين أفراد الأسرة ومن ثم المجتمع، وتسمح للوالدين بتكريس وقت أطول للعناية بطفلهما، مما يُسهم في تحسُّن الأداء المدرسي للأطفال ، وتؤدى الى توفير مساحة للزوجين لقضاء وقت أفضل معاً ومن ثم الحفاظ على العلاقة الزوجية والمودة .

٥. منع زواج الأطفال:

زواج الاطفال هو الزواج الذي يكون فيه عمر أحد الطرفين أو كليهما دون سن ١٨ عاماً، أو لم يبلغا سن الرشد المحدد في الدولة، ويُعدّ الزواج المُبكّر أحد أنواع الزواج القسري، حيث إنّ أحد الطرفين أو كليهما لا يملك الحريّة الكاملة في الموافقة، أو لا يُظهِر موافقةً صريحةً على الزواج،

حيث إنّه لا يمتلك القدرة على تحديد الشريك المناسب له، ويولّد الزواج المُبكّر عدّة آثار اجتماعية كالطلاق المُبكّر الناتج عن اكتشاف الزوجين عدم استعدادهما لبناء أسرة ناجحة؛ وذلك لصغر سنّهما وعدم وعيهما الكافي في آلية بناء الأسرة، ومن الآثار الاجتماعية الناجمة عن الزواج المُبكّر ما يأتي:

- انتشار العنف الأسري.
- انتشار الفقر.
- انخفاض مستوى التعليم.

أيضا الزواج المبكر يؤدّي إلى نتائج صحية سلبية عديدة؛ كفقر الدم، وارتفاع ضغط الدم لدى الأم، كما تواجه الأمهات الصغيرات التي تتراوح أعمارهنّ ما بين ١٠ و١٩ عاماً نسبةً أعلى من إمكانية الإصابة بتسمّم الحمل، والتهاب بطانة الرحم بعد الولادة، والتهابات في الجهاز التناسلي وتكون الأم المراهقة أكثر عرضةً لاكتئاب ما بعد الولادة بمقدار الضعف عن المرأة الأم الأكبر سنّاً، وقد تظهر أعراض تقلّب في المزاج، وقلق، وحزن، وصعوبة في التركيز والأكل والنوم لمدّة أسبوع إلى أسبوعين.

٦. ضرورة تعليم الاناث:

ينعكس تعليم المرأة على سلوك أطفالها عندما يتم تعليمها ومساواتها في المجتمع ويكون لها حريتها فى إدارة الأسرة ، بعكس المرأة المحرومة من التعليم والتي قد تسئ معاملة اطفالها وتؤدى إلى تربية هشة ، ان تعليم الفتيات يغير إدراك واتجاهات المرأة تماما وينتقل ذلك إلى أولادها وأسرتها والمجتمع المحيط بها، مما يساعد فى النهوض بالمجتمع ككل .

٧. الحد من زواج الأقارب لتجنب الأمراض الوراثية الناجمة عنه:

تشكل الأمراض الوراثية عبئاً ثقيلاً على كل المجتمعات ، وقد أثبتت دراسات عديدة العلاقة بين زواج الأقارب وموت الأجنة والعيوب الخلقية في حديثي الولادة ، وفي دراسة مصرية وجد أن معدل حدوث العيوب الخلقية يمثل ٢-٣% من كل حديثي الولادة ، وحجم العيوب الخلقية في مصر غير محدد بشكل قاطع ولكنه مسئول عن جزء كبير من وفيات الأطفال والرضع " ١٥% من كل وفيات الأطفال كانت بسبب العيوب الخلقية عند الميلاد في عام ٢٠٠٨ " وفي دراسة مصرية اخرى اجريت عام ٢٠١٢ وجد أن ٤,٣% من الأطفال من سن الولادة إلى ١٨ سنة كان لديهم عيوب في الجينات الوراثية " ٣١,٤% مصابون بأمراض عصبية ، و١٨,٥% عيوب في كرات الدم الحمراء والهيموجلوبين ، و ١١,٥% عيوب في الكروموسومات الوراثية ، وفي مصر تنتشر نسبة الأمراض الوراثية لدى ٣% من الأطفال في الأسر وتصل إلى ما بين ٤% و٦% بين الأسر التي يكون فيها الزواج عن صلة قرابة من الدرجة الأولى ولدى هذه الأسر تاريخ مرضى وراثي.

خدمات ووسائل تنظيم الأسرة

تنظيم الأسرة:

هو عمل أو جهد واع ومنظم وحر يقوم به الأزواج لتنظيم الخصوبة أو التحكم فيها إما بتأخير أو المباعدة أو الحد من عدد الولادات. ويتم من خلال برنامج عمل منظم لتوفير معلومات وخدمات تنظيم الأسرة بهدف خفض الخصوبة وتحسين الصحة العامة.

أهمية تنظيم الأسرة:

يقدم تنظيم الأسرة للمرأة والأسرة البدائل والخيارات المتاحة لأسلوب حياة أفضل، حيث يتيح:

١) القدرة على تحديد عدد الأطفال، والمباعدة بين الولادات بحرية ومسئولية.
٢) الحماية من الحمل غير المخطط.
٣) إمكانية حصول المرأة على فرص أفضل لمواصلة التعليم أو العمل.
٤) ينقذ تنظيم الأسرة حياة الأمهات عن طريق:
- ❖ الحد من عدد الولادات.

- ❖ المباعدة بين مرات الحمل.
- ❖ الحد من حالات الحمل في سن صغيرة جدا أو فى مراحل الإنجاب المتأخرة.

الاحتياجات غير الملباة للسيدات:

ترغب أكثر من ١٠٠ مليون امرأة في البلدان الأقل نموا في تجنب الحمل، ولكن لا يستخدمن أيا من وسائل تنظيم الأسرة لأسباب متنوعة. ويوصف هذا الوضع بالاحتياجات غير الملباة لتنظيم الأسرة. وهو رغبة السيدات في تجنب الحمل، ولكن لا يستخدمن أيا من وسائل تنظيم الأسرة لأسباب متنوعة.

الأسباب الأكثر شيوعا للاحتياجات غير الملباة:

١) انخفاض جودة خدمات الرعاية الصحية.
٢) المخاوف بشأن الآثار الجانبية لوسائل منع الحمل.
٣) نقص المعلومات عن وسائل منع الحمل أو أماكن الحصول عليها.
٤) صعوبة الحصول على وسائل منع الحمل الحديثة بسبب بعد أماكن تقديم الخدمة أو التكلفة العالية أو عدم انتظام زيارات العيادات المتنقلة.
٥) المعارضة من الأزواج والأسر والمجتمعات.

الاسباب الأكثر شيوعا للاحتياجات غير الملباة

تنظيم الأسرة أهم محددات الزيادة السكانية

دور خدمات تنظيم الأسرة في تشكيل الهيكل السكاني:

ان تغير معدلات الخصوبة ترجع إلى أربع عوامل مباشرة هي: تنظيم الأسرة، الإجهاض المتعمد، سن الزواج، الرضاعة. وبالنظر الى هذه المحددات نجد أن تنظيم الأسرة هو المحدد الأهم على الإطلاق من بين المحددات المباشرة الأخرى حيث يرجع إليه ما يقرب من ٦٤% من التغير في معدلات الخصوبة في مصر مقارنة ب ١٤% للرضاعة و١٢% للإجهاض المتعمد و١٠% لسن الزواج. بناء عليه، يمكننا القول إن تنظيم الأسرة هو أهم محدد للزيادة السكانية في مصر حيث تتجنب مصر سنويا حوالي ٤مليون حالة حمل غير مخطط لها، وحوالي ١,٦حالة إجهاض غير آمن بفضل استخدام وسائل تنظيم الأسرة وذلك وفقا لبيانات ٢٠١٩.

الهدف الأساسي لتنظيم الاسرة:

قد يجد استخدم مصطلح تنظيم الأسرة مقاومة ورفض نتيجة لفهم مغلوط. وقد يكون الرفض لأسباب دينية أو اجتماعية أو ثقافات موروثة ولكن تنظيم الأسرة بمعناه الشامل هو الترتيب والتنسيق والتدبير، فكلمة تنظيم في اللغة هي اسم مشتق من المصدر نظم وهو بمعنى رتب ودبر ونسق.

وفى عام ٢٠٠٦ أصدر المركز الأمريكي لمكافحة الأمراض (CDC) توصية لتشجيع الرجال والنساء على ترتيب خطة حياتهم الإنجابيّة لمساعدتهم في تجنّب الحمل غير المتعمّد وذلك بهدف تحسين صحّة المرأة وتقليل المضاعفات النّاجمة عن الحمل أو الاجهاض .حيث تتطلّبُ تربية الطّفل مقدارًا هائلًا من الموارد: الاجتماعيّة والماديّة والبيئيّة بالإضافة إلى الوقت، إذ يمكن للتخطيط أن يساعد في ضمان توفّر هذه الموارد عند الرغبة فى حدوث الحمل . على هذا فإن الهدفُ من تنظيم الأسرة يكمنُ في التأكّد من امتلاك الزوجين الموارد الكافية لإتمام غايتهم في إنجاب طفل.

تنظيم الأسرة وصحة الأم:

"يشير مصطلح صحة الأمهات حسب منظمة الصحة العالمية إلى سلامة النساء خلال فترات الحمل والولادة وما بعد الولادة. وتحدث حوالي ٩٩% من وفيات الأمهات في الدول النامية نتيجة حالات الحمل المبكر أو الحمل المتأخر. إذ تواجهُ المراهقات.

خطر حدوث المضاعفات والموت كنتيجة للحمل لذا يفضل الانتظار حتّى بلوغ سنّ الثامنة عشر قبل محاولة الإنجاب ومن الأفضل لصحّة كلّ من الأمّ وطفلها في حالة الرّغبة بإنجاب طفل آخر الانتظار ما لا يقل عن سنتين من تاريخ الولادة الأخيرة قبل الشروع بالحمل كما يستحسن صحيًا في حالة إسقاط الجنين أو الإجهاض الانتظار ٦ أشهر على الأقلّ.

وكذلك يجب أن تدركَ النّساء عند التّخطيط لإنشاء عائلة أن مخاطر الإنجاب تتزايدُ مع تقدّم سنّ المرأة. حيث تزداد الاحتمالات في إنجاب أطفال مصابين بالتّوحّد أو متلازمة ذاوون، كما تتسبب الولادات المتعدّدة والحمل المتأخّر من احتمال الإصابة بمرض السّكري، وزيادة حالات الولادات القيصريّة. كما تتعرّض الأمّهات المتقدّمات في السن لأخطارٍ أكبر إثر فترات المخاض الطّويلة ما يضع حياة الجنين على المحك. من مزايا المباعدة بين إنجاب الأطفال تخفيض عدد وفيات الرضع والأمهات، وتخفيض معدلات التقزم والسمنة والأنيميا والتوحد، إضافة إلى عدم إنهاك المرأة جسدياً ونفسياً.

تنظيم الأسرة والموارد المالية:

إنّ تنظيم الأسرة من بين أكثر التداخلات الصحية فعالية من حيث توفير التكلفة على الدولة ، لذا يجب ضرورة مراجعة الفكرة السائدة باعتبار الانفاق على تنظيم الأسرة وإن كان ضروريا إلا أنه يضغط على موارد الدولة والتي يمكن استخدامها في أغراض أخرى ذات عائد اقتصادي أكبر ، لأن التأثير الاقتصادي للزيادة السكانية وتداعياتها على جودة رأس المال البشري في مصر يجعل تنظيم الأسرة في واقع الأمر استثمارا اقتصاديا ذا عوائد إيجابية تؤثر على الأجيال الحالية والمستقبلية شأنه في ذلك شأن الإنفاق على دعم الصادرات ومن ثم ستتجنب تكاليف تقديم الخدمات الحكومية لهم وتحديدا التعليم والصحة ودعم الغذاء والإسكان والمرافق الاجتماعية ، وهو ما يعكس الأهمية الشديدة لتنظيم الأسرة في مصر وأن الاستثمار في تنظيم الأسرة له فوائد اقتصاديّة واضحة .

ونقلا عن صندوق الأمم المتحدة للسكان "أن مقابل كل دولار يتم استثماره في وسائل منع الحمل، يتم تخفيض تكلفة الرعاية المتعلقة بالحمل مقدار ١,٤٧ دولار".

وتُصنف توفير وسائل منع الحمل في مشروع كوبنهاغن كونسينسس الذي أطلقه عدد من الحائزون على جائزة نوبل بالتعاون مع الأمم المتحدة، أنها ثالث أعلى مبادرة سياسية في المنافع الاجتماعية والاقتصادية والبيئية لكل دولار ينفق.

وذكر أيضا أن توفير خدمات الصّحة الجنسيّة والإنجابيّة عالميا ستعمل على القضاء على الحاجة غير الملبّاة من وسائل منع الحمل وسيؤدى ذلك الى انخفاض في أعداد وفيات الأطفال حديثي الولادة بمقدار ٦٤٠٠٠٠ حالة عالميا، وانخفاض عدد وفيات الأمهات خلال الحمل بنسبة ١٥٠٠٠٠ عالميا وبالمثل انخفاض عدد الأطفال الذين يفقدون أمهاتهم بمقدار ٦٠٠٠٠٠ طفل. وبشكل عام فإن الإنفاق على الأنشطة السكانية، بما في ذلك تنظيم الأسرة، والصحة الجنسية والإنجابية، وتحليل البيانات والسياسات السكانية والإنمائية، مؤشرًا هامًا للتقدم الذي تحرزه البلاد في تنفيذ برنامج عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية وتحقيق مؤشرات التنمية المستدامة.

تنظيم الأسرة وحقوق الإنسان:

يعتبر الوصول إلى تنظيم الأسرة الآمن والطوعي حقًا من حقوق الإنسان وهو عنصر رئيسي للمساواة بين الجنسين وتمكين المرأة والحد من الفقر. وتم الإجماع العالمي على أن تنظيم الأسرة هو حق من حقوق الإنسان ووُثّقَ ذلك في المؤتمر الدولي للسكان والتنمية عام ١٩٩٤والذى عقد في القاهرة وذلك بالبند الثامن من برنامج العمل: "يتمتع جميع الأزواج والأفراد بالحق الأساسي في أن يقرروا بحرية ومسؤولية عدد أطفالهم والمباعدة بين الولادات، بالإضافة إلى حصولهم على المعلومات والتعليم والوسائل للقيام بذلك."

وفى مصر اهتمت الدولة بتعزيز حقوق الإنسان قد أطلق مؤخرا الاستراتيجية الوطنية الأولى لحقوق الإنسان، والتي تهدف لتعزيز الحقوق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية داخل البلاد. وتعد استراتيجية حقوق الإنسان، أول استراتيجية ذاتية متكاملة وطويلة الأمد في مجال حقوق الإنسان في مصر، إذ تتضمن تطوير سياسات وتوجهات الدولة في التعامل مع عدد من الملفات ذات الصلة بحقوق الإنسان.

خيارات وسائل تنظيم الأسرة:

تشمل خيارات وسائل تنظيم الأسرة ما يلي:

- **الوسائل العازلة** من الأمثلة على هذه الوسائل الواقي الذكري والأنثوي، وكذلك الحِجاب الحاجز، وغطاء عنق الرحم وإسفنجة منع الحمل.

- **الوسائل الهرمونية قصيرة المفعول.** تشمل الأمثلة حبوب تنظيم الاسرة، بالإضافة إلى الحلقة المهبلية واللصقة الجلدية وحقن منع الحمل (ديبو-بروفيرا). تُعَدُّ هذه الطرق قصيرة المفعول؛ لأنه يجب تذكُّر استخدامها على أساس يومي أو أسبوعي أو شهري.
- **الوسائل الهرمونية طويلة المفعول.** من الأمثلة على ذلك اللولب الرحمي النحاسي واللولب الرحمي الهرموني وكبسولات تحت الجلد. تُعَدُّ هذه طرقًا طويلة المفعول؛ لأنها تستمر لمدة تتراوح من ثلاث إلى ١٠ سنوات— حسب نوعها — أو حتى تقرر السيدة إزالة الوسيلة.
- **التعقيم** تُعَدُّ هذه وسيلة دائمة لمنع الحمل. من الأمثلة على ذلك ربط البوق للنساء وقطع القناة المنوية للرجال.
- **طرق التوعية بالخصوبة** تُركِّز هذه الوسائل على معرفة أيام الشهر التي يُمكن حدوث الحمل فيها، وتكون غالبًا بناءً على درجة حرارة الجسم الأساسية ومخاط عنق الرحم.
- **وسائل منع الحمل الطارئة — مثل حبوب الصباح التالي للجماع.**

وسائل منع الحمل المختلفة:

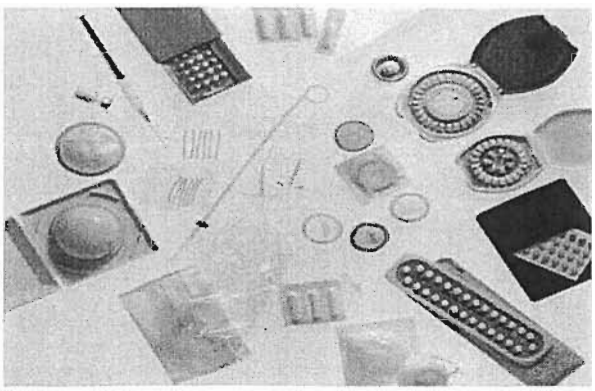

كيف تعمل وسائل منع الحمل المختلفة؟

تعمل وسائل منع الحمل بطرق متنوعة، وتشمل ما يلي:

- ❖ منع الحيوانات المنوية من الوصول إلى البُوَيضة
- ❖ تعطيل أو إتلاف الحيوانات المنوية
- ❖ منع البُوَيضة من الإطلاق في كل شهر
- ❖ تغيير بطانة الرحم بحيث لا تعلق بها البُوَيضة المخصبة
- ❖ زيادة سمك مخاط عنق الرحم بحيث لا تستطيع الحيوانات المنوية أن تمر بسهولة من خلاله

مدى فعالية الوسائل؟

لكي تكون أي طريقة لمنع الحمل فعالة، يجب استخدامها استخدامًا متسقًا وسليمًا. بعض موانع الحمل قد تتطلب جهدًا بسيطًا من المستخدمات، مثل اللولب وكبسولات تحت الجلد المزروعة وكذلك التعقيم حيث يتم وضعها بواسطة مقدم الخدمة الصحية وهى تحقق معدلات وقاية عالية ومعدلات حمل أقل. وفي

المقابل، الطرق التي تتطلب مراقبة الخصوبة أو الامتناع عن الممارسة بشكل دوري وتحقق معدلات وقاية أقل ومعدلات حمل أعلى.

هل تقدم وسائل منع الحمل فوائد أخرى؟

بالإضافة إلى منع الحمل، تقدم بعض وسائل منع الحمل فوائد أخرى مثل تقليل كمية الدم اثناء الدورة الشهرية أو انخفاض خطر الإصابة بالعدوى المنقولة جنسيًا أو تقليل خطر الإصابة ببعض أنواع السرطان.

وعموما أفضل طريقة لتنظيم الأسرة لأي سيدة هي الطريقة الآمنة التي تناسبها والتي يقررها لها الطبيب وتستطيع استخدامها بانتظام وبطريقة صحيحة. وقد تتغير الطريقة الأمثل للسيدة نفسها على مدار حياتها حيث تتأثر بعوامل عديدة منها العمر والتاريخ الصحي، وعدد الأطفال الذي ترغب فيهم أو الموعد المناسب للحمل، وكذلك الاختلافات بين طرق تنظيم الأسرة، مثل مدى فاعليتها في منع الحمل، وآثارها الجانبية، وتكلفتها، وما إذا كانت تمنع العَدوى المنقولة جنسيًا.

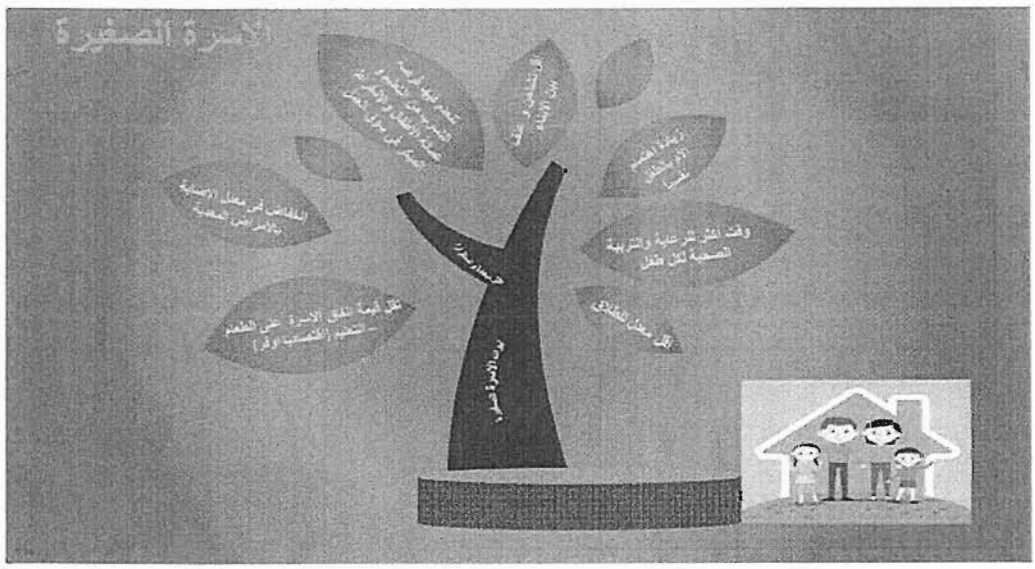

المراجع والمصادر :

- المركز المصري للدراسات الاقتصادية، رأي في خبر (رأي في أزمة) – العدد ٢٠: تأثير الجائحة على الزيادة السكانية في مصر10/08/2020
- حليمة غرزولي (٢٠١٣)، "علاقة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للأسرة بتحديد النسل في الوسط الحضري."

- /http://www.familyplanning2020.org
- Centers for Disease Control and Prevention. (2006). "Recommendations to improve preconception health and health care — United States: a report of the CDC/ATSDR Preconception Care Work Group and the Select Panel on Preconception Care"
- https://www.who.int/news-room/fact-sheets/detail/maternal-mortality
- https://www.usaid.gov/faith-and-opportunity-initiatives/success-stories/World-Vision-Family-Planning
- "Health - Women & Children | Copenhagen Consensus Center".www.copenhagenconsensus.com

أسئلة الجزء الثاني: الصحة الإنجابية ومبادئ تنظيم الأسرة

ضع علامة صح أو خطأ:

م	السؤال	الإجابة	
١	تنظيم الأسرة من بين أكثر التداخلات الصحية فعالية من حيث توفير التكلفة على الدولة	√	X
٢	تقدم بعض وسائل منع الحمل فوائد أخرى مثل تقليل خطر الإصابة ببعض أنواع السرطان.	√	X
٣	تحدث حوالي ٩٩% من وفيات الأمهات في الدول النامية نتيجة حالات الحمل المبكر أو الحمل المتأخر	√	X
٤	توفير خدمات الصّحة الجنسيّة والإنجابيّة لا يؤثر على انخفاض في أعداد وفيات الأطفال حديثي الولادة	√	X
٥	حبوب منع الحمل المركبة تعد من وسائل منه الحمل الهرمونية طويلة المفعول	√	X
٦	لا تشمل الصحة الإنجابية العادات الشخصية الصحية والسلامة البدنية والنفسية	√	X
٧	الصحة الانجابية هي قدرة الناس على التمتع بحياة جنسية مرضية ومأمونة	√	X
٨	الصحة الانجابية لا تسمح للزوجين بحرية اختيار توقيت الحمل	√	X

أنشطة بحثية استرشاديه للطلاب:

- ترتيب سكان العالم من حيث عدد السكان ٢٠٢٢، والتوقعات في ٢٠٥٠ وموقع مصر في الترتيب.
- الهبة الديموجرافية في مصر.
- تاريخ التعداد السكاني في مصر.
- تنظيم الأسرة والأمن القومي.
- السكان والمناخ.

إجابات الجزء الثاني:
الصحة الإنجابية ومبادئ تنظيم الأسرة

رقم السؤال	الإجابة
١	√
٢	√
٣	√
٤	X
٥	X
٦	√
٧	√
٨	X

الفصل الثاني:

حقوق الإنسان

إعداد الملخص

أ.د/ سمير حامد الجمال

أستاذ القانون المدني

ووكيل كلية الحقوق لشئون التعليم والطلاب

جامعة دمياط

الفصل الثاني:
حقوق الإنسان

تمهيد وتقسيم:

خلق الله (سبحانه وتعالى) الإنسان وكرمه على سائر المخلوقات، ولا يستطيع الإنسان أن يحيا حياة طبيعية وكريمة بدون حقوق تكفل له آدميته، وتحقق له رغباته وحاجاته؛ فهي حقوق مقررة لكل شخص وملازمة له لكونه إنساناً. ونقسم هذا الفصل إلى مبحثين، نتناول في المبحث الأول: ماهية حقوق الإنسان ومصادرها؛ ونخصص المبحث الثاني لأنواع حقوق الإنسان، وذلك كما يلي:

المبحث الأول

ماهية حقوق الإنسان ومصادرها

أولاً: تعريف حقوق الإنسان « Human Rights »:

حقوق الإنسان هي: ضمانات قانونية عامة وعالمية تحمي كل إنسان دون تمييز، بغض النظر عن جنسه، أو جنسيته، أو لغته، أو دينه، أو أصله العرقي. وبذلك يتمتع كل إنسان في العالم بحقوقه الخاصة وحرياته الأساسية التي يجب حمايتها من أي اعتداء بما يضمن له العيش بكرامة؛ وحياة آمنة في جميع مناحي الحياة: المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وتحظى حقوق الإنسان بإهتمام العديد من المنظمات الدولية، حيث تعتبر حماية حقوق الإنسان والحريات الأساسية من أهم مقاصد ومبادئ الأمم المتحدة؛ ويتم حمايتها بموجب العديد من الإعلانات والاتفاقيات الدولية والتشريعات الوطنية، ولا يجوز المساس بها، أو الحرمان منها إلا استثناء وفقًا لإجراءات قانونية، وفي حالات محددة.

ثانيًا: خصائص حقوق الإنسان:

تتميز حقوق الإنسان بعدة خصائص أهمها ما يلي:

(١) حقوق الإنسان هي حقوق عالميّة:

تعتبر حقوق الإنسان عالمية، فهي واحدة لجميع الأشخاص في كل مكان من العالم استنادًا إلى كونهم بشرًا بغض النظر عن جنسهم أو ديانتهم أو لغتهم، أو أصلهم العرقي. فقد ولد جميع

الناس أحرارًا، ومتساويين في الكرامة والحقوق، فهي تحمي الفرد والجماعة، وتحظى بضمانات دولية. وتؤدي الصفة العالمية لحقوق الإنسان إلى التزام جميع الدول باحترامها وحمايتها وفقًا للاتفاقيات الدولية. وتشكل هذه الحقوق معيارًا أساسيًا وحدًا أدنى يجب على كل دولة التقيد به.

(٢) حقوق الإنسان غير قابلة للتجزئة ومترابطة:

حقوق الإنسان غير قابلة للتجزئة ومترابطة ومتشابكة، فجميعها متأصلة في كرامة كل شخص وملازمة له. ويجب على المجتمع الدولي أن يعامل حقوق الإنسان على نحو شامل بطريقة منصفة ومتكافئة، وعلى قدم المساواة، وبالقدر نفسه من التركيز. وأن من واجب الدول – بصرف النظر عن نظمها السياسية والاقتصادية والثقافية – تعزيز وحماية حقوق الإنسان والحريات الأساسية[١]؛ سواء أكانت حقوقًا مدنية وسياسية مثل: الحق في المساواة، والحق في حرية التعبير؛ أو حقوقًا اقتصاديّة واجتماعيّة وثقافيّة مثل: حق الملكية، والحق في العمل والضمان الاجتماعيّ، والتعليم؛ أو حقوقًا جماعيّة مثل حق الشعوب في تقرير المصير.

(٣) حقوق الإنسان غير قابلة للتصرّف فيها:

تتميز حقوق الإنسان بأنها حقوق متأصلة في كل فرد من أفراد المجتمع الإنساني، فلا يجوز بيعها أو التنازل عنها أو انتزاعها، ولا يجوز حرمان الإنسان منها إلا في حالات معينة؛ كتقييد حرية الشخص في حالة ارتكابه جريمة معاقب عليها.

ثالثًا: مصادر حقوق الإنسان:

توجد العديد من الإعلانات والاتفاقيات الدولية التي تنظم حقوق الإنسان على المستوى الدولي؛ كما توجد بعض التشريعات لحمايتها على المستوى الوطني، وذلك كما يلي:

(١) المصادر الدولية لحقوق الإنسان:

توجد بعض الإعلانات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان أهمها: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، كما توجد سبع اتفاقيات دولية أساسية لحقوق الإنسان، وذلك كما يلي:

(١) راجع: المادة (٥) من إعلان وبرنامج عمل فيينا الذي اعتمده المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان المنعقد في النمسا بتاريخ ٢٥ يونيو ١٩٩٣.

أ- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام ١٩٤٨:

« The Universal Declaration of Human Rights »

يعد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان(٢) من أهم المواثيق الدولية التي تضمن وتحمي حقوق الانسان وحرياته الأساسية في جميع أنحاء العالم، ويتضمن الإعلان ثلاثين مادة تفصل تلك الحقوق والحريات، وتمنحها للأشخاص بالمساواة دون التفريق بينهم.

ب - الاتفاقيات الدولية الأساسية لحقوق الإنسان:

توجد سبع اتفاقيات دولية أساسية لحقوق الإنسان، وهي:

الاتفاقية الأولى: العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية(٣):

يتضمن هذا العهد حماية حقوق عديدة أهمها: حرية التنقل، والمساواة، والحق في المحاكمة العادلة، والحق في قرينة البراءة التي تقضي بأن الشخص بريء ما لم تثبت إدانته، وحرية الفكر، والتعبير، وحماية حقوق الأقليات. ويجرِّم هذا العهد: الحرمان التعسفي من الحياة باستخدام التعذيب والمعاملة اللاإنسانية، والاعتقال التعسُّفي، والسخرة، والتمييز، وخطابات الكراهية تجاه أي عرق أو دين.

الاتفاقية الثانية: العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية(٤):

يضمن هذا العهد للأفراد التمتع بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية؛ مثل: حق التملك، وحق العمل في ظروف عادلة، وحق الضمان الاجتماعي، والحق في الصحة، وحق التعليم، وغيرها.

الاتفاقية الثالثة: الاتفاقية الدولية للقضاء علي جميع أشكال التمييز العنصري(٥):

تشجب هذه الاتفاقية التمييز العنصري، وتتعهد الدول الأطراف فيها بأن تنتهج، بكل الوسائل المناسبة ودون أي تأخير، سياسة للقضاء علي التمييز العنصري بكافة أشكاله وتعزيز التفاهم بين جميع الأجناس.

---

(٢) صدر بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٢١٧ بتاريخ ١٠ ديسمبر ١٩٤٨ في العاصمة الفرنسية باريس.

(٣) أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ١٦ ديسمبر ١٩٦٦، ودخل حيز النفاذ في ٢٣ مارس ١٩٧٦.

(٤) اعتمد بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٢٢٠٠ (د-٢١) بتاريخ ١٦ ديسمبر ١٩٦٦، ودخل حيز النفاذ في ٣ يناير ١٩٧٦.

(٥) صدرت بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٢١٠٦ (د-٢٠) بتاريخ ٢١ ديسمبر ١٩٦٥، ودخلت حيز النفاذ في ٤ يناير ١٩٦٩.

ويقصد بتعبير التمييز العنصري: أي تمييز أو استثناء أو تقييد أو تفضيل يقوم علي أساس العرق أو اللون أو النسب أو الأصل أو الجنس، ويستهدف تعطيل أو عرقلة الاعتراف بحقوق الإنسان والحريات الأساسية أو التمتع بها أو ممارستها، علي قدم المساواة، في المجالات السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية، أو في أي ميدان آخر من ميادين الحياة العامة.

الاتفاقية الرابعة: اتّفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة[٦]:

تعتبر هذه الاتفاقية القضاء واحدة من معاهدات حقوق الإنسان الدولية الأساسية السبع التي تركز بشكل حصري على الحقوق الخاصة بالمرأة، والقضاء على التمييز على أساس الجنس، وذلك سعيًا وراء تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة في كافة المجالات، بما فيها: التعليم، والعمل، والحياة العامة والسياسية، والعلاقات القانونية، والحياة الاقتصادية والاجتماعية، والعلاقات الأسرية، والتنمية الريفية، والاتِّجار.

ويقصد بالتمييز ضد المرأة: أي تفرقة أو استبعاد أو تقييد يتم على أساس الجنس، ويكون من آثاره أو أغراضه: إضعاف أو منع الاعتراف بكافة الحقوق الإنسانية للمرأة وحرياتها المدنية والسياسية، والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وكافة الحريات الأخرى، بغض النظر عن حالتها الزوجية ووفقًا لأساس واحد وهو المساواة بين الرجل والمرأة.

وتعتبر حقوق المرأة جزء لا يتجزأ من حقوق الإنسان العالمية ولا ينفصل عنها. وأن من أهم أهداف المجتمع الدولي هو: المشاركة الكاملة للمرأة على قدم المساواة، في الحياة السياسية والمدنية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، سواء على المستوى الوطني والإقليمي والدولي، واستئصال جميع أشكال التمييز على أساس الجنس[٧].

الاتفاقية الخامسة: اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة[٨]:

تنص هذه الاتفاقية على عدم جواز تعرض الأفراد للتعذيب أو المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة، وحماية جميع الاشخاص من التعرض للتعذيب.

---

(٦) اعتمدتها الجمعية العامة بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩٧٩، ودخلت حيز النفاذ في ٣ سبتمبر ١٩٨١.

(٧) راجع: المادة (١٨) من إعلان وبرنامج عمل فيينا الذي اعتمده المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان المنعقد في النمسا بتاريخ ٢٥ يونيو ١٩٩٣.

(٨) اعتمدتها الجمعية العامة بموجب القرار رقم ٤٦/٣٩ بتاريخ ١٠ ديسمبر ١٩٨٤ ودخلت حيز النفاذ في ٢٦ يونيه ١٩٨٧.

ويقصد بالتعذيب: أى عمل ينتج عنه ألم أو عذاب شديد، جسديًا كان أم عقليًا، يلحق عمدًا بشخص ما بقصد الحصول من هذا الشخص أو من شخص ثالث، على معلومات أو على اعتراف، أو معاقبته على عمل ارتكبه أو يشتبه في أنه ارتكبه هو أو شخص ثالث، أو تخويفه أو إرغامه هو أو أى شخص ثالث. أو عندما يلحق مثل هذا الألم أو العذاب لأي سبب يقوم على التمييز أيًا كان نوعه، أو يحرض عليه أو يوافق عليه أو يسكت عنه موظف رسمي أو أي شخص يتصرف بصفته الرسمية.

الاتفاقية السادسة: اتّفاقية حقوق الطفل[٩]:

تعتبر حقوق الطفل من أهم حقوق الإنسان في منظومة الأمم المتحدة. وتتضمن هذه الاتفاقية حماية خاصة بالطفل؛ وتعزيز التعاون والتضامن الدوليين لدعم الأطفال لكونهم غير ناضجين بدنيًا، وعقليًا. وللطفل حق في الاسم منذ ولادته، والحق في الحصول على الجنسية[١٠]، ورعاية أبويه، وتوفير كافة الوسائل اللازمة لضمان رفاهية الأطفال المحتاجين للحماية.

ويجب أن يترعرع الطفل في بيئة عائلية ملائمة، من أجل نماء شخصيته نماءً كاملًا ومتناسقًا. واعتماد كافة التدابير التشريعية الوطنية والدولية للدفاع عن الطفل، وحماية أطفال الشوارع، والأطفال المرضى، والأطفال الذين يتعرضون للاستغلال الاقتصادي والجنسي، بما في ذلك بغاء الأطفال أو بيع الأعضاء، والأطفال اللاجئين والمشردين والمحتجزين، والأطفال في النزاعات المسلحة، وضحايا المجاعة والجفاف.

الاتفاقية السابعة: الاتّفاقية الدوليّة لحماية حقوق العمال المهاجرين وأفراد أسرهم[١١]:

تعالج هذه الاتفاقية المشاكل الإنسانية المتعلقة بالهجرة لاسيما الهجرة غير الشرعية، وتشجيع الإجراءات الملائمة بغية منع التنقلات السرية والاتجار بالعمال المهاجرين والقضاء عليها،

(٩) اعتمدتها الجمعية العامة بموجب القرار رقم ٢٥/٤٤ بتاريخ ٢٠ نوفمبر ١٩٨٩ ودخلت حيز النفاذ في ٢ سبتمبر ١٩٩٠.

(١٠) المادة (٧) من اتفاقية حقوق الطفل.

(١١) اعتمدتها الجمعية العامة بموجب القرار رقم ٤٥ بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩٩٠.

وفي الوقت نفسه تأمين حماية الحقوق الخاصة بهم من بعض أرباب العمل الذي يجدون في ذلك ما يغريهم للبحث عن هذا النوع من اليد العاملة بغية جني فوائد المنافسة غير العادلة.

(٢) المصادر الوطنية لحقوق الإنسان:

يجب على الدول التأكد من توافق تشريعاتها الوطنية مع أنظمة حقوق الإنسان الدولية والإقليمية التي هي طرف فيها، الأمر الذي يلعب دورًا مهمًا في تعزيز وحماية حقوق الإنسان. وتتمثل التشريعات الوطنية فيما يلي:

أ - التشريع الأساسي (الدستور) « La constitution »:

الدستور هو مجموعة القواعد القانونية التي تنظم شكل الدولة ونظام الحكم فيها، وتبين الحقوق والحريات الأساسية للأفراد. وهو التشريع الأسمى في الدولة، حيث ينبغي على جميع التشريعات التي تصدر في الدولة أن تكون غير مخالفة لأحكامه، وإلا توصم بعدم الدستورية. وينص الدستور المصري على احترام حقوق الإنسان وحرياته [١٢]؛ ويتناول في الباب الثالث منه الحقوق والحريات.

ب - التشريع العادي (القانون) « La loi »:

يقصد بالتشريع العادي مجموعة القواعد القانونية التي تصدرها السلطة التشريعية في الدولة وفقًا لأحكام الدستور. وهو يشمل كل القوانين المكتوبة المطبقة في الدولة، ما عدا الدستور، كالقانون المدني والقانون التجاري، والقانون الجنائي، وهي تتضمن نصوصًا تحمي حقوق الإنسان بمختلف أنواعها.

ج - التشريع الفرعي (اللوائح) « Le réglement »:

يقصد بالتشريع الفرعي (اللائحة) مجموعة القواعد العامة المجردة الصادرة عن السلطة التنفيذية. وهو تشريع ثانوي تصدره السلطة التنفيذية بمقتضى الاختصاص المخول لها في الدستور.

---

(١٢) المادة (٥) من الدستور المصري.

المبحث الثاني

أنواع حقوق الإنسان

تتنوع حقوق الانسان وتتطور صورها بتغير الظروف وتطور المجتمعات، مما يعَدّ مصدر ثراء لها، وهي تنقسم من حيث الموضوع إلى: الحقوق المدنية والسياسية؛ والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية؛ وذلك على النحو الآتي:

أولاً: الحقوق المدنية والسياسية:

الحقوق المدنية هي التي تثبت للشخص باعتباره إنساناً للحفاظ على آدميته وشخصيته الإنسانية بجميع مقوماتها المادية والمعنوية؛ فهي تثبت للإنسان منذ ولادته، وتظل ملازمة له حتى موته.

أما الحقوق السياسية " Droits politiques " فهي التي تثبت للشخص بصفته مواطناً في دولة معينة، وهي سلطات تقررها فروع القانون العام لبعض الأشخاص باعتبارهم منتمين إلى بلد معين، ويستطيعون بواسطتها القيام بأعمال معينة يشتركون بها في إدارة شئون المجتمع السياسية، كحق الانتخاب، وحق الترشيح، وحق إبداء الرأي في الاستفتاء، وحق تولى الوظائف العامة، وحق تكوين الأحزاب السياسية أو الانتماء إليها(١٣).

وتعتبر الحقوق المدنية والسياسية من الحقوق غير المالية لأنها ترد على قيم معنوية لا تقدر بالنقود بطبيعتها، ولذلك تخرج من دائرة التعامل نهائيًا؛ فلا يجوز التصرف فيها بأي نوع من أنواع التصرفات.

وتتمثل أهم الحقوق المدنية والسياسية فيما يلي:

(١) حق الإنسان في الحياة:

يتقرر لكل فرد الحق في الحياة(١٤)، فهو حق طبيعي ثابت ملازم لكل إنسان، حيث وهب الله (ﷻ) الحياة للإنسان، ولذلك يجب احترامها والمحافظة عليها وتحريم الاعتداء عليها أو تعريضها للأذى بدون وجه حق، ولا يجوز حرمان أي فرد من حياته بشكل تعسفي.

(١٣) راجع: ا.د. محمود عبد الرحمن، المدخل إلى القانون، نظرية للحق، ص ٤٦ وما بعدها.

(١٤) راجع: المادة (٣) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان؛ والمادة (٦) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية؛ والمادة (٢٣٠) وما بعدها من قانون العقوبات المصري.

ولا يجوز في الدول التي لم تلغ عقوبة الإعدام، أن يحكم بهذه العقوبة إلا جزاء على الجنايات بالغة الخطورة، وفقًا للقانون المطبق وقت ارتكاب الجريمة، ولا يجوز تطبيق هذه العقوبة إلا بموجب حكم قضائي نهائي وبات صادر من محكمة مختصة.

(٢) حق الإنسان في السلامة البدنية وحماية الكرامة الإنسانية:

يقصد بحق الإنسان في السلامة البدنية: عدم تعريض الإنسان إلى التعذيب أو العقوبات والمعاملات القاسية والغير إنسانية الماسة بالكرامة(١٥).

ولذلك ظهر مبدأ الكرامة الإنسانية " Le principe de dignité humaine ": ويقصد به حرمة جسم الإنسان واحترامه وحمايته، وفرض حظر رسمي على أي شكل من أشكال المعاملة القاسية أو المهينة له. ويعد هذا الحق من الحقوق الأساسية المستقرة في القوانين منذ القرن الخامس عشر(١٦).

وتبدأ كرامة الإنسان من خلاياه وجيناته(١٧)؛ مما يقتضي حمايتها قانونًا، وحظر أي استنساخ أو عمل يهدد وجودها أو تطورها الطبيعي المحتمل لكي تصبح إنسانًا. ولذلك يجب توفير الحماية القانونية للبويضة الملقحة في حالة استخدامها في البحوث والتجارب الطبية(١٨). وكذا حظر إجراء التجارب الطبية والعلمية على الفرد بدون رضاه الحر والمستنير.

(٣) الحق في المساواة وعدم التمييز:

يقصد بهذا الحق: أن جميع الأفراد متساوون بوصفهم كائنات بشرية واستنادًا إلى الكرامة المتأصلة في كل البشر والمُلازمة لهم. ويستحق جميع البشر التمتع بحقوقهم الإنسانية من دون أي نوع من التمييز بسبب: العرق، أو اللون، أو الجنس، أو العمر، أو اللغة، أو الدين، أو الإعاقة، أو الولادة. و" تكفل الدولة تحقيق المساواة بين المرأة والرجل في جميع الحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وفقًا لأحكام الدستور "(١٩).

---

(١٥) راجع: المادة (٥) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان؛ والمادة (٢٤٠) وما بعدها من قانون العقوبات المصري.

(16) Laurent Pellizza: La future Constitution européenne et la bioéthique, ATER à l'Université de Corse, p. 3 et s.

(17) Anne FAGOT-LARGEAULT: Recherche sur les cellules souches humaines, quelle attitude éthique ?. Esprit (n° 297). 2003. p. 111-120.

(18) Parlement européen. Résolution du 16 mars 1989 sur la manipulation génétique. paragraphe 31.

(١٩) راجع: المادة (١١) من الدستور المصري.

(٤) الحق في التنقل:

يقصد بهذا الحق: حرية الإنسان في التنقل والإقامة والهجرة من مكان الى آخر، واختيار محل إقامته داخل حدود الدولة، ومغادرة دولته والعودة إليها، مع مراعاة ما قد تفرضه الدولة من قيود أو إجراءات لحماية المصلحة العامة والأمن القومي[٢٠]، بموجب أمر قضائي مسبب ولمدة محددة، وفي الأحوال المبينة في القانون.

(٥) الحق في حرمة المسكن والمراسلات:

يقصد بهذا الحق عدم انتهاك حياة الإنسان الخاصة أو أسرته أو حرمة مسكنه أو مراسلاته بمختلف أنواعها البريدية أو الهاتفية، ويحمي القانون هذه الحقوق من الانتهاك[٢١].

ويلاحظ أن للمنازل حرمة، فلا يجوز دخولها، ولا تفتيشها، ولا مراقبتها أو التنصت عليها إلا بأمر قضائي مسبب يحدد: المكان، والتوقيت، والغرض منه، وذلك كله في الأحوال المبينة في القانون. ويجب تنبيه الأشخاص الموجودين في المنازل عند دخولها أو تفتيشها، وإطلاعهم على الأمر الصادر في هذا الشأن[٢٢]. كما أن سرية المراسلات مكفولة، فلا يجوز الاطلاع عليها، أو رقابتها إلا بأمر قضائي مسبب، ولمدة محددة، وفي الأحوال التي يحددها القانون[٢٣].

(٦) حق الاعتقاد والعبادة:

حرية الاعتقاد مطلقة، فلكل إنسان الحق في حرية الوجدان والدين. ويشمل ذلك حريته في أن يدين بديانة سماوية، وإقامة الشعائر الدينية بمفرده أو مع جماعة، وأمام الملأ أو على حدة، دون نقد أو تجريح أو إثارة فتن طائفية وخلافات مذهبية، وبما لا يتعارض مع مقتضيات النظام العام والآداب.

ولا يجوز إخضاع حرية الإنسان فى إظهار دينه أو معتقده إلا للقيود التي يفرضها القانون، وتكون ضرورية لحماية السلامة العامة أو النظام العام أو الآداب العامة أو حقوق الآخرين

(٢٠) راجع: المادة (١٣) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان؛ والمادة (٦٢) من الدستور المصري.

(٢١) راجع: المادة (١٢) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

(٢٢) راجع: المادة (٥٨) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

(٢٣) راجع: المادة (٥٧) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

وحرياتهم الأساسية. وتتعهد الدول باحترام حرية الآباء والأوصياء فى تربية أولادهم دينيًا وخلقيًا[٢٤].

(٧) حق التعبير عن الرأي:

يقصد بحق التعبير عن الرأي: حرية الفرد في التعبير عن آرائه وأفكاره، وتلقي المعلومات ونقلها للآخرين، سواء كان ذلك في شكل مكتوب أو مطبوع أو فى قالب فني أو بأية وسيلة أخرى من وسائل التعبير والنشر[٢٥].

ويلاحظ أن هذا الحق ليس مطلقًا، وإنما مقيد بعدم المساس بالنظام العام والآداب وحقوق الغير. وتخضع القيود التي تحد من هذه الحقوق للرقابة القضائية التي تعد الضمانة الرئيسة لاحترامها.

(٨) الحق في تكوين الجمعيات والأحزاب السياسية والمشاركة فيها:

يقصد بهذا الحق: أن لكل فرد حرية تكوين جمعيات مشروعة مع آخرين، بما فى ذلك حق إنشاء النقابات والانضمام إليها من أجل حماية مصالحه[٢٦] المشروعة. وأن يستمر وجودها لفترة طويلة بقصد ممارسة نشاط محدد ومعلوم سلفًا، وتهدف لتحقيق أغراض معينة منصوص عليها ومشروعة ولا تهدف لتحقيق الربح.

ويجوز وضع بعض القيود على ممارسة هذا الحق بناء على نص القانون، طالما كانت ضرورية لحماية الأمن القومي أو النظام العام أو الآداب أو حماية حقوق الآخرين وحرياتهم. ويشترط لتأسيس هذه الجمعيات إبلاغ الجهات المختصة للحصول على ترخيص منها.

ثانيًا: الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية:

هي تلك الحقوق التي تتطلب تدخل إيجابي من الدولة، وتعد بمثابة التزامات على الدولة، ومن أهم هذه الحقوق:

(١) حق التملك:

(٢٤) راجع: المادة (١٨) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية.

(٢٥) راجع: المادة (١٩) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية؛ والمادة (٦٥) من الدستور المصري.

(٢٦) راجع: المادة (٢٢) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية.

لكل شخص حق التملك بمفرده أو بالاشتراك مع غيره، ولا يجوز تجريد أحد من ملكه تعسفًا[٢٧]، ويجب حماية ملكيته من الاعتداء عليها، ويكون لمالك الشيء، في حدود القانون، حق استعماله واستغلاله والتصرف فيه. والملكية الخاصة مصونة، وحق الإرث فيها مكفول، ولا يجوز فرض الحراسة عليها إلا في الأحوال المبينة في القانون، وبحكم قضائي[٢٨].

وحق الملكية ليس مطلقًا، حيث أصبح من المألوف كثرة التدخل التشريعي بالقيود التي تُحد من حرية المالك على ما يملك، حيث يجيز القانون نزع الملكية الفردية للمنفعة العامة إذا اقتضت ذلك المصلحة العامة[٢٩].

(٢) الحق في العمل:

يجب توفير فرص عمل مناسبة وفقًا لمبدأ تكافؤ الفرص، وحق كل فرد في اختيار عمله بحرية، والحصول على أجر عادل يكفل له ولأسرته حياة كريمة؛ وفي الحماية من البطالة؛ وتكوين النقابات والانضمام إليها، والحق في تحديد ساعات معقولة للعمل والأجازات وتوفير بيئة عمل صحية وملائمة. وقد حظى الحق في العمل باهتمام الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان[٣٠]؛ وكذا الدستور المصري الذي ينص على أن: " العمل حق، وواجب، وشرف تكفله الدولة. ولا يجوز إلزام أي مواطن بالعمل جبرًا، إلا بمقتضى قانون، ولأداء خدمة عامة، لمدة محددة، وبمقابل عادل، ودون إخلال بالحقوق الأساسية للمكلفين بالعمل "[٣١].

وتلتزم الدولة بالحفاظ على حقوق العمال، وتعمل على وجود علاقات عمل متوازنة بين العامل وصاحب العمل، وتكفل سبل التفاوض الجماعي، وحماية العمال من مخاطر العمل وتوافر شروط الأمن والسلامة والصحة المهنية، ويحظر فصل العمال تعسفيًا، وذلك كله على النحو الذي ينظمه القانون[٣٢].

(٣) الحق في الضمان والتأمين الاجتماعي:

---

(٢٧) راجع: المادة (١٧) من الإعلان العالمي للإنسان.

(٢٨) راجع: المادة (٣٥) من الدستور المصري.

(٢٩) القانون رقم ١٠ لسنة ١٩٩٠ بشأن نزع الملكية للمنفعة العامة.

(٣٠) راجع: المادة (٢٣) من الإعلان العالمي للإنسان؛ والمادة (٦) من العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

(٣١) راجع: المادة (١٢) من الدستور المصري.

(٣٢) راجع: المادة (١٣) من الدستور المصري.

تكفل الدولة توفير خدمات التأمين الاجتماعي، بما يضمن حياة كريمة لكل مواطن، إذا لم يكن قادرًا على إعالة نفسه وأسرته، وفي حالات العجز عن العمل والشيخوخة والبطالة. وأموال التأمينات والمعاشات أموال خاصة، تتمتع بجميع أوجه وأشكال الحماية المقررة للأموال العامة، وهي وعوائدها حق للمستفيدين منها، وتستثمر استثمارًا آمنًا، وتديرها هيئة مستقلة، وفقًا للقانون(٣٣).

(٤) الحق في الصحة:

لكل مواطن الحق في الرعاية الصحية المتكاملة وفقًا لمعايير الجودة، وتكفل الدولة الحفاظ على مرافق الخدمات الصحية العامة التي تقدم خدماتها للشعب ودعمها والعمل على رفع كفاءتها وانتشارها الجغرافي العادل(٣٤)؛ وحماية الأشخاص من المخاطر الصحية والأمراض المعدية والمحافظة على السلامة الجسدية والنفسية والاهتمام بالصحة الإنجابية، وخفض معدلات وفيات الأطفال والمواليد، وتحسين النظم البيئية والصناعية، والسيطرة على جميع أنواع الأمراض والأوبئة المتوطنة وغيرها، وخلق ظروف تضمن وجود جميع الخدمات والرعاية الطبية في حالة المرض(٣٥).

(٥) الحق في التعليم:

يعد الحق في التعليم من الحقوق الأساسية للإنسان نظرًا لما له من أهمية بالغة في تربية وتعليم الأجيال وتثقيفهم وتوعيتهم. ولذلك تحرص الدولة على إقامة المنشآت التعليمية وتوفير التعليم للمواطنين، وتشجيع البحث العلمي، وحماية حقوق الملكية الفكرية " Droits intellectuels ".

والتعليم حق لكل مواطن، هدفه بناء الشخصية المصرية، والحفاظ على الهوية الوطنية، وتأصيل المنهج العلمي في التفكير، وتنمية المواهب وتشجيع الابتكار، وترسيخ القيم الحضارية والروحية، وإرساء مفاهيم المواطنة والتسامح وعدم التمييز، وتلتزم الدولة بمراعاة أهدافه في مناهج التعليم ووسائله، وتوفيره وفقاً لمعايير الجودة العالمية. والتعليم إلزامي حتى نهاية المرحلة الثانوية أو ما يعادلها، وتكفل الدولة مجانيته بمراحله المختلفة في مؤسسات الدولة التعليمية، وفقاً للقانون(٣٦). ويجب أن يحصل الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة على التعليم ضمن نظام التعليم العام.

---

(٣٣) راجع: المادة (١٧) من الدستور المصري.

(٣٤) راجع: المادة (١٨) من الدستور المصري.

(٣٥) راجع: المادة (١٢) من العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

(٣٦) راجع: المادة (١٩) من الدستور المصري.

أسئلة الفصل الثاني: حقوق الإنسان

م	السؤال	الإجابة	
١	لا يستطيع الإنسان أن يحيا حياة طبيعية وكريمة بدون حقوق تكفل له آدميته، وتحقق له رغباته وحاجاته.	√	X
٢	حقوق الإنسان مقررة لكل شخص وغير ملازمة له.	√	X
٣	حقوق الإنسان هي: ضمانات قانونية عامة وعالمية تحمي كل إنسان دون تمييز، بغض النظر عن جنسه، أو جنسيته، أو لغته، أو دينه، أو أصله العرقي.	√	X
٤	لا تحظى حقوق الإنسان بإهتمام المنظمات الدولية.	√	X
٥	حقوق الإنسان هي حقوق عالميّة.	√	X
٦	حقوق الإنسان غير قابلة للتجزئة ومترابطة.	√	X
٧	يعتبر حق الشعوب في تقرير مصيرها من الحقوق الجماعية.	√	X
٨	حقوق الإنسان قابلة للتصرُّف فيها.	√	X
٩	لا يجوز تقييد حرية الشخص في حالة ارتكابه جريمة معاقب عليها.	√	X
١٠	يعد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان من أهم المواثيق الدولية التي تضمن وتحمي حقوق الانسان وحرياته.	√	X
١١	توجد سبع اتفاقيات دولية أساسية لحقوق الإنسان.	√	X
١٢	صدر العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية عام ١٩٩٩.	√	X
١٣	قرينة البراءة تقضي بأن الشخص بريء ما لم تثبت إدانته.	√	X
١٤	صدر العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية عام ١٩٦٦.	√	X
١٥	يجب القضاء علي التمييز العنصري بكافة أشكاله وتعزيز التفاهم بين جميع الأجناس.	√	X
١٦	تركز اتّفاقية القضاء على أشكال التمييز ضد المرأة بشكل حصري على الحقوق الخاصة بالطفل.	√	X
١٧	تنص اتّفاقية القضاء على أشكال التمييز ضد المرأة على عدم التمييز على أساس	√	X

م	السؤال	الإجابة	
	الجنس.		
١٨	تعتبر حقوق المرأة جزء لا يتجزأ من حقوق الإنسان العالمية ولا ينفصل عنها.	✓	X
١٩	يجوز تعرض المتهم للتعذيب في حالة ارتكابه إحدى الجنايات بالغة الخطورة.	✓	X
٢٠	تعتبر حقوق الطفل من أهم حقوق الإنسان في منظومة الأمم المتحدة.	✓	X
٢١	للطفل حق في الاسم قبل ولادته.	✓	X
٢٢	لا تتضمن اتّفاقية حقوق الطفل حماية خاصة بأطفال الشوارع.	✓	X
٢٣	تشجع الاتّفاقية الدوليّة لحماية حقوق العمال المهاجرين الهجرة غير الشرعية.	✓	X
٢٤	ينص الدستور المصري على احتَرام حقوق الإنسان وحرياته.	✓	X
٢٥	تتضمن القوانين الوطنية نصوصًا تحمي حقوق الإنسان بمختلف أنواعها.	✓	X
٢٦	تعتبر اللوائح من المصادر الوطنية لحقوق الإنسان.	✓	X
٢٧	تثبت الحقوق المدنية والسياسية للإنسان منذ ولادته، وتظل ملازمة له حتى موته.	✓	X
٢٨	يعتبر حق الانتخاب من الحقوق السياسية.	✓	X
٢٩	تعتبر الحقوق المدنية والسياسية من الحقوق المالية.	✓	X
٣٠	يجوز التصرف في الحقوق المدنية والسياسية.	✓	X
٣١	حق الإنسان في الحياة هو من الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.	✓	X
٣٢	حق الإنسان في الحياة هو حق طبيعي ثابت ملازم لكل إنسان.	✓	X
٣٣	يجوز حرمان أي فرد من حياته بشكل تعسفي.	✓	X
٣٤	يجوز تطبيق عقوبة الإعدام كجزاء على الجنايات بالغة الخطورة بدون حكم قضائي نهائي وبات.	✓	X
٣٥	يجوز إجراء التجارب الطبية والعلمية على الفرد بدون رضاه الحر.	✓	X
٣٦	لا يجوز التمييز بين البشر بسبب الجنس أو اللون أو الدين أو اللغة.	✓	X
٣٧	للإنسان الحق في التنقل والإقامة والهجرة من مكان الى آخر دون أي قيود أو إجراءات.	✓	X
٣٨	للمنازل حرمة، فلا يجوز دخولها، ولا تفتيشها، ولا مراقبتها أو التنصت عليها إلا بأمر قضائي مسبب.	✓	X
٣٩	لكل إنسان ممارسة شعائر ديانته السماوية، بما لا يتعارض مع مقتضيات النظام	✓	X

م	السؤال	الإجابة	
	العام والآداب.		
٤٠	لكل إنسان حرية في التعبير عن آرائه وأفكاره بشرط عدم المساس بالنظام العام والآداب وحقوق الغير.	√	X
٤١	يشترط لتأسيس الجمعيات والأحزاب السياسية إبلاغ الجهات المختصة للحصول على ترخيص منها.	√	X
٤٢	لا تتطلب الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية تدخل إيجابي من الدولة.	√	X
٤٣	لا يجوز فرض الحراسة على الملكية الخاصة إلا في الأحوال المبينة في القانون، وبحكم قضائي.	√	X
٤٤	يجيز القانون نزع الملكية الخاصة للمنفعة العامة إذا اقتضت ذلك المصلحة العامة.	√	X
٤٥	العمل حق، وواجب، وشرف تكفله الدولة.	√	X
٤٦	يجوز فصل العمال تعسفيًا.	√	X
٤٧	للعامل الحق في التأمين الاجتماعي في حالات العجز عن العمل والشيخوخة والبطالة.	√	X
٤٨	لكل مواطن الحق في الرعاية الصحية المتكاملة وفقًا لمعايير الجودة.	√	X
٤٩	يعد الحق في التعليم من الحقوق الأساسية للإنسان.	√	X
٥٠	تحرص الدولة على إقامة المنشآت التعليمية وتوفير التعليم للمواطنين.	√	X

إجابات أسئلة الفصل الثاني:
حقوق الإنسان

رقم السؤال	الإجابة		رقم السؤال	الإجابة
١	صح		٢٦	صح
٢	خطأ		٢٧	صح
٣	صح		٢٨	صح
٤	خطأ		٢٩	خطأ
٥	صح		٣٠	خطأ
٦	صح		٣١	خطأ
٧	صح		٣٢	صح
٨	خطأ		٣٣	خطأ
٩	خطأ		٣٤	خطأ
١٠	صح		٣٥	خطأ
١١	صح		٣٦	صح
١٢	خطأ		٣٧	خطأ
١٣	صح		٣٨	صح
١٤	صح		٣٩	صح
١٥	صح		٤٠	صح
١٦	خطأ		٤١	صح
١٧	صح		٤٢	خطأ
١٨	صح		٤٣	صح
١٩	خطأ		٤٤	صح
٢٠	صح		٤٥	صح
٢١	خطأ		٤٦	خطأ
٢٢	خطأ		٤٧	صح
٢٣	خطأ		٤٨	صح
٢٤	صح		٤٩	صح
٢٥	صح		٥٠	صح

الفصل الثالث:

الشفافية ومكافحة الفساد

إعداد الملخص

أ.د/ سمير حامد الجمال

أستاذ القانون الجنائي

ووكيل كلية الحقوق لشئون التعليم والطلاب

جامعة دمياط

الفصل الثالث

الشفافية ومكافحة الفساد

تمهيد وتقسيم:

يعتبر الفساد ظاهرة عالمية تتضخم وتتشعب لتهدد استقرار المجتمعات وأمنها، ومهما تطورت التشريعات، فإنه يتعذر كشف الفساد ومكافحته والسيطرة عليه دون إطار قانوني متكامل. وتواجه مكافحة الفساد تحديات لم تكن مطروحة من قبل، حيث ظهرت إشكالًا جديدة من الفساد، وأصبح على المشرع مسايرة تلك المستجدات وعدم الاعتماد على أساليب تقليدية مكلفة وعقيمة في مكافحة الفساد.

ونقسم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث نعرض في الأول: لماهية الشفافية والفساد؛ ونخصص المبحث الثاني: لأنواع الفساد؛ ونتناول في المبحث الثالث: وسائل مكافحة الفساد.

المبحث الأول

ماهية الشفافية والفساد

نعرض فيما يلي: تعريف الشفافية والنزاهة، وتعريف الفساد:

أولاً: تعريف الشفافية والنزاهة:

(١) تعريف الشفافية « Trasparency »:

الشفافية هي إحدى المصطلحات الحديثة التي تستخدمها الجهات المعنية بمكافحة الفساد في العالم، وهي أداة مهمة للحد من الفساد ومكافحته. وترتبط الشفافية ارتباطًا وثيقًا بحقوق الإنسان الأساسية، فمن حق المواطن أن يحصل على المعلومات الكافية بشأن المعاملات والقرارات المرتبطة بمصالحه.

ويقصد بالشفافية: الوضوح التام في اتخاذ القرارات، وما تقوم به الهيئات والمؤسسات والمرافق العامة، ووضوح علاقتها مع الموظفين والمنتفعين من الخدمة أو ممولها، وعلنية الإجراءات والغايات والأهداف، بحيث تكون كل المعلومات والحقائق معروضة ومتاحة للمراقبة والمساءلة.

وتعد العلانية والوضوح والمكاشفة والمصداقية والإفصاح والقانونية من العناصر الأساسية للشفافية، ويجب تعزيز الشفافية بضمان تداول المعلومات المتعلقة بالفساد، والإفصاح عنها وسهولة الوصول إليها، مما يساعد في اتخاذ التدابير الوقائية لملاحقة الفاسدين ومنع الفساد والوقاية منه، واسترداد موجودات الفساد وعائداته.

(٢) تعريف النزاهة « Integrity »:

يقصد بالنزاهة: الالتزام بالقيم والمبادئ الأساسية وأخلاقيات العمل، التي لابد من وجودها لدى الأشخاص، وتتعلق: بالصدق والأمانة، والإخلاص والمهنية في العمل، وعدم الإضرار بالأخرين.

ووضعت منظمة الشفافية الدولية ميثاقًا للنزاهة " Le Pacte d'intégrité " من أجل الحكومات وقطاع الأعمال والمجتمع المدني لمكافحة الفساد في مجال المقاولات العامة.

وبرغم التقارب بين مفهومي الشفافية والنزاهة إلا أن الأول يتعلق بنظم وإجراءات عملية، بينما يتعلق الثاني بقيم أخلاقية ومعنوية.

ثانيًا: تعريف الفساد « Définition de la corruption »:

تعرف منظمة الشفافية الدولية[٣٧] الفساد بأنه: كل عمل يتضمن سوء استخدام الشخص للمنصب العام لتحقيق مصلحة خاصة ذاتية لنفسه أو جماعته.

ونرى تعريف الفساد بأنه: كل سلوك غير مشروع، يتضمن إساءة استعمال الوظيفة العامة أو الخاصة، بغرض الإثراء الشخصي والحصول على منافع أو امتيازات خاصة من أي نوع للنفس أو للغير.

ويهدف هذا التعريف الواسع إلى مكافحة الفساد في القطاع الخاص، لأن الفساد لا يقتصر فقط على العاملين بالدولة، بل يتفشى أيضًا في القطاع الخاص، الذي يقوم بدور مهم في إفساد القطاع الحكومي[٣٨]. وهو الأمر الذي يتطلب وضع استراتيجية قانونية متكاملة لمكافحة الفساد في القطاع الحكومي وقطاع الأعمال العام والقطاع الخاص " Le secteur privé ".

---

(٣٧) منظمة الشفافية الدولية هي: منظمة دولية غير حكومية تأسست عام ١٩٩٣، ويقع مقرها في برلين، ويوجد لها ٧٠ فرعًا منتشرًا في العديد من دول العالم، وتهدف إلى دعم أنظمة النزاهة، وتعقب ظاهرة الفساد والحد منها محليًا وإقليميًا ودوليًا.

(38) Transparency International: Le Rapport mondial sur la corruption 2009, La corruption et le secteur privé Cambridge, Cambridge University Press, 2009.

المبحث الثاني

أنواع الفساد

يتنوع الفساد إلى أشكال عديدة، فقد يكون: ماليًا، أو إداريًا، أو سياسيًا، وذلك كما يلي:

(١) الفساد المالي « Financial Corruption »:

يتمثل الفساد المالي في الانحرافات المالية ومخالفة القواعد والأحكام التي تنظم سير العمل الإداري والمالي في الدولة ومؤسساتها.

وقد يؤدي الفساد المالي إلى انخفاض الأجور[٣٩]، وتقدير المرتبات بطريقة غير علمية تتنافى مع الواقع، ولا توجد فيها نظم للحوافز والمكافآت والمزايا الوظيفية التي تساعد العاملين على التمسك بأخلاقيات الوظيفة ومتطلبات العمل، مما يدفعهم إلى اللجوء لمصادر الدخل غير المشروعة لمواجهة متطلبات المعيشة المرتفعة.

وربط المشرع المصري بين تجريم أهم أفعال الفساد وبين الوظيفة العامة، وجرم العديد من الأفعال التي تمس جوهر ونزاهة الوظيفة العامة، ضمن إطار الجرائم المضرة بالمصلحة العامة، وأهم جرائم الفساد هي: جريمة الرشوة؛ وجرائم اختلاس المال العام وغسل الأموال؛ والكسب أو الإثراء غير المشروع، وذلك على النحو الآتي:

أ – الرشوة:

الرشوة هي: طلب أو أخذ أو قبول لوعد أو عطية يصدر من موظف عام أو من في حكمه للقيام بعمل من أعمال وظيفته يختص به، أو الامتناع عن القيام به، أو الإخلال بواجبات وظيفته[٤٠].

وتتطلب الرشوة وجود عدة أطراف هم:

- **المرتشي:** وهو الموظف العام الذي يأخذ العطية من الراشي، أو يقبل الحصول عليها إذا عرضت عليه، أو يطلبها من الراشي، في مقابل قيامه بعمل من أعمال وظيفته أو امتناعه عن القيام به.

(39) Dixieme congres des Nations Unies pour la prevention du crime et le traitement des delinquants, Le coût de la corruption, Publié par le Département de l'information de l'ONU DPI/2088/B, p. 2.

(٤٠) راجع: المواد (١٠٣ – ١١١) من قانون العقوبات المصري.

- **الراشي:** هو صاحب المصلحة الذي يقدم العطية للموظف العام، أو يعرضها عليه، أو يوافق على طلب الموظف لها، في مقابل قيام هذا الموظف بعمل من أعمال وظيفته أو الامتناع عن القيام به.
- **الوسيط:** يمكن أن يشترك طرف ثالث في جريمة الرشوة ليتوسّط بين طرفيها الأساسيين، ويُطلق عليه «الوسيط»، وهو يُعتبَر شريكاً في الجريمة.

وجاء في الاتفاقية الدولية لمكافحة الفساد لعام ٢٠٠٣[٤١] بأن للرشوة صورتين هما الصورة التقليدية للرشوة عندما تدفع من موظف عام وطني، أما بالصورة الثانية التي تقع من موظف عام أجنبي أو موظف في مؤسسة دولية.

ب – اختلاس الأموال العامة:

اختلاس الأموال العامة هو عبث الموظف بما أؤتمن عليه من مال عام بحكم توليه الوظيفة العامة، وله انعكاسات اقتصادية خطيرة تتمثل في قيام الموظف العام باختلاس أموال أو أوراق أو غيرها وجدت في حيازته بسبب وظيفته، ويعاقب عليها المشرع بالسجن المشدد[٤٢].

وتنص المادة (١٧) من الاتفاقية الدولية لمكافحة الفساد على ضرورة اتخاذ كل دولة ما يلزم من تدابير تشريعية لتجريم قيام الموظف العمومي عمدًا لصالحه أو لصالح شخص آخر باختلاس أو تبديد أي ممتلكات أو أوراق أو أموال عمومية أو أي أشياء ذات قيمة عهد بها إليه بحكم موقعه أو بتسريبها بشكل آخر.

ج – غسل الأموال " Le blanchiment d'argent ":

يقصد بغسل الأموال أو تبيض الأموال الملوثة من الأنشطة الإجرامية: قيام الموظف العام بجمع الثروات الطائلة المتحصلة من جرائم الفساد، وتهريبها إلى الخارج وتحويلها إلى ذهب أو مجوهرات أو شراء عقارات[٤٣]، بهدف إخفاء المصدر غير المشروع والمحظور لهذه الأموال، أو مساعدة أي شخص ارتكب جرمًا على تجنب المسئولية القانونية عن الاحتفاظ بمتحصلات هذا الجرم.

---

(٤١) صدقت مصر على اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد في عام ٢٠٠٥، وأصبح لها قوة القانون.

(٤٢) راجع: المادة (١١٢) من قانون العقوبات المصري.

(٤٣) راجع: د. نادر عبد العزيز شافي، تبييض الأموال، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠١، ص ١٤٤.

وتعتبر جريمة غسل أو تبييض الأموال المتحصلة من جرائم الفساد من صور الفساد الخطرة، لأنها تضمن للجاني الاستمرار في الاستفادة من تلك الأموال دون الخوف من المسائلة القانونية، لأنها ستظهر بصورة الأموال المشروعة، مما يزيد من صعوبة اكتشافها، ويعرقل سير العدالة(٤٤).

د – الكسب أو الإثراء غير المشروع:

الكسب غير المشروع: هو صورة من صور الفساد المالي، التي يستغل فيها الموظف العام بعض الثغرات التشريعية لكسب الأموال، وزيادة ممتلكاته بشكل لا يتناسب مع دخله.

وتنص المادة (٢٠) من الاتفاقية الدولية لمكافحة الفساد على ضرورة مكافحة الثراء غير المشروع من خلال توجيه الدول باتخاذ ما يلزم من تدابير تشريعية ودستورية لتجريم الإثراء غير المشروع والمتمثل بزيادة الموجودات زيادة كبيرة لا يستطيع ذلك المثري تعليلها بصورة معقولة.

(٢) الفساد الإداري:

الفساد الإداري هو: إساءة استخدام السلطة المرتبطة بمنصب معين، وذلك عن طريق المحسوبية ومحاباة الأقارب أو التوصية عليهم. ويرتبط الفساد الإداري بالوظائف العامة، وهو يربك المعايير التي تقوم عليها المؤسسات، ويمنع تطورها، ويستبدل الكفاءة بالمحسوبية، والصالح العام بمصالح خاصة مما يؤدي إلى اتخاذ قرارات تضر بالمصلحة العامة.

ويتخذ الفساد الإداري صورًا مختلفة منها:

أ- استغلال النفوذ الوظيفي:

استغلال النفوذ الوظيفي هو استفادة الموظف من وظيفته العامة للحصول على امتيازات خاصة، من خلال استغلال المعلومات التي يفترض أنها سرية في جهة العمل، أو القدرة على التأثير بصورة غير قانونية أو غير مشروعة على قرار جهة أخرى. ومثال ذلك: احتكار الموظف العام بعض الخدمات والسلع والمواد الأساسية، أو على بعض الوكالات التجارية، أو مشاركة رجال أعمال وتجار ومستثمرين من الباطن، أو التصرف في الأملاك العامة بطرق غير قانونية.

(٤٤) راجع: المادة (٢٣) من الاتفاقية الدولية لمكافحة الفساد لعام ٢٠٠٣.

ب- المحسوبية والمحاباة والواسطة:

المحسوبية هي: تنفيذ أعمال لصالح جهة أو فرد ينتمي لحزب أو جهة أو عائلة أو منطقة معينة دون أن يكون له الحق في ذلك. مثال ذلك: قيام الموظف المسئول عن منح الأموال المخصصة للمساعدات الاجتماعية، بتوزيعها على الأشخاص الذين ينتمون لحزبه، أو لمنطقته الجغرافية.

أما المحاباة فيقصد بها: تفضيل طرف على طرف آخر في العقود أو التعيينات، دون أن يكون له الحق في ذلك. مثال ذلك: قيام الموظف المسئول بخدمة لشخص معين، متخطيًا في ذلك أشخاص آخرين مستحقين لها.

ويقصد بالواسطة: تدخل الموظف لصالح شخص أو جماعة معينة، دون الالتزام بأصول العمل والكفاءة، مثل تعيين شخص في منصب معين لأسباب تتعلق بالقرابة أو الانتماء الحزبي، رغم أنه غير كفء، ولا يستحق ما حصل عليه.

(٣) الفساد السياسي " Political Corruption ":

برز مفهوم الفساد السياسي بشكل متزايد خلال العقدين الماضيين. ويكون الفساد سياسيًا عندما تكون دوافعه وأهدافه سياسية، وذلك بالتنصل من الواجبات الرسمية المتصلة بالوظيفة العامة لتحقيق مصلحة خاصة لمجموعة أو حزب معين؛ كأن يتم اساءة استخدام السلطة العامة لدى نخبة سياسية لتقديم دعم مالي لبعض الأحزاب أو الأفراد بالمخالفة للقانون؛ أو الانحياز لجهة معينة عند توزيع المناصب؛ أو تداول المعلومات وتسريبها إلى جهات غير مسموح لها بمعرفتها.

المبحث الثالث

وسائل مكافحة الفساد

تتعدد الأجهزة الرقابية الخاصة بمكافحة الفساد في مصر، وتتنوع أدوارها وتتباين اختصاصاتها وصلاحياتها، وهذه الجهات هي: نيابة الأموال العامة[٤٥]، وجهاز الكسب غير المشروع[٤٦]، والجهاز

(٤٥) القانون رقم ٤٦ لسنة ١٩٧٢ بشأن السلطة القضائية.

(٤٦) القانون رقم ٩٥ لسنة ١٩٨٠ بشأن حماية القيم.

المركزي للمحاسبات[٤٧]، وهيئة الرقابة الإدارية[٤٨]، ومباحث الأموال العامة[٤٩]، والنيابة الإدارية[٥٠]، والمجالس المحلية[٥١].

ونعرض فيما يلي: التدابير الوقائية لمكافحة الفساد، والتعويض عن أضرار الفساد، واسترداد الموجودات المتحصلة من الفساد، ومصادرة الموجودات وردها لمالكها، وبطلان العقود المشوبة بالفساد، والإطار التشريعي لمكافحة الفساد:

أولاً: التدابير الوقائية لمكافحة الفساد:

تتطلب مكافحة الفساد اتخاذ تدابير وقائية " Mesures préventives " ذات طابع إجرائي وقتي، حتى يتم الفصل في الدعوى القضائية ضد مرتكب أفعال الفساد. وتتمثل أهمية هذه التدابير في حماية المضرورين من الفساد من التأخر في الفصل في موضوع الدعوى، مما يمكن المعتدي من إخفاء العائدات الإجرامية المتحصلة من الفساد، أو نقل ملكيتها للغير، أو غسل هذه الأموال وتهريبها إلى العديد من الدول الأجنبية، قبل الحكم في موضوع الدعوى المدنية التي قد تستغرق وقتًا طويلًا، مما يجعل للمشكلة تأثيرًا مزدوجًا يتمثل في: إخفاء الدليل الرئيسي لأفعال الفساد، وتطلب اتخاذ إجراءات استردادها من دول أجنبية بما يكتنف ذلك من صعوبات.

ووردت الإجراءات الوقائية بشأن الفساد على سبيل المثال لا الحصر، وهي تتعدد بما يتناسب مع طبيعة كل فعل من أفعال الفساد، ومن أهم هذه التدابير: حماية المُبلّغين عن وقائع الفساد، وحماية المضرورين والخبراء والشهود في قضايا الفساد، والتحفظ والحجز على العائدات الإجرامية للفساد؛ ومنع غسل الأموال الملوثة بالفساد، وذلك بإنشاء نظام داخلي شامل للرقابة والإشراف على المصارف والمؤسسات المالية التي تقدم خدمات في مجال تحويل الأموال أو كل ما له قيمة، من أجل ردع وكشف جميع أشكال غسل الأموال، وتحديد هوية العملاء والمنتفعين، وحفظ السجلات والإبلاغ عن المعاملات المشبوهة؛ والتعاون الدولي في مجال المساعدة القانونية المتبادلة في التحقيقات والدعاوى والإجراءات القضائية المتصلة بجرائم الفساد، بهدف: الحصول على أدلة أو أقوال أشخاص؛ وتقديم أصول المستندات والسجلات ذات الصلة، بما فيها السجلات الحكومية أو المصرفية أو سجلات الشركات، أو نسخ مصدقة

(٤٧) القانون رقم ١٤٤ لسنة ١٩٨٨ بشأن الجهاز المركزي للمحاسبات.

(٤٨) القانون رقم ٥٤ لسنة ١٩٦٤ بشأن هيئة الرقابة الإدارية.

(٤٩) القانون رقم ٦١ لسنة ١٩٦٤ بإصدار قانون هيئة الشرطة.

(٥٠) القانون رقم ١١٧ لسنة ١٩٥٨ بشأن إعادة تنظيم النيابة الإدارية والمحاكمات التأديبية.

(٥١) قانون الإدارة المحلية الصادر رقم ٤٣ لسنة ١٩٧٩ وتعديلاته.

منها؛ وتنفيذ عمليات التفتيش والحجز والتحفظ؛ وفحص الأشياء والمواقع وتقديم المعلومات وتقارير الخبراء؛ وتحديد العائدات الإجرامية أو الممتلكات أو الأدوات أو الأشياء الأخرى أو اقتفاء أثرها بغرض إثباتها؛ وتيسير مثول الأشخاص في الدولة الطالبة؛ وإنشاء هيئة متخصصة في مكافحة الفساد.

ثانيًا: التعويض عن أضرار الفساد:

يتسم الفاسدون بالدهاء ويتمتعون بالنفوذ والسلطة والقدرة على إخفاء مخالفاتهم، وهو الأمر الذي يجعل التعويض عن أضرار الفساد أكثر تعقيدًا وتشابكًا، ويتطلب وضع قواعد قانونية ملائمة توفر للمضرورين من أفعال الفساد سبل الحصول على التعويض الكامل للأضرار التي تلحق بهم. وتعتبر اتفاقية مجلس أوروبا لعام ١٩٩٩ هي أول محاولة لتحديد معايير دولية مشتركة للتعويض عن أضرار الفساد.

ويعتبر التعويض من وسائل الحماية المدنية الموضوعية المهمة للمضرورين من أفعال الفساد، لأن التدابير الوقائية، رغم أهميتها في الحد من الفساد، إلا أنها لا تحسم النزاع نهائيًا، ولهذا كان لابد من اتخاذ إجراءات موضوعية تحسم هذا النزاع، وتكفل للمضرور الحصول على التعويض الكامل الذي يتناسب مع الأضرار التي لحقت به.

ثالثًا: استرداد الموجودات المتحصلة من الفساد:

يحرص المشرع على حرمان المفسدين من جني ثمار فسادهم، فألزم كل من حصل على إثراء غير مشروع، لنفسه أو لغيره، بمبلغ يعادل مقدار ذلك الإثراء ورد مثله. وعلى المحكمة المختصة أن تحكم على الغير الذي استفاد من الإثراء غير المشروع بالرد من أمواله إلى خزينة الدولة بقدر ما استفاد. كما لا يمنع سقوط الدعوى الجنائية بالوفاة من الحكم برد الإثراء غير المشروع وذلك خلال سنتين من تاريخ الوفاة. ويتعين على الدول التعاون لاسترداد الموجودات المتحصلة من الفساد، والمساعدة في منع وكشف تحويلها، وإرجاعها وتتبع التصرف فيها.

رابعًا: مصادرة الموجودات وردها لمالكها:

يجوز مصادرة الموجودات المتحصلة من أفعال الفساد، أو أية ممتلكات تعادل قيمتها؛ وكذلك مصادرة الممتلكات أو المعدات أو الأدوات الأخرى التي استُخدمت أو كانت معدّة للاستخدام في ارتكاب أفعال الفساد. وإذا تم تحويل تلك الموجودات إلى ممتلكات أخرى أو بدلت بها، جزئيًا أو كليًا، وجب

إخضاع تلك الممتلكات للمصادرة، وما يتبعها من الإيرادات أو المنافع الأخرى المتولدة منها، أو من الممتلكات التي حُوّلت إليها تلك الموجودات أو بُدّلت بها، أو من الممتلكات التي اختلطت بها.

خامسًا: بطلان العقود المشوبة بالفساد:

يؤدي الفساد إلى بطلان العقود المشوبة به، باعتباره فعلًا غير مشروع، وللمضرور من إبرام العقود المشوبة بالفساد، طلب بطلانها مع حقه في طلب التعويض عن الأضرار التي لحقت به إن كان لذلك مقتضى. وللمحكمة أن تقضي ببطلان العقود الملوثة بالفساد من تلقاء نفسها. كما يؤدي الفساد إلى بطلان شروط التحكيم الموجودة بالعقد.

وقد وضعت منظمة الشفافية الدولية ميثاقًا للنزاهة " Le Pacte d'intégrité " يضمن مكافحة الفساد عند إبرام العقود، بحيث تلتزم الأطراف المتعاقدة بعدم دفع أو عرض أو تلقي أية رشاوى أو عمولات أو هدايا للتواطؤ مع الأطراف المتنافسة للفوز بإبرام العقد، وتسري هذه الأحكام على جميع مراحل العقد بما فيها المفاوضات أو اختيار المتعاقد وإبرام العقد أو أثناء تنفيذه، وعلى جميع أنواع السلع والخدمات.

وفي حالة مخالفة ذلك يكون العقد باطلاً، ويكون لكل صاحب مصلحة مشروعة الحق في التعويض العادل عن الأضرار التي لحقت به من جراء حرمانه من التعاقد بسبب الفساد، بالإضافة إلى حرمان الطرف المخالف من مبالغ الضمان التي أودعها، ووضعه في القائمة السوداء التي تحظر التعاقد معه مستقبلاً، وتمنعه من التعامل في السوق بصورة جزئية أو كلية لفترة زمنية مناسبة.

سادسًا: الوسائل الأخرى لمكافحة الفساد:

يتطلب مكافحة الفساد، اتخاذ وسائل أخرى لمكافحة الفساد، وذلك كما يلي:

(١) تشديد الجزاء الجنائي والمدني وتنظيم المسئولية عن كافة صور الفساد الضار بالمجتمع، ومنها الفساد الناجم عن استخدام الإنترنت في الفساد المعلوماتي، والدخول غير المصرح به للأنظمة الإلكترونية بهدف إتلاف محتوياته أو محو أدلة الفساد أو تغيير محتواها أو إعاقة الرسائل أو تحويرها عبر الإنترنت.

(٢) ضرورة إصدار قانون شامل لمكافحة الفساد يوفر الإطار القانوني لتعديل قواعد القانون المدني لتتلاءم من التطورات الجديدة لمكافحة الفساد، والتوافق مع اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد لعام

٢٠٠٣، ووضع التدابير اللازمة لحماية المبلغين والشهود والضحايا والخبراء في وقائع وقضايا الفساد.

(٣) ضرورة التنسيق وتعزيز التعاون الدولي قضائيًا وإجرائيًا في مجال المسئولية المدنية عن الفساد. وتفعيل أحكام الاتفاقيات الدولية الخاصة بمكافحة الفساد، ومكافحة الجرائم المعلوماتية بشأن الفساد.

(٤) الأخذ بنظام المصادرة العينية لموجودات وعائدات الفساد، أو أية ممتلكات تعادل قيمتها؛ وكذلك مصادرة الممتلكات أو المعدات أو الأدوات الأخرى التي استُخدمت أو كانت معدّة للاستخدام في ارتكاب أفعال الفساد وتفعيل التعاون الدولي في هذا الشأن.

أسئلة الفصل الثالث: الشفافية ومكافحة الفساد

م	السؤال	الإجابة	
١	يعتبر الفساد ظاهرة عالمية تتضخم وتتشعب لتهدد استقرار المجتمعات وأمنها.	√	X
٢	يتعذر كشف الفساد ومكافحته والسيطرة عليه دون إطار قانوني متكامل.	√	X
٣	تواجه مكافحة الفساد تحديات لم تكن مطروحة من قبل.	√	X
٤	الشفافية هي أداة مهمة للحد من الفساد ومكافحته.	√	X
٥	لا ترتبط الشفافية ارتباطًا وثيقًا بحقوق الإنسان الأساسية.	√	X
٦	يقصد بالشفافية: عدم الوضوح التام في اتخاذ القرارات.	√	X
٧	يجب تعزيز الشفافية بضمان تداول المعلومات المتعلقة بالفساد.	√	X
٨	لا يوجد فرق بين مفهومي الشفافية والنزاهة.	√	X
٩	وفقًا للمفهوم الواسع للفساد فإنه يقتصر فقط على العاملين بالدولة.	√	X
١٠	يقوم القطاع الخاص بدور مهم في إفساد القطاع الحكومي.	√	X
١١	يتمثل الفساد المالي في الانحرافات المالية ومخالفة القواعد والأحكام التي تنظم سير العمل الإداري والمالي في الدولة	√	X
١٢	جرم المشرع المصري أهم أفعال الفساد ضمن إطار الجرائم المضرة بالمصلحة العامة.	√	X
١٣	تتطلب جريمة الرشوة وجود طرف واحد فقط هو المرتشي.	√	X
١٤	اختلاس الأموال العامة هو عبث الموظف بما أؤتمن عليه من مال عام بحكم توليه الوظيفة العامة.	√	X
١٥	يعاقب على جريمة اختلاس الأموال العامة بالحبس.	√	X
١٦	لم تتضمن الاتفاقية الدولية لمكافحة الفساد أي نص بشأن اختلاس الأموال العامة.	√	X
١٧	تضمن جريمة غسل الأموال للجاني الاستمرار في الاستفادة من تلك الأموال دون الخوف من المسائلة القانونية.	√	X
١٨	لا تهدف جريمة غسل الأموال إلى إخفاء المصدر غير المشروع والمحظور لهذه الأموال.	√	X

م	السؤال	الإجابة	
١٩	الكسب غير المشروع: هو صورة من صور الفساد المالي.	√	X
٢٠	لا يؤدي الكسب غير المشروع إلى زيادة ممتلكات الجاني بشكل لا يتناسب مع دخله.	√	X
٢١	لم تنص الاتفاقية الدولية لمكافحة الفساد على ضرورة مكافحة الثراء غير المشروع.	√	X
٢٢	يجب على الدول اتخاذ ما يلزم من تدابير تشريعية ودستورية لتجريم الإثراء غير المشروع.	√	X
٢٣	لا يرتبط الفساد الإداري بالوظائف العامة.	√	X
٢٤	يستبدل الفساد الإداري الكفاءة بالمحسوبية.	√	X
٢٥	استغلال النفوذ الوظيفي هو استفادة الموظف من وظيفته العامة للحصول على امتيازات خاصة.	√	X
٢٦	لا تعتبر المحسوبية والمحاباة والواسطة من صور الفساد الإداري.	√	X
٢٧	يكون الفساد سياسيًا عندما تكون دوافعه وأهدافه سياسية.	√	X
٢٨	تتعدد الأجهزة الرقابية الخاصة بمكافحة الفساد في مصر.	√	X
٢٩	تتطلب مكافحة الفساد اتخاذ تدابير وقائية.	√	X
٣٠	التدابير الوقائية لمكافحة الفساد ليست ذات طابع إجرائي مؤقت.	√	X
٣١	يكتنف إجراءات استرداد الأموال المتحصلة من الفساد من دول أجنبية بعض الصعوبات.	√	X
٣٢	وردت الإجراءات الوقائية بشأن الفساد على سبيل الحصر.	√	X
٣٣	يجب حماية المُبلّغين عن وقائع الفساد.	√	X
٣٤	لا يلزم حماية الخبراء والشهود في قضايا الفساد.	√	X
٣٥	لا يجوز التحفظ والحجز على العائدات الإجرامية للفساد.	√	X
٣٦	يجب منع غسل الأموال الملوثة بالفساد.	√	X
٣٧	يتطلب التعويض عن أضرار الفساد وضع قواعد قانونية ملائمة.	√	X
٣٨	يعتبر التعويض من وسائل الحماية المدنية الموضوعية المهمة للمضرورين من أفعال الفساد.	√	X
٣٩	يحرص المشرع على حرمان المفسدين من جني ثمار فسادهم.	√	X

م	السؤال	الإجابة	
٤٠	لا يتعين على الدول التعاون لاسترداد الموجودات المتحصلة من الفساد.	✓	X
٤١	يجوز مصادرة الموجودات المتحصلة من أفعال الفساد.	✓	X
٤٢	يؤدي الفساد إلى بطلان العقود المشوبة به.	✓	X
٤٣	للمحكمة أن تقضي ببطلان العقود الملوثة بالفساد من تلقاء نفسها.	✓	X
٤٤	يؤدي الفساد إلى بطلان شروط التحكيم الموجودة بالعقد.	✓	X
٤٥	وضعت منظمة الشفافية الدولية ميثاقًا للنزاهة.	✓	X
٤٦	لا يلزم مكافحة الفساد عند إبرام العقود.	✓	X
٤٧	يجب تشديد الجزاء الجنائي والمدني وتنظيم المسئولية عن كافة صور الفساد الضار بالمجتمع.	✓	X
٤٨	يجب تعزيز التعاون الدولي قضائيًا وإجرائيًا في مجال المسئولية المدنية عن الفساد.	✓	X
٤٩	لا يلزم مكافحة الجرائم المعلوماتية بشأن الفساد.	✓	X
٥٠	يجب الأخذ بنظام المصادرة العينية لموجودات وعائدات الفساد.	✓	X

إجابات أسئلة الفصل الثالث:
الشفافية ومكافحة الفساد

رقم السؤال	الإجابة		رقم السؤال	الإجابة
١	صح		٢٦	خطأ
٢	صح		٢٧	صح
٣	صح		٢٨	صح
٤	صح		٢٩	صح
٥	خطأ		٣٠	خطأ
٦	خطأ		٣١	صح
٧	صح		٣٢	خطأ
٨	خطأ		٣٣	صح
٩	خطأ		٣٤	خطأ
١٠	صح		٣٥	خطأ
١١	صح		٣٦	صح
١٢	صح		٣٧	صح
١٣	خطأ		٣٨	صح
١٤	صح		٣٩	صح
١٥	خطأ		٤٠	خطأ
١٦	خطأ		٤١	صح
١٧	صح		٤٢	صح
١٨	خطأ		٤٣	صح
١٩	صح		٤٤	صح
٢٠	خطأ		٤٥	صح
٢١	خطأ		٤٦	خطأ
٢٢	صح		٤٧	صح
٢٣	خطأ		٤٨	صح
٢٤	صح		٤٩	خطأ
٢٥	صح		٥٠	صح

الفصل الرابع :

سماحة الأديان

وآداب الحوار مع الآخر

تأليف

أ.د/ سعد الدين مسعد هلالي

أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر

مراجعة

الشيخ/ خالد عبدالمحسن الجندي

عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

نيافة/ الأنبا إرميا

الأسقف العام رئيس المركز الثقافي القبطي الأرثوذكسي

الفصل الرابع
سماحة الأديان وآداب الحوار مع الآخر

بسم الله الرحمن الرحيم

التقديم لسماحة الأديان وآداب الحوار مع الآخر

أولًا: أهمية الموضوع ودور الدين في بناء الحضارة الرشيدة

إن الاهتمام بقضية "سماحة الأديان وآداب الحوار مع الآخر" دليل على سلامة مسار الإنسانية نحو رشدها المنشود، وهي تعيد صياغة مستقبل الإنسان الحالم بالأمن على حياته في سلام بدون عنف أو إرهاب، والواعد بثراء علمي ومعرفي واسع ومتنوع، بدون أنانية أو احتكار، وإنما بروح الإنسانية الجامعة لأفرادها، والمستثمرة لتنوعهم واختلافهم في إقامة حضارة رشيدة، تتأسس على ما يليق بها في عيشها المشترك المحتوم من سماحة وتراحم ومحبة، وتأخذ بما يعينها في إعمارها، وتبادلها للمعلومات والثقافات والخبرات من تعاون وتَفَهُّم، وحوار يجمع ولا يفرق، ويُحْسن تلقي الدين أو الأديان – بحسب توجيه مصطلحه بالإفراد أو بالجمع – في منظومة السنة الكونية التي ترى الإنسان مكرمًا مسئولًا عن اختياره، وتدبير شئونه، وإقامة حضارته الرشيدة. فالدين الحق لا يعزل صاحبه عن دنياه التي يعيشها بنواميسها الكونية المخلوقة والمعهودة، وإنما يكون هو نداء الحق وصوت الضمير وجرس الإنذار الذي يوقظ صاحبه إن غفل، ويهديه إن ضل، ويهون عليه إن كلّ، ويأخذ بيده إن كسل، وعليها إن ظلم، ويطيب خاطره إن ابتلي، ويُبشره – ولا يُخوِّفه – إن اجتهد بقلبه السليم ونفسه المطمئنة.

تعددت الكتب المقدسة للأديان، واختلفت في لغاتها التي نزلت عليها، وفي صياغتها المروية بها، وفي صورة شعائرها التعبدية. ولكنها تتفق – في الجملة – على أن المعبود هو "الله" – جل شأنه – وأنها كتب هادية للتي هي أقوم بجوامع كلمها الذي يليق بالإله الحق الأزلي بكلامه، وجميع صفاته المقدسة، وأن الإنسان هو أكرم الخلق في الأرض، وأنه لا ينفك عن واقعه زمانًا ومكانًا ووضعًا، وأنه برشده مسئول عن اختياره وتصرفاته وفهومه؛ فكانت صورة تدينه انعكاسًا لفقهه لدينه ومعتقده في ربه، وليست بالضرورة أن تكون هي الصورة المثلى المعصومة، أو أن تكون هي الحق الأوحد؛ فكثيرًا ما يتعدد الحق في فهوم البشر من جهاتهم المختلفة.

والناس في ربها معذورة بحسن ظنها فيه، ما لم يكن على حساب إنسان آخر في حرماته المكفولة لكل أحد. ومن ثم كان الدين لله؛ ليتنافس الناس جميعًا في تقديم الأكمل والأعظم والأجمل والأحسن في

فهمهم لدينهم ومعتقدهم في ربهم؛ كما ورد في القرآن الكريم: {ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ } (سورة الزمر: الآية ١٨)، وأيضًا: {وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم} (سورة الزمر: الآية ٥٥). وجاء في الإنجيل المقدس: "طُوبَى لِمَنْ يَحْفَظُ أَقْوَالَ نُبُوَّةِ هذَا الْكِتَابِ" (سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي الأصحاح ٢٢: الآية ٧).

ومن المسلمات الفطرية والدينية – التي لا يختلف عليها أحد – أن حل المنازعات بين البشر بالطرق السلمية، وإشاعة السلم أحسن من حلها بالعنف وإشعال الحروب بينهم. كما أن التسامح بين العباد في حقوقهم أحسن من التشاح فيها، وأن الحوار بما يليق وكرامة الإنسان أحسن من الإساءة فيه، وأن قبول التدين من عدمه مرده إلى الله وحده.

كل ذلك يؤكد أن التسامح – كصيغة للتعامل الإنساني في حقوق العباد، والحوار بالأليق والأحسن كأسلوب حياة بين البشر – جزء من رسالة الأديان، وركن في حضارة الإنسانية الرشيدة. وهذا ما نرجو بيانه في هذا البحث.

ثانيًا: خطة البحث ومنهج كتابته

نتناول الحديث عن سماحة الأديان وآداب الحوار مع الآخر في ثلاثة مباحث وخاتمة؛ على الوجه الآتي:

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات العنوان. وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالسماحة، وأهميتها الدينية، والاعتراف العالمي بقيمتها.

المطلب الثاني: التعريف بالدين، وأهميته، ومصادر عقيدته المعرفية.

المطلب الثالث: التعريف بالآداب، وأهميتها، ومصادرها، ومكانتها الدينية.

المطلب الرابع: التعريف بالحوار والجدال، والفرق بينهما، وفوائد الحوار.

المطلب الخامس: التعريف بالآخر، وحتمية بقائه.

المبحث الثاني: سماحة الأديان، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: سماحة الأديان في المعاملات.

المطلب الثاني: سماحة الأديان في الاجتماعيات.

المطلب الثالث: سماحة الأديان في الانتماء المانع من العنف والإرهاب والتكفير.

المطلب الرابع: سماحة الأديان في المقاصد بحسن الخلق، والسلام الاجتماعي، ووحدة الوطن.

المبحث الثالث: آداب الحوار مع الآخر، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الاعتراف بالأخوة الإنسانية، وحق الاختلاف.

المطلب الثاني: التمسك بثقافة السلام، والعيش المشترك.

المطلب الثالث: الاستفادة من الثقافات، والتبادل الحضاري.

المطلب الرابع: الإصغاء واحترام الحريات العامة.

المطلب الخامس: ضبط النفس، ونبذ الخيانة والتهديد والإرهاب.

المطلب السادس: الانتهاء كالابتداء بالأليق من محاسن الأخلاق.

الخاتمة: الشخصية المصرية بين المرض والتعافي في التسامح الديني.

وقد انتقينا العبارة السهلة والبسيطة، والصياغة الواضحة والمباشرة في معناها، والتزمنا منهج التأصيل والاستقراء والتحليل والاستنتاج في مسائل هذا البحث؛ لتعم الفائدة، ويتمكن القارئ من التحصيل، ويأمل في المزيد للرشد الإنساني سماحة وأدبًا في الحوار. فما أعظمها قضية بدأت، والقادم فيها على يد الأبناء والأحفاد أعظم بإذن الله تعالى،، والله ولي التوفيق.

القاهرة في ١٩/١١/٢٠٢٢م

المؤلف: أ.د/ سعد الدين مسعد هلالي. المراجعان: نيافة الأنبا إرميا. الشيخ/ خالد الجندي.

المبحث الأول

التعريف بمصطلحات العنوان

حديثا عن "سماحة الأديان وآداب الحوار مع الآخر" يستوجب التعريف بمفردات هذا العنوان، وما يتعلق بها من ضروريات المسائل. وهذا ما سنوجزه في المطالب الخمسة التالية:

المطلب الأول: التعريف بالسماحة وأهميتها الدينية والاعتراف العالمي بقيمتها:

أولًا: تعريف السماحة

(١) السماحة – في لغة العرب – هي السهولة واللين، والمسامحة المساهلة، وتسامحوا تساهلوا. وسماحة الأديان أي يسرها أوسهولتها أو أريحيتها على النفس، وكذلك سلامها أو نُبلها أو مروءتها مع الآخر.

(٢) السماحة – في تعامل الناس – هي حسن المعاملة باتباع معالي الأخلاق، وترك المشاحة، أو التضييق في المطالبة.

ثانيًا: أهمية السماحة الدينية

تدل النصوص الدينية على أهمية السماحة في النجاة يوم القيامة، وتحصيل حب الناس في الدنيا، وفتح أبواب الرزق فيها، والتنزه عن الشح والبخل الهادمين للمكارم، والتحلي بأفضل الأعمال. ونبين أدلة ذلك فيما يلي:

(١) رجاء النجاة في الآخرة:

(أ) **القرآن الكريم:** { وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا } (سورة الفرقان: الآية ٦٣)

(ب) **الحديث النبوي:**"الرَّاحمون يرحَمُهمُ الرحمنُ، ارحموا أهلَ الأرضِ، يرحمْكم مَن في السماءِ" (أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو). أيضًا: "حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنْ النَّاسِ" (رواه أحمد والترمذي وابن حبان عن عبد الله بن مسعود).

(ج) **الإنجيل المقدس:** "طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ، لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ." (إنجيل متى الأصحاح ٥: الآية ٧).

(٢) كسب حب الناس وثقتهم:

(أ) **القرآن الكريم:** { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ } (سورة آل عمران : الآية ١٥٩).

(ب) **الحديث النبوي:** "أوَلا أدُلُّكُمْ علَى شيءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحابَبْتُمْ؟ أفْشُوا السَّلامَ بيْنَكُمْ" (أخرجه مسلم عن أبي هريرة). أيضًا: "رَأسُ العَقلِ بَعدَ الإيمانِ بِاللَّهِ التَّحَبُّبُ إلَى النَّاسِ" (أخرجه الطبراني والطيالسي عن علي بن أبي طالب).

(ج) **الإنجيل المقدس:** "وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا." (إنجيل يوحنا الأصحاح ١٣: الآية ٣٤).

(٣) **فتح أبواب الرزق:**

(أ) **القرآن الكريم:** { وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ } (سورة الطلاق: الآيتان ٢-٣).

(ب) **الحديث النبوي:** "رحم الله رجلًا سمحًا إذا بَاعَ، وإذا اشترى، وإذا اقتضى" (أخرجه البخاري عن جابر بن عبد الله).

(ج) **الإنجيل المقدس:** "أَيْضًا كُنْتُ فَتًى وَقَدْ شِخْتُ، وَلَمْ أَرَ صِدِّيقًا تُخُلِّيَ عَنْهُ، وَلاَ ذُرِّيَّةً لَهُ تَلْتَمِسُ خُبْزًا." (سفر المزامير ٣٧: ٢٥).

(٤) **التنزه عن الشح والبخل الهادمين للمكارم:**

الشح أبلغ في المنع من البخل. وقيل: البخل أن يضن بماله، والشح أن يبخل بماله ومعروفه (معالم السنن للخطابي).

(أ) **القرآن الكريم:** { وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ } (سورة الحشر: الآية ٩).

(ب) **الحديث النبوي:** "خصلتانِ لا تجتَمعانِ في مؤمنٍ: البخلُ وسوءُ الخُلُقِ" (أخرجه الترمذي والبيهقي عن أبي سعيد الخدري). أيضًا: " كَفَى بِالْمَرْءِ مِنَ الشُّحِّ أَنْ يَقُولَ: آخُذُ حَقِّي لَا أَتْرُكُ مِنْهُ شَيْئًا " (أخرجه أبو سعيد ابن الأعرابي في معجمه، والحاكم في مستدركه عن أبي أمامة). أيضًا: "إيَّاكم والشُّحَّ فإنَّما هلَكَ من كانَ قبلَكم بالشُّحِّ أمرَهم بالبُخلِ فبخلوا وأمرَهم بالقطيعةِ فقَطعوا وأمرَهم بالفُجورِ ففجروا" (أخرجه أبو داود والحاكم عن عبد الله بن عمرو).

(ج) **الإنجيل المقدس:** "لاَ أَحَدٌ أَقْبَحَ جُرْمًا مِنَ البَخِيلِ. لِمَاذَا يَتَكَبَّرُ التُّرَابُ وَالرَّمَادُ؟" (سفر يشوع بن سيراخ الأصحاح ١٠: الآية ٩).

(٥)التحلي بأفضل الأعمال لكسب النفس واحترامها

(أ) **القرآن الكريم:** {فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ} (سورة الحجر: الآيتان ٨٥-٨٦). أيضًا: {فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ} (سورة الزخرف: الآية ٨٩).

(ب) **الحديث النبوي:** قال رجل: يا نبيَ الله، أيّ العملِ أفضلُ؟ قال: "الإيمانُ بالله، وتصديقٌ به، وجهادٌ في سبيله، قال: أريدُ أهونَ من هذا يا رسولَ الله، قال: السّماحةُ والصبرُ، قال: أريدُ أهونَ من ذلك يا رسولَ الله، قال: لا تتّهِمِ اللهَ تبارك وتعالى في شيء قضى لك به" (أخرجه أحمد عن عبادة بن الصامت).

(ج) **الإنجيل المقدس:** "كُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ" (رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس الأصحاح ٤ : الآية ٣٢).

ثالثًا: الاعتراف العالمي بقيمة السماحة:

اتفق العالم على أن تكون له كلمة سواء باسم الأمم المتحدة التي أنشأها سنة ١٩٤٥م، وكان من ثمارها الطيبة اتخاذ يوم ١٦ نوفمبر في كل عام باسم "اليوم الدولي للتسامح" بعد أن دعت إليه الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٩٦م؛ بهدف ترسيخ قيم وثقافات التسامح، والاحترام والتآخي، ونبذ كل مظاهر التعصب، والكراهية، والتمييز.

وكانت الأمم المتحدة قد أعلنت أن سنة ١٩٩٥م "سنة الأمم المتحدة للتسامح" بمبادرة من المؤتمر العام لليونسكو، حيث اعتمدت الدول الأعضاء إعلان المبادئ المتعلقة بالتسامح، ويؤكد هذا الإعلان على ما يلي:

(١) التسامح لا يعني التساهل في المبادئ، أو عدم الاكتراث، بل هو احترام وتقدير التنوع الثقافي والإنساني.

(٢) التسامح يعترف بكافة حقوق الإنسان العالمية والحريات الأساسية للآخرين.

(٣) التسامح ليس فقط واجبًا أخلاقيًا، ولكنه أيضًا شرط سياسي وقانوني للأفراد، والجماعات، والدول.

(٤) إنشاء جائزة لتعزيز روح التسامح واللاعنف في الأنشطة الهامة في المجالات العلمية، والفنية، والثقافية، والتواصلية، وتكافئ الجائزة الأشخاص أو المؤسسات أو المنظمات التي تميزت بقيامها بمبادرات جديرة بالتقدير، وهدفت إلى تعزيز التفاهم، وتسوية المشكلات الدولية أو الوطنية بروح

من التسامح واللاعنف على مدار عدة سنوات، ويتم منح هذه الجائزة كل سنتين خلال احتفال رسمي بمناسبة اليوم الدولي للتسامح في ١٦ نوفمبر.

وقد تقرر حمل تلك الجائزة اسم المانح من دولة الهند، وهو السيد "مادا نجيت سنغ" الذي كان سفير اليونسكو للنوايا الحسنة، وفنانًا وكاتبًا ودبلوماسيًا.

المطلب الثاني: التعريف بالدين وأهميته ومصادر عقيدته المعرفية:

أولًا: التعريف بالدين:

(١) الدين – في لغة العرب – هو اسم لجميع ما يُتدين به، أي يَخضع له ويُسلم به. من قولك: دان لله يدين دينًا، أي خضع وسلَّم. كما يطلق الدين – في اللغة – على عادة الإنسان وسيرته. والدين مصدر يطلق على المفرد والجمع، فإذا جمع على أديان فالمقصود بيان تعدد أنواعه، مثل: البيع والبيوع.

(٢) الدين – في استعمال أهل الكتب السماوية أو غيرها – هو الخضوع لشعائرها المعروفة، والتسليم بكتبها المقدسة؛ وفق مقتضياتها الفقهية.

(٣) الدين – في العرف الإنساني؛ بما للإنسان من حرية الاعتقاد – هو ما اعتقده الإنسان مقدسًا يخضع له ويسلم به؛ تعبُّدًا وتقربًا إلى المعبود في قلبه.

(٤) الدين – في لفظ القرآن الكريم – هو الإسلام { إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ } (سورة آل عمران: الآية ١٩)، وهذا الإسلام لكل أحد "أسلم وجهه لله وهو محسن" في شأنه كله بإخلاص نفسه وسلامة قلبه { بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (سورة البقرة: الآية ١١٢). { وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا } (سورة النساء:١٢٥). {وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ } (سورة لقمان: الآية ٢٢).

ويلاحظ أن تعريف الدين بالخضوع والتسليم في لغة العرب أو عند أهل الكتب المقدسة أو عند الإنسان يجعله متعددًا بتعدد أهل الكتب أو أهل التدين { لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} (سورة الكافرون: الآية ٦).

أما تعريف الدين بأنه "تسليم الوجه لله وهو محسن" فيجعله واحدًا عند الله، وعند الناس أجمعين. وبيان ذلك عند الله هو قوله سبحانه: { وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ } (سورة آل عمران: الآية ٨٥) بالتعريف المذكور، وهو الذي يتفق في معناه مع الحديث النبوي الشريف: "المسلمُ من سلمَ الناس من لسانه ويدهِ ، والمؤمنُ من أمنَهُ النّاسُ علَى دمائِهم وأموالِهم". (أخرجه أحمد والنسائي عن أبي هريرة وعن فضالة بن عبيد). وأما بيانه عند الناس فإنهم سيجتمعون في التحاكم إلى معيار واحد يتساوون فيه جميعًا، وهو "إسلام كل أحد من المكلفين وجهه لله فيما يعتقد، وهو محسن". وهذا هو الإسلام الجامع للإنسانية فيما يمكن تسميته بالعدالة الدينية لكل مُكَلّف يحتكم في معتقده الديني إلى اختياره وعلى مسئوليته الذاتية بمعيار مكفول لكل أحد وهو "طمأنينة النفس وسلامة القلب فيما بين المخلوق وخالقه"، وإن ترتب على تلك العدالة الدينية اختلاف الناس في معتقداتهم في ربهم؛ إذ إن مردها جميعًا إلى الله المعبود، كما قال سبحانه: { وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ } (سورة البقرة: الآية ١٤٨)، وأيضًا: { لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } (سورة المائدة: الآية ٤٨)، وأيضًا: { إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ } (سورة الحج: الآية ١٧).

وبهذا يتحقق تفويض أمر الدين لله كما أمر في قوله: { وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ } (سورة الأنفال: ٣٩)، وتتحدد وظيفة علماء الدين في البلاغ والبيان والنصح والتذكير مع ترك الناس وشأنهم في ربهم؛ كما هي مهمة الرسل الكرام دون أكذوبة: "حماة الدين وحراس العقيدة ومعبدي الناس لرب العالمين"، التي يفضحها قول الله تعالى:{ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ } (سورة الأنعام: الآية ١٠٧)، وقوله:{ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ } (سورة الشورى: الآية ٤٨)، وقوله: { فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ } (سورة الغاشية: الآيتان ٢١،٢٢).

ويدل على تحقق إسلام الوجه لله بالمعيار المكفول لكل أحد، وهو "سلامة القلب وطمأنينة النفس" – فيما يعتقد في الله – قوله تعالى عن دعاء أبينا إبراهيم الخليل صاحب تسمية المسلمين من قبل: {وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } (سورة الشعراء: الآيتان ٨٧-٨٩)، وقوله سبحانه: {يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى وَٱدْخُلِى جَنَّتِى} (سورة الفجر: ٢٧-٣٠).

وبهذا التوجيه يمكن استيعاب وصف جميع الأديان السماوية بالإسلام؛ كما أخبرنا القرآن الكريم عن نوح – عليه السلام – { وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ } (سورة يونس: الآية ٧٢)، وعن إسلام ملة إبراهيم التي أمر الله رسوله الخاتم أن يتبعها: { ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ } (سورة النحل: ١٢٣)، فقال عن ذرية إبراهيم: { وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ } (سورة البقرة: الآيتان ١٣٠-١٣٣)، وفي دعاء يوسف الصديق: {تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ } (سورة يوسف: الآية ١٠١).

ثانيًا: أهمية الدين:

ترجع أهمية الدين إلى حاجة الإنسان إلى إشباع روحه وملئ فراغ قلبه؛ فيما يعرفه بخالقه الذي لا تدركه الأبصار – وما يترتب على تلك المعرفة من حقوق وواجبات تعبديه – وفيما يعرفه بمصير البشر بعد الموت، وملاحقتهم لإقامة العدل عليهم؛ إذ فيهم الصالح والطالح، والمظلوم والظالم.

وكل ذلك لا يعرف من علوم الطبيعة، وإنما يروى – فقط – عن طريق الوحي المنزل على الرسل والأنبياء الكرام. وبحسب ثقة الإنسان في الروايات التي تأتيه عنهم، وطمأنينة قلبه لإحدى دلالاتها التي لا تؤذي أحدًا، فإنه يتخذها دينًا؛ فيشبع روحه، ويملأ فراغ قلبه.

ثالثًا: المصادر المعرفية للعقيدة الدينية

العقيدة اسم مصدر من عقد يعقد عقدًا، فهي عقيدة. والعقد هو الربط والإبرام والإحكام والشد بقوة. والعقيدة في الاستعمال الشائع هي ما اعتقده صاحبها، وهذا الاعتقاد ينتج عن مصادر معرفية، وهي في الإجمال ما يلي:

(١) الكتب السماوية المقدسة.
(٢) المرويات لسنن الأنبياء والمرسلين ومأثوراتهم.
(٣) الشروح والتفسيرات والاجتهادات في الكتب المقدسة والمرويات والمأثورات.
(٤) العلم اللَّدني أو الباطني الذي لا يقوم على الحواس الظاهرة، وإنما بالفتوح الذي ينسبه صاحبه إلى الله تعالى، أو إلى الفراسة، أو إلى الرؤية المنامية.

المطلب الثالث: التعريف بالآداب وأهميتها ومصادرها ومكانتها الدينية:

أولًا: تعريف الآداب:

(١) الآداب – في لغة العرب – جمع الأدب، وهو حسن الأخلاق، وفعل المكارم. وأصل الأدب الدعاء، ومنه قيل للطعام يدعى إليه الناس مأدبة – بضم الدال وفتحها – ومدعاة.

(٢) الأدب – في الاصطلاح الاجتماعي – له إطلاقان عام وخاص:

أما الإطلاق العام للأدب – الذي يراد عند الذكر – فهو اتخاذ حسن الأخلاق، وفعل المكارم منهج تعامل مع الناس كافة.

وأما الإطلاق الخاص للأدب فهو العلم المعروف باسمه، وهذا العلم – كما يقول ابن خلدون – لا موضوع له. وقد تطور هذا العلم حتى صار علمًا على كل ما ينتجه العقل الإنساني، ويؤثر على تفكيره من ضروب المعرفة.

ثانيًا: أهمية الآداب:

(١) احترام الإنسان لنفسه وتكريمها بحسن خلقه.

(٢) تقليل الخلافات والنزاعات برياضة ضبط النفس.

(٣) التعايش السلمي والقبول العام.

(٤) تذويب التعصب الطائفي والمذهبي.

(٥) الارتقاء بالأخلاق العامة إلى محاسنها ومكارمها.

ثالثًا: مصادر الآداب:

(١) الفطرة الكونية التي جبل الإنسان عليها بأصل تكريمه الخلقي؛ حبًا للرفق وكراهية للعنف.

(٢) العرف الاجتماعي الذي ينشأ بالتراكم المعيشي بحكم التدافع الإنساني.

(٣) الدين برسالاته التي تقوم على التقوى باتباع الأصول المرعية في حقوق الله، والنفس، والناس، والبيئة.

رابعًا: المكانة الدينية للآداب:

إذا كان الأدب هو حسن الخلق وفعل المكارم فإن الدين أدب كله. قال ابن القيم (١٢٩٢-١٣٥٠م): "الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين". وإذا كان الدين كله أدبًا، فإن

الأنبياء والرسل مثلٌ عليا للأدب يقتدى بهم؛ كما يقتدي اللاحق منهم سابقهم { أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ } (سورة الأنعام: الآية ٩٠)، وقد قدموا للإنسانية بأخلاقهم العليا ما يهتدي به ذووا الهمم من محبي الكمال البشري. ونوضح بعضًا من كريم صفاتهم الأخلاقية في حق إبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد (عليهم الصلاة والسلام).

(١) **أخلاق "إبراهيم" الخليل:** منها ما ورد في القرآن الكريم: {إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ} (سورة هود: الآية ٧٥)، وأيضًا: { إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا} (سورة النحل: الآية ١٢٠)، وأيضًا: {وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ } (سورة الأنبياء: الآية ٥١). ومنها ما ورد في الكتاب المقدس: "إِبْرَاهِيمُ كَانَ أَبًا عَظِيمًا لأُمَمٍ كَثِيرَةٍ، وَلَمْ يُوجَدْ نَظِيرُهُ فِي الْمَجْدِ. وَقَدْ حَفِظَ شَرِيعَةَ الْعَلِيِّ فَعَاهَدَهُ عَهْدًا" (سفر يشوع بن سيراخ الأصحاح ٤٤: الآية٢٠).

(٢) **أخلاق "موسى" الكليم:** منها ما ورد في القرآن الكريم: {وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا} (سورة مريم: ٥١)، وأيضًا: {وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰٓ عَيۡنِيٓ} (سورة طه: الآية ٣٩)، وأيضًا: {وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗ } (الأحقاف: ١٢). ومنها ما ورد في الكتاب المقدس: "وَأَمَّا الرَّجُلُ مُوسَى فَكَانَ حَلِيمًا جِدًّا أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ." (سفر العدد الأصحاح ١٢: الآية ٣).

(٣) **أخلاق "عيسى" كلمة الله وروح منه:** منها ما ورد في القرآن الكريم:{وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ } (سورة آل عمران: الآية ٤٥)، وأيضًا: {وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ } (سورة آل عمران: الآية ٤٨)، وأيضًا: {وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا } (سورة مريم: الآية ٣٢). ومنها ما ورد في الكتاب المقدس: عن السيد المسيح: "لاَ يُخَاصِمُ وَلاَ يَصِيحُ، وَلاَ يَسْمَعُ أَحَدٌ فِي الشَّوَارِعِ صَوْتَهُ. قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ، وَفَتِيلَةً مُدَخِّنَةً لاَ يُطْفِئُ، حَتَّى يُخْرِجَ الْحَقَّ إِلَى النُّصْرَةِ". (إنجيل متى الأصحاح ١٢: الآيات ١٩، ٢٠).

(٤) **أخلاق "محمد" خاتم النبيين:** منها ما ورد في القرآن الكريم: { وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ} (سورة القلم: الآية ٤)، وأيضًا: {لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ} (سورة التوبة: ١٢٨)، وأيضًا: { وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ} (سورة الأنبياء: الآية ١٠٧). ومنها ما ورد في الأحاديث النبوية: "**إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارِمَ الأخلاقِ**" (أخرجه البزار والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة)، وأيضًا: "**أدَّبَني ربِّي فأحسنَ تأديبي**" (أخرجه العسكري في الأمثال، وابن السمعاني في أدب الإملاء عن عبد الله بن مسعود).

المطلب الرابع: التعريف بالحوار والجدال، والفرق بينهما، وفوائد الحوار:

أولًا: التعريف بالحوار:

الحوار- بكسر الحاء – في لغة العرب اسم من المحاورة. والمحاورة هي المجاوبة، ومراجعة المنطق والكلام في المخاطبة. وتحاوروا أي تراجعوا الكلام بينهم. وأصل الكلمة: حار يحور حورًا ومحارًا، أي رجع إلى الشيء أو عنه، وكل شيء تغير من حال إلى حال فقد حار.

أما الحُوار – بضم الحاء وقد تكسر – فهو ولد الناقة ساعة تضعه أمه، أو من حين يوضع إلى أن يفطم، فإذا فصل عن أمه فهو فصيل. والجمع أحورة وحيران.

ثانيًا: التعريف بالجدال:

الجدال في لغة العرب اسم من المجادلة، والمجادلة هي المخاصمة، وأصله من جَدَلْتُ الحبل إذا أحكمت فتله، فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه. تقول: جادله يجادله مجادلة وجدالًا فهو جدل ومجدال ومجادل.

ثالثًا: الفرق بين الحوار وبين الجدال:

الحوار هو المراجعة في الكلام لبيان الحجة والوصول إلى نتيجة تظهرها الحجج المتبادلة. أما الجدال فهو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، فالمجادل متمسك بمنطقه، ويجتهد في إبطال المنطق المخالف.

رابعًا: فوائد الحوار:

(١) تبادل الأفكار وتفاعل الخبرات.

(٢) تنمية التفكير وتنشيط الذهن.

(٣) توليد أفكار جديدة.

(٤) التخلص من الأفكار الخاطئة أو المغلوطة.

(٥) المساعدة للوصول إلى الحقيقة.

(٦) تقارب الثقافات.

المطلب الخامس: التعريف بالآخر وحتمية بقائه:

أولًا: التعريف بالآخر:

(١) الآخر – في لغة العرب – هو الغير، كقولك رجل آخر وثوب آخر. وأصل الآخر أأْخَر على وزن أَفْعَل من التأخر، فلما اجتمعت همزتان في حرف واحد استثقلتا فأبدلت الثانية ألفًا لسكونها، وانفتاح الأولى قبلها. وتصغير آخر أوَيْخِر.

(٢) الآخر – عند الفلاسفة الوجوديين – يتفق مع التعريف اللغوي فهو ما يقوم على حقيقة الاختلاف بين "الأنا" و"الأنت" بوصفها جزءًا تأسيسيًا للوعي الذاتي.

(٣) الآخر – في الثقافة العنصرية التي تستخدم الدين لمصالحها السياسية – هو الإنسان غير المنتمي للجماعة المحتكرة للفرقة الناجية في الآخرة داخل اسم الدين العام في الإسلام أوالمسيحية أواليهودية أوغيرها. ويتخذ هذا الفكر العنصري لنفسه اسمًا خاصًا – سواء في تنظيمه الممنهج، أو في تياره المرتب، أو في مذهبه المصنوع، أو في طائفته المدعومة – ليكون رأس حربة في مواجهة الآخر، وتحقيق مصالحه ومكاسبه السياسية.

ولا يخفى ما في هذا الفكر المتطرف باحتكاره الحقيقة الغيبية المطلقة من افتئات على الله، واستعلاء على الآخر، وإثارة للعنصرية أو العصبية المقيتة التي لا تنتج غير الكراهية والصراعات الدائمة التي لا تليق باسم "دين الله"، والمشغلة للإنسان عن تمتعه الروحي في مناجاة ربه، وعن مسئوليته الإعمارية والتنموية الفطرية.

وقد بدأ هذا الفكر العنصري يغزو بعض أهل الأديان السماوية عندما أخفى المغرضون حقيقة كتبها المقدسة التي نزلت يصدق اللاحق منها السابق، وبوصفها جميعًا "هدىً ونور" ذات دلالات متعددة بجوامع كلمها؛ ليتنافس الناس في تدينهم أفرادًا مع الله – وليس في منظومة سياسية مع أنفسهم إلا من خلال توافقهم الإنساني بالقانون الذي يتوافقون عليه – فشاغبوا بوصف الكتب المقدسة ظلمًا بالدستور والقانون، واستعاروا إحدى دلالات ألفاظها لصناعة "منظومة اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية" تقوم على تجنيد أتباعها ضد الآخر، ونسبوا تلك المنظومة – صنيعة أياديهم – إلى الله سبحانه؛ لتغني عن كتبه الهادية للتي هي أقوم، وهذا هو ما يعرف بتسييس الدين.

ولا أمان للإنسانية إلا بعودة الجميع إلى تفويض الدين لله، ومنع تسييسه في منظومة اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية منعزلة غير مندمجة شعبيًا؛ ليبقى الدين على براءته في علاقة شديدة الخصوصية بين الإنسان وبين ربه، ويسترد المؤمنون رشدهم الديني المختطف بعد تصحيح مسيرة الخطاب الديني من الوصاية أو الإدارة إلى التفقيه أو التعليم، ومن التحشيد والتجنيد إلى التوعية والتمكين من الرشد الذاتي؛

فيحيا الشعب سيدًا في الوطن السيد – كما نص على ذلك دستوره في ٢٠١٤م – وكما أن سيادة الوطن في وحدته وسلامته وقوته؛ فكذلك سيادة شعبه في وحدة نسيجه وسلامة أمنه وقوة روابطه بالتعاون والتكارم والتراحم والمحبة دون تمييز بجنس أو دين.

ثانيًا: **حتمية بقاء الآخر:**

كل شيء في الحياة يؤكد التنوع والاختلاف بين البشر مع انتمائهم جميعًا لأصل واحد وفطرة إنسانية واحدة؛ فلا ترى إنسانًا يشبه الآخر، ومع ذلك فإن الإنسان يميل إلى استنساخ صورته وذاتيته في غيره التابعين، أو من غيره المتبوعين؛ خاصة في الدين.

وهيهات هذا التمني المخالف لناموس الخلق الحاكم بأن لكل إنسان بصمته الدينية الخاصة، والحق في منافسة أئمته على أعلى درجات إخلاص النية وسلامة القلب وبراءة الذمة وطهارة اللسان وأداء الأمانات التي يلقى بها ربه. فلا يسع أحد منصف عاقل إلا أن يعترف بوجود الآخر وبقائه، وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: {وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ } (سورة هود: الآيتان ١١٨-١١٩)، وأيضًا: { وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ } (سورة الروم: الآية ٢٢). كما ورد في الكتاب المقدس: "إِذْ هُوَ يُعْطِي الْجَمِيعَ حَيَاةً وَنَفْسًا وَكُلَّ شَيْءٍ. وَصَنَعَ مِنْ دَمٍ وَاحِدٍ كُلَّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ عَلَى كُلِّ وَجْهِ الأَرْضِ، وَحَتَمَ بِالأَوْقَاتِ الْمُعَيَّنَةِ وَبِحُدُودِ مَسْكَنِهِمْ، لِكَيْ يَطْلُبُوا اللهَ لَعَلَّهُمْ يَتَلَمَّسُونَهُ فَيَجِدُوهُ، مَعَ أَنَّهُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا لَيْسَ بَعِيدًا." (سفر أعمال الرسل الأصحاح ١٧: الآيات ٢٥-٢٧).

المبحث الثاني

سماحة الأديان

المقصود بسماحة الأديان يسرها وسهولتها على النفوس، وسلامها وإعذارها للآخر. ومن أجل تعزيز قيمة السماحة فقد قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٩٦م عقد احتفالية سنوية يوم ١٦ نوفمبر من كل عام باسم "اليوم الدولي للتسامح".

ونبين في هذا المبحث سماحة الأديان في مسائل المعاملات، والاجتماعيات، والانتماء المانع من العنف والإرهاب، والمقاصد الهادفة إلى حسن الخلق والسلام الاجتماعي ووحدة الوطن. وسوف نوضح في كل مسألة من تلك المسائل الأربع المقصود منها، ودليلها العقلي، ودليلها النصي، وصورها، وثمارها؛ وذلك في المطالب الأربعة التالية.

المطلب الأول: سماحة الأديان في المعاملات:

أولاً: المقصود بسماحة الأديان في المعاملات: أمران:

الأمر الأول: تيسير الانفتاح على الآخر في إبرام العقود وفق المصالح المشتركة بين المتعاملين دون الافتئات بالعصبية الجاهلية، وذلك في ظل منظومة النظام العام للدولة وأمنها القومي.

الأمر الثاني: تبسيط الإجراءات والضوابط الفقهية الدينية على الناس في إبرام عقودهم، مع تعظيم مبدأ التراضي في لزومها.

ثانيًا: الدليل العقلي على سماحة الأديان في المعاملات: وجهان:

الوجه الأول: أن عقود المعاملات لو كانت منغلقة في الدين على أتباعه من غير انفتاح على الآخر بشكل "ما" لضاقت حياتهم، وتوقفت مصالحهم، مما يجعل الدين عبئًا على أهله، وهذا لا يليق بمقام الدين.

الوجه الثاني: أن تعقيد إجراءات العقود وضوابطها الكثيرة لا يستقيم مع فقه الدين الذي يقوم أصالة على اليسر ورفع الحرج بإيجاد المخارج والحلول للضوائق. كما أن إهمال مبدأ التراضي في العقود يجعلها عقود إذعان، ويدفع الناس إلى الإعراض عنها أو التحايل عليها رغبة في اليسر الذي جبلوا عليه، ولا تستقيم الحياة إلا به.

ثالثًا: الدليل النصي على سماحة الأديان في المعاملات: متعدد، ومنه:

(أ) **القرآن الكريم:** {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ} (سورة المائدة: الآية١)، وأيضًا: {وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا} (سورة الإسراء: الآية ٣٤)، وأيضًا: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا

تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ } (سورة النساء: الآية ٢٩).

(ب) **الحديث النبوي:** "المسلمونَ عند شروطهم" (أخرجه البخاري تعليقًا، والحاكم عن عائشة وعن أنس)، وأيضًا: "أدِّ الأمانة إلى من ائتمنَك ، ولا تَخُنْ من خانَك " (أخرجه أحمد وأبو داود عن أبي هريرة وعن ماهك المكي).

(ج) **الإنجيل المقدس:** "فَقَالَ لَهُمْ: «لاَ تَسْتَوْفُوا أَكْثَرَ مِمَّا فُرِضَ لَكُمْ». وَسَأَلَهُ جُنْدِيُّونَ أَيْضًا قَائِلِينَ: «وَمَاذَا نَفْعَلُ نَحْنُ؟» فَقَالَ لَهُمْ: «لاَ تَظْلِمُوا أَحَدًا، وَلاَ تَشُوا بِأَحَدٍ، وَاكْتَفُوا بِعَلاَئِفِكُمْ»." (إنجيل لوقا الأصحاح ٣: الآيات ١٢، ١٣).

(د) **التوراة المقدسة:** "وَيْلٌ لِمَنْ يَبْنِي بَيْتَهُ بِغَيْرِ عَدْل وَعَلاَلِيَهُ بِغَيْرِ حَقّ، الَّذِي يَسْتَخْدِمُ صَاحِبَهُ مَجَّانًا وَلاَ يُعْطِيهِ أُجْرَتَهُ" (سفر إرميا الأصحاح ٢٢: الآية ١٣).

رابعًا: **صور سماحة الأديان في المعاملات:** كثيرة، نذكر منها صورتين:

(أ) السماحة الذاتية في المعاملات: مثل بساطة عقود المعاملات في كل دين، وعدم تعقيد ضوابطها، وفتح أبواب الفقه لاستحداث عقود ومعاملات تليق بأدوات وحضارة كل عصر ومصر.

(ب) السماحة التبادلية في المعاملات: مثل إجارة – أي حماية – السيدة زينب بنت الرسول الكريم لأبي العاص وهو على دينه، وإجارة أم هانئ بنت أبي طالب لحماها "جعد بن هبيرة" وهو على دينه، وصفح الرسول الكريم عن قريش التي أخرجته وأصحابه مهاجرين إلى المدينة بعد تمكنه منهم بقوله "اذهبوا فأنتم الطلقاء"، وشراء الرسول الكريم طعامًا لأهل بيته من تاجر يهودي بالثمن الآجل ورهنه درعه. وهذه بدايات سماحة المسلمين في تعاملهم مع الآخر – وإذا تجاوزنا نقائص أهل العصبية الدينية – فإننا نجد اليوم تلك السماحة لملايين غير المسلمين الذين يعيشون في سلام ورفاه بالدول العربية ووسط آسيا التي يستوطنها في الأغلب مسلمون.

وعلى الجانب المقابل وجدنا إجارة أبي طالب، وهو على دين آبائه للرسول الكريم في مكة، وإجارة المطعم بن عدي، وهو على دينه للرسول الكريم بتمكينه من الطعام في المقاطعة الاقتصادية، وتأمينه في دخول مكة بعد منعه منها عندما ذهب إلى الطائف، وإجارة النجاشي وكان على دينه للمسلمين الذين هاجروا إليه في أوائل البعثة النبوية، وتعاهد يهود يثرب مع الرسول الكريم والأنصار على الأمن والعيش في سلام المدينة المنورة. ومثل ذلك وجدناه في ترحيب أقباط مصر بالمسلمين من يوم دخولهم

فيها سنة ٦٤٢م حتى الآن. وإذا كانت هذه بدايات سماحة غير المسلمين – إذا تجاوزنا نقائص أهل العصبية الدينية – فإننا نجد اليوم تلك السماحة لملايين المسلمين الذين يعيشون في سلام ورفاه بدول الشرق والغرب التي يستوطنها في الأغلب غير مسلمين بالدين الخاتم.

خامسًا: ثمار سماحة الأديان في المعاملات كثيرة، ومنها:

سعة الرزق لاتساع المعاملات، وسرعة الإعمار وإنجاز المشروعات، وتقدم الطب والتعليم والخدمات بفضل التعاون الفني والمهني الذي لا يفرق بين الناس بالدين. هذا بالإضافة إلى السلام الاجتماعي ووحدة الشعب الذي يعود على الدولة بالقوة في مواجهة تحدياتها.

المطلب الثاني: سماحة الأديان في الاجتماعيات:

أولاً: المقصود بسماحة الأديان في الاجتماعيات: أمران:

الأمر الأول: البر والإحسان إلى الآخر في اجتماعياته كحسن الجوار، وقبول دعوته، وتهنئته في مناسباته الكريمة، وعيادته في مرضه، وتشييع جنازته، وغير ذلك من الاجتماعيات الإنسانية.

الأمر الثاني: الترغيب في الاجتماعيات الإنسانية بالندب إليها والمثوبة عليها، وتقديمها على السنن التعبدية الخالصة.

ثانيًا: الدليل العقلي على سماحة الأديان في الاجتماعيات: وجهان:

الوجه الأول: أنه لو انقطع البر والإحسان إلى الآخر في اجتماعياته فسيكون ذلك داعية لكراهية الدين الآمر بالقطيعة، وهذا نوع من الانتحار الذاتي للدين.

الوجه الثاني: أن الدين إذا لم يرغب في الاجتماعيات الإنسانية، ويقدمها على السنن التعبدية الخالصة فسوف يتكاسل الناس عن اجتماعياتهم؛ خاصة وأنها مكلفة ماليًا، والاستثمار فيها غير مباشر، مما ينشر القطيعة بين الناس، وهذا مخالف لمقاصد الدين

ثالثًا: الدليل النصي على سماحة الأديان في الاجتماعيات: متعدد، ومنه:

(أ) **القرآن الكريم:** { لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ } (سورة الممتحنة: الآية ٨)، وأيضًا: { وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ } (سورة النساء: الآية ٨٦).

(ب) **الحديث النبوي:** "ما زالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بالجارِ، حتَّى ظَنَنْتُ أنَّه سَيُوَرِّثُهُ" (أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر)، أيضًا: أن رجلًا سأل الرسولَ الكريم: أيّ الإسلامِ خيرٌ؟ قال : "تطعم الطعامَ، وتقرأ السلامَ، على من عرفتَ ومن لم تعرف" (رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو)، وأيضًا: قول البراء بن عازب: أَمَرَنَا رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ بسَبْعٍ: "أَمَرَنَا بعِيَادَةِ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الجَنَازَةِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وإبْرَارِ القَسَمِ، وَنَصْرِ المَظْلُومِ، وإفْشَاءِ السَّلَامِ، وإجَابَةِ الدَّاعِي " (أخرجه البخاري).

(ج) **الإنجيل المقدس:** "إِنْ كَانَ مُمْكِنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ." (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية الأصحاح ١٢: الآية ١٨).

(د) **التوراة المقدسة:** "كَالْوَطَنِيِّ مِنْكُمْ يَكُونُ لَكُمُ الْغَرِيبُ النَّازِلُ عِنْدَكُمْ، وَتُحِبُّهُ كَنَفْسِكَ، لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ. أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ" (سفر اللاويين الأصحاح ١٩: الآية ٣٤).

رابعًا: **صور سماحة الأديان في الاجتماعيات:** كثيرة، نذكر منها صورتين:

(أ) السماحة الذاتية في الاجتماعيات: مثل ترغيب الأديان وإثابتها على الجماعة في الصلاة، وكل أبواب الخير والمعروف، ودعوتها إلى التزين اللائق بالزمان والمكان.

(ب) السماحة التبادلية في الاجتماعيات: مثل قيام الرسول الكريم لجنازة يهودي، وقال لمن استغرب ذلك "أليست نفسًا"، وعيادته للغلام اليهودي الذي كان يخدمه، وأمره لعلي بن أبي طالب أن يقوم على جنازة أبيه غير المسلم، وأمره أسماء بنت أبي بكر أن تصل أمها غير المسلمة، كما كان النبي الكريم يسمح للمسلمين في المدينة أن يخالطوا غيرهم من أهل الكتاب والمشركين عبدة الأوثان بصفتهم جميعًا أبناء وطن واحد. وغير ذلك كثير يجعله أصلًا لبناء حضارة التسامح الأكثر توسعًا وانتشارًا في الاجتماعيات مع الآخر؛ حتى إننا اليوم نرى هذه اللحمة الاجتماعية بين أبناء الوطن ذات الأغلبية المسلمة إذا تجاوزنا نقائص شرذمة المتعصبين.

وعلى الجانب المقابل نجد إهداء المقوقس "حاكم الأسكندرية البيزنطي" للرسول الخاتم الكريم مكحلة عيدان شامية ومرآة ومشطًا وقدحًا كان يشرب فيه، وإهداء "حاكم مصر" للرسول الخاتم الكريم بغلة كان يركبها وجاريتين أختين (مارية وسيرين) فتزوج مارية فولدت له إبراهيم، وتزوج الأخرى حسان بن ثابت، وكل ذلك وغيره كثير يدل على بداية سماحة غير المسلمين بالمسلمين إنسانيًا، والتي تطورت بتطور الحضارة الإنسانية كما نشاهدها في مصرنا الرائدة، وفي أكثر بلاد الدنيا إذا تجاوزنا نقائص شرذمة المتعصبين.

خامسًا: **ثمار سماحة الأديان في الاجتماعيات: كثيرة، ومنها:**

إعلاء القيمة الإنسانية الجامعة التي لا يختلف على تقديمها فوق كل القيم الطائفية أحد، كما تفتح الطريق أمام التعارف الإنساني، وتقوي الروابط الشعبية فيعم السلام الاجتماعي، وتقوى الدولة أمام تحدياتها.

المطلب الثالث: سماحة الأديان في الانتماء المانع من العنف والإرهاب والتكفير:

تمهيد: الفرق بين العنف وبين الإرهاب في الاستخدام السياسي هو أن: العنف تعبير عن الشدة أو القسوة التي تستهدف النفس أو الآخر قصدًا لذاته. أما الإرهاب فهو إحداث القتل أو الأذى أو التدمير أو التخريب في المجتمع بغير قصد أحد بعينه إلا أن يكون وسيلة ضغط بالتخويف والتهديد ضد الإدارة الحاكمة؛ لتحقيق مكاسب سياسية.

وهذه التفرقة الاصطلاحية السياسية بين العنف وبين الإرهاب لا تخرج في الجملة عن المعاني اللغوية العربية. فالعنف – في اللغة – يطلق على الشدة والقسوة، أما الإرهاب فيطلق على التخويف والتهديد.

والتَّكفير – في اللغة – هو التَّستير والتَّغطية، من كفَّر الشيء أو عليه – أي ستَّره وغطَّاه – يُكفِّر تكفيرًا. وكَفَر بمعنى ستر أو جحد أو أنكر أو أخفى. والكُفر – نقيض الإيمان – هو الستر أو الجحود أو الإنكار أو الإخفاء.

والتكفير – في الخطاب الديني الشائع – له إطلاقان:

(١) ستر الذنب – أو التقصير – وتغطيته بالتعويض عنه صومًا أو صدقة، فيما يعرف بالكفارات.

(٢) الحكم بجحود الآخر أو إنكاره لدين القائم بالتكفير كليًا أو جزئيًا.

والمقصود هنا هو التكفير الديني الذي يكون سببًا في جلب العداوة ونشر الكراهية التي لاتتفق مع سماحة الأديان، وإقرارها بحتمية التعايش المشترك لأبناء الشعوب الإنسانية.

والذي يجب التنبيه إليه هو – ما تقرره اللغة العربية ونصوص الآيات القرآنية – أن الكُفر لا يكون إلا بعد ثبوت الحقيقة في قلب صاحبها ويقينه ثم يجحدها وينكرها ظلمًا من نفسه بغير عذر؛ كما قال تعالى: {وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ} (سورة البقرة: الآية ٢٥٤). فإذا لم تستقر تلك الحقيقة في قلبه كان معذورًا في إنكارها، وله حكم أهل الفترة الذين لم تبلغهم الحقيقة؛ لمنع الإكراه في الدين.

ومن هنا كان الحق في تفويض حكم التكفير إلى الله علَّام الغيوب؛ قال تعالى: {فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ} (سورة البقرة: الآية ٨٩)، وقال سبحانه عن فرعون وقومه: { وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا } (سورة النمل: الآية ١٤)، وقال تعالى عن الذين آتاهم الكتاب في مراده سبحانه: {يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } (سورة الأنعام: الآية ٢٠).

أما الإيمان فيثبت حقيقة بعد العلم واليقين القلبي، ويثبت حكمًا بالاتباع أو التقليد عند جمهور الفقهاء؛ لقوله تعالى: { وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ } (سورة الطور: الآية ٢١).

ومن هنا يظهر التوسع في حكم الإيمان، والتضييق في حكم التكفير؛ لمنع الاستعداء الديني، ولنشر التسامح بين الناس. فلا يحكم بالتكفير لمجرد المخالفة لصورة الاعتقاد أو الشعائر الدينية؛ حتى لا يعود التكفير على الجميع. فمن تراه في دينه كافرًا له الحق أن يراك كذلك، مع أن كل أحد من الطرفين يرى نفسه مؤمنًا بعقيدته ومناسكه، وسيلقى الله – عز وجل – برؤيته الدينية لنفسه وليس بحكم الآخرين عليه في دينه؛ كما قال تعالى:{يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا} (سورة النحل: الآية ١١١)، وأيضًا: {كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} (سورة الإسراء: الآية ١٤)، وأيضًا: { يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ} (سورة الانفطار: الآية ١٩)؛ ومن هنا لم يكن تبادل التكفير إلا مجلبة للفتن والشرور.

إن الصورة الوحيدة التي يضطر فيها لحكم التكفير هي للمعتدي في جرائم الاضطهاد الديني، التي تكون بإنكار دين الآخر وجحود حقه فيه وملاحقته بالعدوان بغير ذنب أو جريرة إلا حبسه لنفسه على تدين لا يضر أحدًا من الخلق بما يمنحه حق الدفاع عن النفس. وهذا هو الحق الظاهر المكفول لكل أحد دون التمييز بالدين

أولاً: **المقصود بسماحة الأديان في الانتماء:** أمران:

الأمر الأول: السماحة بين الأديان. بمعنى أن يكون الانتماء أو الانتساب لأحدها داعية لنشر السلام والتسامح مع الغير وتفويض أمر دينه لله، كما يكون مانعًا من ممارسة العنف والإرهاب والتكفير بغير حق ظاهر.

الأمر الثاني: السماحة في الأديان. بمعنى أن تكون داخلية الدين أو حقيقته سمحة، ويكون الانتماء له بسبب سماحتة الذاتية التي تشبع الروح، وتطمئن القلب، وترفع الحرج عن المتدين، فيكون

الانتماء للدين داعية للأخذ بالأيسر، وتاركًا للتشدد، ومانعًا من العنف والإرهاب والتكفير بغير حق ظاهر.

ثانيًا: **الدليل العقلي على سماحة الأديان في الانتماء:** وجهان:

الوجه الأول: أنه لو لم يكن الانتماء للأديان داعية للتسامح تجاه العامة – ومانعًا من العنف والإرهاب والتكفير بغير حق ظاهر– فإنه سيكون استعلاءً على الغير، واستعداءً له، وجالبًا لصاحبه الكراهية أو العزلة بما يخالف فطرة التعارف الإنسانية وتكارمها؛ مما يُلزم محبو الانتماء لأديانهم أن يتعاهدوا أو أن يتعاقدوا على منع العنف والإرهاب والتكفير فيما بينهم.

الوجه الثاني: أنه لو لم يكن الانتماء للأديان بسبب سماحتها الذاتية الأصيلة – المحببة للأيسر، والمانعة من العنف والإرهاب والتكفير بغير حق ظاهر– فسيعزف أكثر الناس عنها وإن بقوا على اسمها شكلًا؛ لما جبلوا عليه – بالفطرة السوية – من كراهية التشديد والتعسير وإثارة النزاعات، ورفض العنف والإرهاب والتكفير؛ مما يُلزم أهل الأديان التنافس في إظهار أوجه سماحة انتمائهم لها؛ حتى يقبل الناس عليها.

ثالثًا: **الدليل النصي على سماحة الأديان في الانتماء:** متعدد، ومنه:

(أ) **القرآن الكريم:** {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} (سورة الحج: الآية ٧٨)، وأيضًا: {إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (سورة البقرة: الآية ٦٢)، وأيضًا: {يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا} (سورة النساء: الآية ٢٨)، وأيضًا: {وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} (سورة النساء: الآية ٢٩)، وأيضًا: {وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ}، وأيضًا: {وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ} (سورة البقرة: الآية ١٩٥).

(ب) **الحديث النبوي:** "لا يؤمن أحدكم حتى يحب للناس ما يحب لنفسه" (أخرجه أحمد عن أنس بن مالك)، وأيضًا: "المسلمُ من سلمَ الناس من لسانه ويدهِ ، والمؤمنُ من أمنَهُ النَّاسُ علَى دمائِهم وأموالِهم" (أخرجه أحمد والنسائي عن أبي هريرة وعن فضالة بن عبيد) ، وأيضًا: "إِنَّ دِمَاءَكُمْ، وأَمْوَالَكُمْ، وأَعْرَاضَكُمْ، وأَبْشَارَكُمْ، علَيْكُم حَرَامٌ" (أخرجه البخاري ومسلم عن أبي بكرة)، وأيضًا: "أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه" (أخرجه البخاري ومسلم، واللفظ له عن عبد الله بن عمر)

(ج) **الإنجيل المقدس:** "فَلْنَعْكُفْ إِذًا عَلَى مَا هُوَ لِلسَّلاَمِ، وَمَا هُوَ لِلْبُنْيَانِ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ" (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية الأصحاح ١٤: الآية ١٩).

(د) **التوراة المقدسة:** "وَلاَ تَضْطَهِدِ الْغَرِيبَ وَلاَ تُضَايِقْهُ، لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ" (سفر الخروج الأصحاح ٢٢: الآية ٢١).

رابعًا: **صور سماحة الأديان في الانتماء:** كثيرة، نذكر منها صورتين:

(أ) السماحة الذاتية في الانتماء المانع من العنف والإرهاب والتكفير: مثل تفويض الدين لله، وتحديد مهمة الأنبياء والرسل وعلماء الدين في التبليغ والتذكير والبيان والنصح، ومنعهم أن يكونوا وكلاء أو أوصياء على الناس، وإلزام المؤمن نفسه لا يضره عدم إيمان غيره؛ فحسبه التبليغ، ويمتنع عن استعداء غيره بتهمة التكفير؛ لأن الكل مؤمن بدينه وإن كان يخالف الآخر، فله الحق أن يوصف بالإيمان بما تدين به، ولو على سبيل الحكاية التي هي من أصول اللغة ومن نصوص الدين {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} (سورة الكافرون: الآية ٦).

ولا يحتج للتكفير بنداء الكافرين في أول السورة؛ لختامها بإقرار دين كل أحد لصاحبه، فعندما يوصف المخالف في الملة بالإيمان فإن المقصود هو إيمانه بدينه وليس بدين المتكلم. وهذا أصل في اللغة العربية يعرف بأسلوب "الحكاية"؛ كما حكى القرآن الكريم عن امرأة فرعون وامرأة أبي لهب، مع أن عقد زواجهما لم يكن بالملة الخاتمة. وبذلك يتصالح الناس على إقرار الإيمان فيما بينهم بدلًا من فتنة التكفير المهلكة.

(ب) السماحة التبادلية في الانتماء المانع من العنف والإرهاب والتكفير: مثل علو مقام الرسل والأنبياء الكرام في انتمائهم الديني، ومع ذلك فقد كانوا مثالًا للتسامح مع النفس ومع الغير، وعاش غير المؤمنين في كنفهم آمنين دون ملاحقة دينية، وما ورد في الأخبار من ملاحقة بعضهم لغير المؤمنين فإنما هي ملاحقة أمنية، وليست ملاحقة دينية.

وإذا ضربنا مثالًا بالرسول الكريم الخاتم فإنه كان يعيش وأصحابه في المدينة المنورة وسط أهل الكتاب والمشركين عبدة الأوثان دون فتنة تبادل التكفير أو المناظرات الدينية التي لا تجلب إلا العنف والإرهاب والعداوة. وإنما كان يجيب إذا سئل، ويبين إذا أتيحت له فرصة البيان، فعاشوا في

سلام وازدهار. أما المعروف تاريخيًا بالغزوات أو الفتوحات فهي معارك أمنية، وليست دينية كما يتاجر بها المغرضون.

وقد ثبت بالتاريخ فشل جميع الحروب الدينية، وأنها مع ما تخلفه من دمار تشغل العابدين عن مناسكهم، وعموم الناس عن معايشهم بجدليات غيبية لا تنتهي إلا بقهر العقول والفتن طويلة المدى؛ كما كانت تجربة "المأمون" الخليفة العباسي (ت ٢١٨هـ) في تبنيه فكرًا دينيًا على حساب فكر ديني آخر، وإقامة المحاكمات في مسألة "خلق القرآن وقِدَمه".

وعلى الجانب المقابل وجدنا غير المسلمين عندما انشغلوا بفتن الجدليات الدينية في أوروبا، ثم بالحروب التي تاجرت باسم الصليب في الفترة (١٠٩٦-١٢٩١م) لم يجنوا إلا هلاك الحرث والنسل، ولم ينطلقوا إلى حضارتهم المعاصرة متسارعة التطور صناعيًا وطبيًا وفضائيًا – بداية من الثورة الميكانيكية ثم الإلكترونية ثم الرقمية ثم المعلوماتية ثم الذكاء الاصطناعي والروبيتات، ثم النانو تكنولوجي، فضلًا عن التقدم الطبي والحيوي والفضائي ومعالجة أزمة تغير المناخ، والقادم أعظم – إلا بعد تخلي مجتمعاتهم عن العنف والإرهاب والتكفير.

خامسًا: **ثمار سماحة الأديان في الانتماء:** كثيرة، ومنها:

التعايش السلمي المتيح للخشوع في العبادة، والدافع لعجلة التنمية والازدهار والإعمار. فضلًا عن الثراء الفكري، واحترام الإنسان، والتنافس في حسن الخلق الرافع لقيمة الشعب بين الشعوب والأمم.

المطلب الرابع: سماحة الأديان في المقاصد بحسن الخلق، والسلام الاجتماعي، ووحدة الوطن

أولاً: المقصود من سماحة الأديان في المقاصد: أمران:

الأمر الأول: أن مقاصد الأديان كليات إنسانية عامة، فتعم سماحتها المؤمنين وغيرهم؛ لبنائها على وسائل إنسانية سمحة، فهي لا تتحقق إلا في ظل "حسن الخلق والسلام الاجتماعي ووحدة الوطن". والمعروف كما يقول "الآمدي" (ت ٦٣١هـ) في كتابه "الإحكام في أصول الأحكام": "إن المقاصد التي لم تخل من رعايتها ملة، ولا شريعة من الشرائع هي حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال"، ووصفها "الشاطبي" (ت ٧٩٠هـ) بأنها الضروريات الخمس التي لا يستغني عنها أحد، ولكنه عبر عن النسل بالعرض.

الأمر الثاني: أن مقاصد الأديان بفضل سماحتها لا تنحصر في الخمسة المعروفة قديمًا، (وهي حفظ الدين والنفس والعقل والنسل – أو العرض – والمال)، وإنما تزداد كلما دعت الحاجة، كما

تدعو الحاجة اليوم إلى إضافة "حسن الخلق، والسلام الاجتماعي، ووحدة الوطن وسلامته" إلى مقاصد الأديان؛ إذ لا يمكن وجودها أو استقرارها إلا بذلك.

ثانيًا: **الدليل العقلي على سماحة الأديان في المقاصد:** وجهان:

الوجه الأول: أن مقاصد الأديان الخمسة وهي "حفظ الدين والنفس والعقل والنسل – أو العرض – والمال" إذا لم تكن كليات عامة للإنسانية – بحيث تشمل أهل الأديان جميعًا وغيرهم، ولا يكون حفظها حظوة لأهل دين معين على حساب إهدارها عند أهل دين آخر – فإنه يخالف عدالة الأديان المنتسبة إلى الله العدل، كما أنه سيكون سببًا لشرعنة استحلال تلك المقاصد بين الناس؛ لاختلافهم في الأديان ضرورة، مع تدافع كل أحد لحفظ حقه من تلك المقاصد، فلم يكن سوى الإقرار بتعميمها بحسن الخلق والسلام الاجتماعي ووحدة الوطن وسلامته.

الوجه الثاني: أن مقاصد الأديان لو انحصرت في حفظ الخمسة – "الدين والنفس والعقل والنسل، أو العرض، والمال" – لاتهمت بالقصور والتعنت في حال داعية الحاجة إلى تعظيم مقاصد أخرى، مثل حفظ: "حسن الخلق والسلام الاجتماعي ووحدة الوطن وسلامته"؛ كما يراه الناس اليوم. فكان إضافة تلك المقاصد المستجدة للخمسة دليلًا على سماحة مقاصد الأديان في عددها وتحديدها.

ثالثًا: **الدليل النصي على سماحة الأديان في المقاصد:** متعدد، ومنه:

(أ)**القرآن الكريم:** {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ} (سورة الحجرات: الآية ١٣)، وأيضًا: {قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ} (سورة سبأ: الآيتان ٢٤-٢٦)، وأيضًا: {إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ} (سورة الأحزاب: الآية ٧٢).

(ب)**الحديث النبوي:** "**ألا مَن ظلمَ مُعاهدًا أو انتقصَهُ أو كلَّفَهُ فوقَ طاقتِهِ أو أخذَ منهُ شيئًا بغيرِ طيبِ نفسٍ فأنا حجيجُه يومَ القيامةِ**" (أخرجه أبو داود عن عدد من الصحابة)، وأيضًا: "**أكمل المؤمنين إيمانًا أحاسنهم أخلاقًا المُوَطَّئون أكنافًا الذين يألفون ويُؤلَفون، وليس منا من لا يألف ولا يُؤلف**" (أخرجه الطبراني عن أبي سعيد الخدري). المُوَطَّئون من

التوطئة وهي التمهيد، والأكناف الجوانب، بمعنى أن جوانبهم وطيئة يتمكن فيها من يصاحبهم ولا يتأذى.

(ج)**الإنجيل المقدس:** "فَكُلُّ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمْ افْعَلُوا هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهِمْ، لأَنَّ هذَا هُوَ النَّامُوسُ وَالأَنْبِيَاءُ." (إنجيل متى الأصحاح ٧: الآية ١٢).

(د)**التوراة المقدسة:** "حِدْ عَنِ الشَّرِّ، وَاصْنَعِ الْخَيْرَ. اطْلُبِ السَّلاَمَةَ، وَاسْعَ وَرَاءَهَا" (سفر المزامير الأصحاح ٣٤: الآية ١٤).

رابعًا: **صور سماحة الأديان في المقاصد:** كثيرة، نذكر منها صورتين:

(أ) السماحة الذاتية في مقاصد الأديان: بمعنى أن المقاصد التي لاحظها فقهاء الأديان – وهي حفظ "الدين والنفس والعقل والنسل – أو العرض – والمال"، وغيرها – سمحة في ذاتها، فالتكليف بها على قدر الاستطاعة. وترتيبها عند التعارض يرجع لصاحب الشأن بسلطته التقديرية فليس أحدها أولى بالتقديم على الآخر إلزامًا؛ لأنها مقاصد كلية، وليست مقصدًا واحدًا مع فروعه.

(ب) السماحة التبادلية في مقاصد الأديان: بمعنى أن المقاصد التي استقر عليها فقهاء الأديان تبادلية، فما يثبت منها لأهل دين فإنما يثبت مثله لغيرهم؛ لأنها مقاصد مقررة للنفس على الغير، فكان من حق الغير وفقًا لمبدأ العدالة الفطري "المعاملة بالمثل".

خامسًا: **ثمار سماحة الأديان في المقاصد بحسن الخلق والسلام الاجتماعي ووحدة الوطن:** كثيرة، ومنها: احترام الأديان جميعًا لمقاصدها الموحدة وإن اختلفت في الشرائع التعبدية، وكذلك نشر ثقافة العدالة الدينية بدلًا من ثقافة الاستعلاء الديني، وأيضًا إمكان إضافة مقاصد كلية للأديان كلما دعت الحاجة؛ لأن وضعها قائم على الملاحظة الفقهية، وليس بنص تعبدي.

المبحث الثالث

آداب الحوار مع الآخر

المقصود بآداب الحوار مع الآخر هو اتخاذ حسن الأخلاق ومكارمها – أي الأحسن منها – منهجًا في مخاطبة الغير، وهذه الآداب متحركة دائمًا نحو الأفضل بحكم الفطرة الإنسانية والاتساع المتنامي للثقافة والمعرفة؛ حتى إن الجمعية العامة للأمم المتحدة قد قررت سنة ٢٠٠١م عقد احتفالية سنوية يوم ٢١ مايو باسم "اليوم العالمي للتنوع الثقافي من أجل الحوار والتنمية"، وكان هذا بسبب تدمير "طالبان" لتمثالي "بوذا" في "وادي باميان" بأفغانستان في شهر مارس ٢٠٠١م.

ويمكن إجمال أشهر آداب الحوار مع الآخر في الاعتراف أولًا بالأخوة الإنسانية وحق الاختلاف، ثم التمسك بثقافة السلام والعيش المشترك، والاستفادة من الثقافات والتبادل الحضاري، بالإضافة إلى الإصغاء واحترام الحريات العامة، وضبط النفس ونبذ الخيانة والتهديد والإرهاب، والأعظم هو الانتهاء كالابتداء بالأليق من محاسن الأخلاق. وسوف نوضح تلك الآداب بتعريف كل واحدة منها، وبيان الحاجة إليها، وثمرتها على الحضارة الإنسانية، وذلك في المطالب الستة التالية.

المطلب الأول: الاعتراف بالأخوة الإنسانية وحق الاختلاف

أولاً: المقصود بأدب "الاعتراف بالأخوة الإنسانية وحق الاختلاف": الإقرار للآخر بأخوته – بمعنى التضامن والمحبة – الإنسانية، وكذلك التسليم له بحق الاختلاف في الرأي والعقيدة. وهذا الإقرار بمثابة عربون لحوار مثمر.

والأخوة الإنسانية ليست مِنَّةً من أحد على أحد، وإنما هي واقع كوني أو فطري مبني على وحدة الأصل لكل البشر دون أي تمييز بالدين أو اللغة أو اللون أو العرق أو الجنس.

ويمكن القول إن الأخوة الإنسانية عقد اجتماعي غير مكتوب لا ينكره إلا جاحد. ويقوم هذا العقدعلى المساواة للجميع في الحقوق والواجبات والحريات، ويعتمد في التعامل على الرفق والتراحم والمحبة، ويرفض الأعمال التي تدعو إلى الكراهية أو إضعاف روح التسامح واحترام التنوع والاختلاف.

ثانيًا: الحاجة إلى أدب "الاعتراف بالأخوة الإنسانية وحق الاختلاف": الارتقاء إلى **"الإنسانية الرشيدة"** التي تحترم أفرادها، وتستثمر جهودهم وتنوعهم، وتدعوهم إلى التفاهم المتبادل دومًا، وترى أن التعددية الثقافية والدينية واللغوية عوامل تعزيز للأخوة الإنسانية.

ولأهمية "الاعتراف بالأخوة الإنسانية وحق الاختلاف" في مستقبل الإنسانية الرشيدة فقد ورد التأكيد على مقاصدها في قرارات الأمم المتحدة، والدستور المصري، ووثيقة الأخوة الإنسانية، كما نوضحه فيما يلي:

(أ) أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة "أسبوع الوئام العالمي بين الأديان" سنة ٢٠١٠م، كما اعتمدت الأمم المتحدة يوم الرابع من فبراير يومًا احتفاليًا كل عام باسم "اليوم العالمي للأخوة الإنسانية" سنة ٢٠٢١م، وذلك بمبادرة تقدمت بها كل من الإمارات والسعودية ومصر؛ بهدف تعزيز الأخوة الإنسانية وتثقيف الجمهور بحقها.

(ب) ينص الدستور المصري الصادر ٢٠١٤م (مادة: ٥٣) على أن: "المواطنين لدى القانون سواء، وهم متساوون في الحقوق والحريات والواجبات العامة لا تمييز بينهم بسبب الدين أو العقيدة أو الجنس أو الأصل أو العرق أو اللون أو اللغة أو الإعاقة أو المستوى الاجتماعي أو الانتماء السياسي أو الجغرافي، أو لأي سبب آخر. كما تنص المادة (٦٤) على أن: "حرية العقيدة مطلقة".

(ج) جاء في بيان "وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام والعيش المشترك" الذي وقعه بابا الكنيسة الكاثوليكية والإمام الأكبر شيخ الأزهر في ٤ فبراير ٢٠١٩م في "أبو ظبي" ما يلي:

"إن التعددية والاختلاف في الدين واللون والجنس والعرق واللغة حكمة لمشيئة إلهية قد خلق الله البشر عليها، وجعلها أصلًا ثابتًا تتفرع عنه حقوق حرية الاعتقاد وحرية الاختلاف، وتجرم إكراه الناس على دين بعينه أو ثقافة محددة أو فرض أسلوب حضاري لا يقبله الآخر".

ثالثًا: ثمار أدب "الاعتراف بالأخوة الإنسانية وحق الاختلاف": منها تعزيز احترام حقوق الإنسان، وثقافة السلام واللاعنف، واستثمار التنوع والاختلاف لصالح الإنسانية الرشيدة؛ فضلًا عن كونه مؤشرًا لنجاح الحوار في مهمته.

المطلب الثاني: التمسك بثقافة السلام والعيش المشترك:

أولاً: المقصود بأدب "التمسك بثقافة السلام والعيش المشترك": أن يكون منطلق الحوار وأساسه مبنيًا على قاعدة مشتركة تتمسك بالسلام والعيش المشترك؛ لأن أي حوار أو لقاء لا يتأسس على ذلك فهو عبث ومضيعة للوقت والجهد.

وثقافة السلام هي حزمة من المعاني النبيلة، والمواقف الأصيلة، والسلوك المستقر المستدام على حرمة الحياة وعصمتها، وتعزيز حقوق الإنسان وواجباته وحرياته، وتسوية نزاعاته بالطرق السلمية؛ ليتفرغ للعيش المشترك، والدفع بالتنمية للأجيال الحاضرة والقادمة.

ثانيًا: الحاجة إلى أدب "التمسك بثقافة السلام والعيش المشترك": السعي إلى "**الإنسانية الآمنة**" التي هي أساس الوجود والبقاء والاستخلاف في الأرض بالإعمار والتنمية، والقيام بالشعائر الدينية التي اعتقدها صاحبها.

ونظرًا لأهمية الحاجة إلى أدب "التمسك بثقافة السلام والعيش المشترك" فقد جاء التأكيد عليها في قرارات الأمم المتحدة، والدستور المصري، ووثيقة الأخوة الإنسانية، كما نوضحه فيما يلي:

(أ) قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة الاحتفال لأول مرة باسم "اليوم العالمي للسلام" يوم ١٦ سبتمبر ١٩٨٢م تزامنًا مع موعد الجلسة الافتتاحية لدورة الجمعية العامة، ثم قررت تعيين يوم ٢١ سبتمبر من كل عام للاحتفال بالسلام وتعزيزه بين جميع الأمم والشعوب، والامتناع عن العنف، ولزوم وقف إطلاق النار؛ وذلك بهدف نشر الوعي للناس بقضايا السلام والعيش المشترك، وترسيخ المثل العليا للسلام بين جميع الشعوب والأمم وداخل كل منها.

(ب) ينص الدستور المصري الصادر ٢٠١٤م (مادة: ٥٤) على أن: "الحرية الشخصية حق طبيعي، وهي مصونة لا تمس، وفيما عدا حالة التلبس لا يجوز القبض على أحد أو تفتيشه أو حبسه أو تقييد حريته بأي قيد إلا بأمر قضائي"، كما تنص المادة (٥٩) على أن: "الحياة الآمنة حق لكل إنسان، وتلتزم الدولة بتوفير الأمن والطمأنينة لمواطنيها ولكل مقيم على أراضيها".

(ج) جاء في بيان "وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك" الذي وقعه بابا الكنيسة الكاثوليكية والإمام الأكبر شيخ الأزهر في ٤ فبراير ٢٠١٩م: "القناعة الراسخة بأن التعاليم الصحيحة للأديان تدعو إلى التمسك بقيم السلام، وإعلاء قيم التعارف المتبادل والأخوة الإنسانية، والعيش المشترك".

ثالثًا: ثمار أدب "التمسك بثقافة السلام والعيش المشترك": منها تأمين سلامة سير الحوار، وتوفير الجهد والمال للتنمية المستدامة، والنهوض بالحقوق والحريات، وتعزيز التعاون العلمي والتقني، بالإضافة إلى وقف الأعمال العدائية لحماية الأرواح والإنجازات الحضارية.

المطلب الثالث: الاستفادة من الثقافات والتبادل الحضاري:

أولاً: المقصود بأدب "الاستفادة من الثقافات والتبادل الحضاري": التفاعل الثقافي بين الشعوب، والقدرة على التكيف مع الأفكار المخالفة، والتعامل مع جميع الآراء الثقافية والدينية والسياسية. والتبادل الحضاري لا يقف عند الانتقال من ثقافة إلى أخرى، ولكنه يقوم أيضًا بدمج الثقافات المختلفة لإيجاد معطيات ثقافية جديدة أو متولدة.

والثقافة في اللغة العربية تطلق على الحذق والتمكين. تقول ثقف الرجل، أي صار حاذقًا فطنًا ماهرًا متعلمًا متمكنًا. والثقافة عند علماء الاجتماع و"الأنثروبولوجيا" (علم الإنسان): "المركب الشامل الذي يضم المعارف البشرية بما في ذلك العقيدة والأخلاق والقوانين، وكل ما يكتسبه الإنسان من المجتمع الذي يعيش فيه".

والحضارة في اللغة العربية خلاف البداوة. أما الحضارة عند علماء الاجتماع و"الأنثروبولوجيا" فهي: "نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي".

ثانيًا: الحاجة إلى أدب "الاستفادة من الثقافات والتبادل الحضاري": تأسيس حضارة "**الإنسانية المتفاهمة**" التي تقوم على أرضية مشتركة للتفاهم بالتبادل الثقافي والحضاري.

وكان أول من تكلم عن حوار الحضارات هو المفكر الفرنسي روجيه جارودي (١٩١٣-٢٠١٢م). ولأهمية الحاجة إلى أدب "الاستفادة من الثقافات والتبادل الحضاري" فقد جاء التأكيد عليها في قرارات الأمم المتحدة، والدستور المصري، ووثيقة الأخوة الإنسانية، كما نوضحه فيما يلي:

(أ) قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة إعلان سنة ٢٠٠١م "سنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات" - كما تم في السنة نفسها الاحتفال يوم ٢١ مايو - ويكون احتفالًا سنويًا باسم "اليوم العالمي للتنوع الثقافي لأجل الحوار والتنمية"؛ لمساعدة المجتمعات على فهم قيمة التنوع الثقافي وكيفية التعايش السلمي، وفي ذات السنة نفسها تأسست "المنظمة العالمية لحوار الأديان والحضارات في العالم" بهدف نشر ثقافة الحوار والتسامح بين مختلف الأديان والمذاهب، ثم قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة تعيين سنة ٢٠١٠م "سنة دولية للتقارب بين الثقافات".

(ب) ينص الدستور المصري الصادر ٢٠١٤م (مادة: ١٩) على أن: "التعليم حق لكل مواطن. هدفه بناء الشخصية المصرية والحفاظ على الهوية الوطنية وتأصيل المنهج العلمي في التفكير وتنمية المواهب وتشجيع الابتكار وترسيخ القيم الحضارية والروحية". كما تنص المادة (٤٨) على أن: "الثقافة حق لكل مواطن، تكفله الدولة وتلتزم بدعمه وبإتاحة المواد الثقافية بجميع أنواعها لمختلف فئات الشعب دون تمييز بسبب القدرة المالية أو الموقع الجغرافي أو غير ذلك".

(ج) جاء في بيان "وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك" الذي وقعه بابا الكنيسة الكاثوليكية والإمام الأكبر شيخ الأزهر في ٤ فبراير ٢٠١٩م: "إن الحوار والتفاهم ونشر ثقافة التسامح وقبول الآخر والتعايش بين الناس من شأنه أن يسهم في احتواء كثير من المشكلات الاجتماعية والسياسية".

ثالثًا: ثمار أدب "الاستفادة من الثقافات والتبادل الحضاري": منها: فتح باب التلاقي في الحوار، وتجنب الصراعات، وإرساء منهج راسخ للتعاون الثقافي الإنساني، والارتقاء من التبادل الحضاري إلى التحالف الحضاري، وقد يبلغ إلى الاندماج الحضاري. هذا بالإضافة إلى احترام التنوع الثقافي والحضاري الخلاق.

المطلب الرابع: الإصغاء واحترام الحريات العامة:

أولاً: المقصود بأدب "الإصغاء واحترام الحريات العامة": الاستماع الحسن للمتكلم دون مقاطعة، واحترام حرياته العامة المكفولة لكل أحد كالحياة والسلامة والكرامة والفكر والوجدان والدين والرأي والتعبير، وذلك دون ازدراء أو انتقاص.

وتثبت هذه الحريات العامة بالفطرة الكونية السليمة لكل إنسان، ومن عجيب اللغة العربية أن لفظ "إنسان" اسم جنس يطلق على الذكر والأنثى والمفرد والجمع، وهذا لتأكيد المساواة بين البشر في الحقوق والحريات العامة.

ثانيًا: الحاجة إلى أدب "الإصغاء واحترام الحريات العامة": حماية "**الإنسانية المكرمة**" التي تتكارم فيما بينها بحسن الاستماع إلى الآخر، واحترام حرياته العامة.

ولأهمية تلك الحريات العامة، ومنع انتهاكها، فقد ورد التأكيد عليها في قرارات الأمم المتحدة والدستور المصري وإعلان منظمة التعاون الإسلامي لحقوق الإنسان، كما نوضحه فيما يلي:

(أ) قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة اعتماد " إعلان مبادئ حقوق الإنسان" في ١٠ ديسمبر ١٩٤٨م، بوصفه المعيار المشترك الذي ينبغي أن تستهدفه كافة الشعوب والأمم، وهو يتكون من ثلاثين مادة نكتفي بذكر بعض ما يرتبط بالحوار بشكل مباشر، ومنه: "لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين" (مادة: ١٨)، "لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أي تدخل" (مادة: ١٩).

(ب) خصص الدستور المصري الصادر عام ٢٠١٤م الباب الثالث للحقوق والحريات والواجبات العامة، ومما جاء فيه: "الكرامة حق لكل إنسان ولا يجوز المساس بها" (مادة: ٥١)، "حرية الاعتقاد مطلقة" (مادة: ٦٤)، "حرية الفكر والرأي مكفولة" (مادة: ٦٥)، "الحقوق والحريات اللصيقة بشخص المواطن لا تقبل تعطيلًا ولا انتقاصًا" (مادة: ٩٢)، "تلتزم الدولة بالاتفاقيات والعهود والمواثيق الدولية لحقوق

الإنسان التي تصدق عليها مصر وتصبح لها قوة القانون بعد نشرها وفقًا للأوضاع المقررة" (مادة: ٩٣).

(ج) ينص إعلان منظمة التعاون الإسلامي لحقوق الإنسان سنة ٢٠٢٠م على أن: "المساواة في الحقوق بين البشر بدون تمييز" (مادة: ١)، "حرية الفكر والوجدان والدين" (ماة: ١٨)، "حرية الرأي والتعبير" (مادة:١٩).

ثالثًا: ثمار أدب "الإصغاء واحترام الحريات": منها تمكين التفاهم بين البشر المتحاورين، وإمكان تلاقيهم وتعاونهم بل وتسامحهم في الحقوق بينهم، بالإضافة إلى العيش في سلام بدون عنف أو صدام.

المطلب الخامس: ضبط النفس ونبذ الخيانة والتهديد والإرهاب:

أولاً: المقصود بخلق "ضبط النفس ونبذ الخيانة والتهديد والإرهاب": الالتزام بالصبر والأناة مهما كان الآخر مثيرًا، والامتناع نهائيًا عن أي خيانة أو تهديد أو إرهاب في كل حال.

ويساعد على تحقيق ضبط النفس التركيز دائمًا على الهدف وراء كل صعوبة بدلًا من التركيز على الطريق أو الأسلوب. كما يساعد على تحقيق نبذ الخيانة احترام الذات ومراقبتها والتحسب لعواقب الأمور. ويساعد على نبذ التهديد والإرهاب الحلم الدائم بالمكاسب الآمنة والمستقرة التي تؤخذ باللين والود، وليس بالمكاسب الخطرة المهددة التي تؤخذ بالعنف والكراهية.

ثانيًا: الحاجة إلى أدب "ضبط النفس ونبذ الخيانة والتهديد والإرهاب": إزكاء "**الإنسانية المؤتمنة**"، وهي التي يؤتمن جانبها من الغضب والغدر والعنف والإرهاب. ذلك أن إنماء تلك الإنسانية سيسرع الخطى نحو السلام الاجتماعي والعيش المشترك والتنمية المستدامة.

ولأهمية الحاجة إلى "ضبط النفس ونبذ الخيانة والتهديد والإرهاب" فقد ورد التأكيد على نبذ الإرهاب ومكافحته – بصفته عنوانًا لكل نقيصة – في قرارات الأمم المتحدة والدستور المصري ووثيقة الأخوة الإنسانية، كما نوضحه فيما يلي:

(أ) قرر مجلس الأمن في ٢٨ سبتمبر ٢٠٠١م عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر، بهدف عرقلة الجماعات الإرهابية بشتى الطرق: إلزام جميع الدول الأعضاء باعتبار الأعمال الإرهابية جرائم جنائية خطيرة في القوانين واللوائح المحلية، كما أنشأ القرار "لجنة مكافحة الإرهاب" لمراقبة التزام الدول بأحكامه. ويؤخذ على هذا القرار عدم تعريف الإرهاب وجماعاته. وفي سنة ٢٠٠٦م اعتمدت

الجمعية العامة للأمم المتحدة "إستراتيجية مكافحة الإرهاب" باعتباره واحدًا من أشد الأخطار التي تهدد السلام والأمن الدوليين.

(ب) خصص الدستور المصري الصادر ٢٠١٤م إحدى مواده الانتقالية لمواجهة الإرهاب؛ فتنص المادة (٢٣٧) على أن: "تلتزم الدولة بمواجهة الإرهاب، بكافة صوره وأشكاله، وتعقب مصادر تمويله، وفق برنامج زمني محدد، باعتباره تهديدًا للوطن وللمواطنين، مع ضمان الحقوق والحريات العامة"

(ج) جاء في بيان "وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام والعيش المشترك" الذي وقعه بابا الكنيسة الكاثوليكية والإمام الأكبر شيخ الأزهر في ٤ فبراير ٢٠١٩م في "أبو ظبي" ما يلي: "إن الإرهاب البغيض الذي يهدد أمن الناس سواء الشرق أو الغرب وفي الشمال والجنوب، ويلاحقهم بالفزع، والرعب، وترقب الأسوأ ليس نتاجًا للدين، حتى وإن رفع الإرهابيون لافتاته ولبسوا شاراته، بل هو نتيجة لتراكمات الفهوم الخاطئة لنصوص الأديان، وسياسات الجوع، والفقر، والظلم، والبطش، والتعالي".

ثالثًا: ثمار أدب "ضبط النفس ونبذ الخيانة والتهديد والإرهاب": منها تحقيق أفضل استجابة وردة فعل ممكنة في الحوار، وتهيئة القدرة على التفكير المتوازن الحكيم. هذا بالإضافة إلى تحقيق الأمن والسلام في ربوع العالم من أجل التنمية المستدامة والازدهار.

المطلب السادس: الانتهاء كالابتداء بالأليق من محاسن الأخلاق:

أولاً: المقصود بأدب "الانتهاء كالابتداء بالأليق من محاسن الأخلاق": حسن الخواتيم دائمًا، وخاصة مع كل بداية كانت مسالمة أو طيبة أو جميلة فإنه – بحكم الأدب والأصول – يجب أن تنتهي بالأسلم والأطيب والأجمل. فإذا حالت الأوضاع دون ذلك فالحد الأدنى هو الانتهاء بالأليق من محاسن الأخلاق التي هي أسمى بإنسانيتها من كل اختلاف؛ رجاء جولات أخرى يكون فيها الوفاق والتراضي والتسامح؛ فحسن الخلق لا يعرف انقطاع الأمل وإن طال انتظاره، ويعلم أن الزمن جزء من الحل.

ثانيًا: الحاجة إلى أدب "الانتهاء كالابتداء بالأليق من محاسن الأخلاق": صيانة "**الإنسانية النبيلة**" التي تغير على إنسانيتها، وتحترم آدميتها بالالتزام بالأليق من محاسن الأخلاق ومكارمها في الشدة والرخاء، وفي العسر واليسر، وفي الغضب والرضا.

ولأهمية الحاجة إلى "أدب الانتهاء كالابتداء بالأليق من محاسن الأخلاق" فإنه لم يخل دين من النص على فضل حسن الخلق في كل شيء، كما توجهت الحضارة المعاصرة إلى تنافس الجامعات، والمراكز البحثية، والنقابات، وأرباب المهن المختلفة إلى وضع مواثيق أخلاقية تكفل للمهنة شرفها، ولأهل المهنة

كرامتهم. هذا بالإضافة إلى تخليد الشعراء الحكماء التجارب التاريخية في فضل محاسن الأخلاق على قيمة صاحبها بين الناس، وعلى بقاء الأمم والممالك، ونوضح ذلك فيما يلي:

(أ) فضل محاسن الأخلاق لقيمة صاحبها في شعر الحكماء:

يقول أبو الفتح البستي (نسبة إلى بست الأفغانية ٩٤٢-١٠١٠م):

أقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وإن أســـاء مســـيء فليكن لك في عروض زلتـــه صفح وغفران

وقال أيضًا:

أحســـــن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان

وقال أبو العلاء المعري (نسبة إلى معرة النعمان بمحافظة إدلب السورية ٩٧٣-١٠٥٧م):

أُسَرُّ إن كنتُ محمودًا على خلق ولا أُسَرُّ بأني الملكُ محمودُ

ما يصنع الرأس بالتيجان يعقدها وإنما هو بعد الموت جُلْمود

ويقول صفي الدين الحلي، البغدادي (١٢٧٧-١٣٤٩م):

إذا عَدِم الفتى خلقًا جميلًا يسود به، فلا خُلِق الجمال

ويقول أمير الشعراء أحمد شوقي، المصري القاهري (١٨٦٨-١٩٣٢م):

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه فَقَوم النفس بالأخلاق تستقم

(ب) فضل محاسن الأخلاق لبقاء الأمم في شعر الحكماء:

يقول أمير الشعراء أحمد شوقي، المصري القاهري (١٨٦٨-١٩٣٢م):

إنما الأمم الأخلاق مابقيت فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقال أيضًا:

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتمًا وعويلًا

ثالثًا: ثمار أدب "الانتهاء كالابتداء بالأليق من محاسن الأخلاق": نبل الأخلاق بين البشر المتحاورين، ونشر ثقافة التسامح وأخلاق الصبر والحلم، واكتساب المعارف والأصدقاء، وتجفيف منابع التشاحن والتباغض، بالإضافة إلى السلام الاجتماعي والرقي الحضاري.

الخاتمة

الشخصية المصرية بين المرض والتعافي
في التسامح الديني

تتسم الشخصية المصرية منذ فجر التاريخ بالفطرة الإنسانية النقية التي فطر الله الناس عليها؛ مختلفين في أجناسهم، وألوانهم، وألسنتهم، وأرزاقهم، وعقولهم، وعلومهم، وعقائدهم، وأحلامهم وآلامهم؛ فاتخذت من هذا الاختلاف تمايزًا، يثريها في بناء شخصيتها الموحدة والمستوعبة بالسماحة وقبول الآخر.

وقد زاد اصطفاف الشخصية المصرية وحدة وقوة، حبها لدين الله سبحانه بمراحله الزمنية المعروفة، وكتبه المقدسة المختلفة في لغاتها وشرائعها، والمصدق اللاحق منها السابق، ورسله الكرام المبلغين عن ربهم والمباركين بأقدامهم أرض مصر الطيبة؛ ليضرب بأهلها المثل في شخصيتهم الموحدة والمستوعبة للجميع بالتسامح، وقبول الآخر، وحسن الظن في اختلاف أديانهم المفوضين أمره لله.

وهكذا كانت الشخصية المصرية العظيمة لحمة واحدة، وقوة متينة باستيعابها لحضارات المستعمرين وثقافاتهم المختلفة؛ حتى ظهرت باستقلاليتها، واستردت سيادتها بالاصطفاف الوطني الجميل الذي لا يعرف عصبية في طائفية أو مذهبية أو جنس.

وما أن بدأت مصر في تجديد حضارتها العريقة حتى ابتليت في أوائل القرن العشرين بخطاب ديني دخيل على ثقافتها المستوعبة للاختلافات. خطاب استعدائي وتكفيري للآخر، خطاب استعلائي يدعو إلى عصبية الطائفية والمذهبية والتفرقة بالجنس، ويدعي تفويضه من الله للحكم على الناس في السياسة والاقتصاد وجميع أمور المعيشة، فيما يعرف بالإسلام السياسي الذي تزعمته جماعة الإخوان الإرهابية ومواليها؛ لتتمكن من الاستيلاء على السلطة واستعباد الناس باسم الدين.

وقد اتبعت جماعة الإخوان الإرهابية ومواليها من جماعات الإسلام السياسي – في سبيل السيطرة على الحكم – سياستي الترغيب والترهيب.

أما الترغيب فلمن يسهل تجنيده لهم بأكذوبة منحه لقب: "الأخ المسلم أو الأخت المسلمة"، و"شرف الجهاد في سبيل الله"؛ وذلك من أجل سبيل حاكميتهم، وإقامة خلافتهم التي وصفوها بالإسلامية.

وأما الترهيب فلمن يستعصي تطويعه لمشروع سيطرتهم على الحكم بالتكفير والإرهاب والفتن والاغتيال والحرق والتفجير؛ كما اغتالوا من قبل رئيس مجلس الوزراء الأسبق "محمود فهمي النقراشي"

في ديسمبر ١٩٤٨م؛ لاكتشاف حكومته تنظيمهم السري المسلح وتقديمه للقضاء مع حل جماعتهم، وحظر نشاطها.

وقد شاهد المصريون مؤخرًا إرهاب تلك الجماعة وغدرها إثر أحداث ٢٥ يناير ٢٠١١م في ميادين التحرير ورابعة والنهضة والاتحادية، وفي عمليات اقتحام السجون، وحرق أقسام الشرطة، ونهب أسلحتها، وتفجير المنشآت والكنائس، ومذابح رفح الأولى والثانية وبورسعيد وكرداسة، والإغارة على المرتكزات الأمنية؛ لملاحقة رجال الجيش والشرطة في سيناء وسائر أنحاء الجمهورية.

وكان من إرهابهم الخسيس اغتيال النائب العام المستشار "هشام بركات" في يونيو ٢٠١٥م؛ بسبب إحالته قياداتهم إلى المحاكمة؛ لتورطهم في جرائم قتل داخل اعتصامي رابعة والنهضة للمتاجرة بهم، وقتل في رجال الجيش والشرطة أثناء فض هذين الاعتصامين.

ولن ينس المصريون إشعال جماعة الإخوان الإرهابية ومواليها للفوضى بالفتن ضد السُّنة، باقتحام مساجد الفتح والنور ورابعة، واتخاذها قواعد عسكرية مددجة بالسلاح ضد مخالفيهم، وقتل عشرات الأبرياء والمتاجرة بهم. والفتنة ضد الشيعة وقتل بعض أفرادها بوحشية بتهمة التشيع. والفتنة ضد المتصوفة والتحريض عليهم بتهمة الابتداع والشركيات؛ حتى كانت مذبحة مسجد الروضة البشعة بقتل المئات من المصلين، وهم يؤدون صلاة الجمعة. والفتنة ضد المسيحيين بالخطاب التحريضي ضدهم، بتهمة رفضهم للحكم الإخواني؛ فتم حرق وتفجير عشرات الكنائس والمنشآت والمنازل القبطية، وسقوط مئات الضحايا الأبرياء.

صبر المصريون على جماعة الإخوان الإرهابية ومواليها مدة تسع وعشرين شهرًا؛ لعلهم يرشدون دون جدوى إلا تماديهم في الغي. من تلك المدة سبعة عشر شهرًا زاحموا فيها المجلس العسكري في إدارته التي تولاها في الحادي عشر من فبراير ٢٠١١م بإرهابهم وعنفهم وفتنهم التي تسببت في الانقسامات الشعبية، وهجرة البعض بحثًا عن الأمان، والنيل من القوات المسلحة والشرطة المدنية؛ حتى تمكنوا من الانفراد بالحكم في ٣٠ يونيو ٢٠١٢م، فاستمروا في إرهابهم، وعنفهم، وفتنهم؛ لفرض تمكين جماعتهم الإرهابية من مفاصل الدولة، كما منحوا مرتزقتهم الجنسية المصرية؛ لإنشاء جيش موازٍ، يهدم الانتماء للهوية المصرية.

من هنا تيقن الشعب – بعد أن نفذ صبره في تحمل التجريف والتخريب والدمار والفتن والانقسامات – أنه ليس في بال جماعة الإخوان الإرهابية إلا أن يكون وقودًا لها، وأن الدين ليس مقصودًا

إلا في دعمها السياسي، فما قدمت تلك الجماعة الإرهابية ومواليها للدين شيئًا إلا النقيصة في حقه وحق أهله، كفتاوى زواج الأطفال، والتمييز ضد المرأة وغير المسلم، والاستعلاء بالشكلية الدينية كاللحية والنقاب، وتضليل الشباب وإضاعة حياتهم أو مستقبلهم الدراسي أو الوظيفي؛ لتجنيدهم في عملياتهم الانتحارية والبلطجية والاحتجاجية والتظاهرية وصناعة الإشاعات وترويجها؛ بزعم حماية الدين. كما تيقن الشعب أن مشروعهم الحقيقي هو الاستيلاء على السلطة من أجل السلطة، بشعارهم الإرهابي: "نحكمكم أو نقتلكم"؛ لإعادة مصر ولاية من ولايات الخلافة التي يحلمون بها للسيطرة على العالم.

وبعد أن ظهرت خيانة جماعة الإخوان الإرهابية ومواليها للدين وللوطن على السواء، انتفضت الشخصية المصرية العظيمة والعريقة في تاريخها وحضارتها وثقافتها وتسامحها الديني؛ لتستعيد وحدتها وقوتها بمنهج الاستيعاب والتسامح الذي تتميز به الهوية المصرية منذ الأزل، فقام المصريون بأكبر ثورة شعبية سلمية في تاريخهم الطويل يوم ٣٠ يونيو٢٠١٣م؛ إذ بلغ عدد الثائرين أكثر من ٣٠ مليون مصري ومصرية، يستنصرون – بعد الله تعالى – بجيشهم الوطني الأصيل أن يُعيد لهم وطنهم من مختطفيه، وكان لهم ذلك بكل لطف وهدوء وتوفيق في اليوم الثالث من يوليو٢٠١٣م، ولكن على حساب استهداف أبناء الجيش والشرطة البررة من التنظيم السري المسلح لجماعة الإخوان الإرهابية وذئابها الشاردة المسعورة.

استقوى الشعب – بعد الله عز وجل – بقضائه الشامخ أن يحميه من إرهابهم؛ وذلك بعد أن تقدم بعض المواطنين الشرفاء برفع الدعوى رقم ٢٣١٥ لسنة ٢٠١٣م أمام محكمة القاهرة للأمور المستعجلة مشفوعة بمستندات خيانة جماعة الإخوان وتمويلها الخارجي واتخاذها الإسلام ستارًا لفرض سيطرتها في المجتمع؛ مطالبًا حظر نشاطها. فكان الحكم القضائي التاريخي – بعد حيثياته الموثقة – قاضيًا بحظر أنشطة تنظيم جماعة الإخوان المسلمين بجمهورية مصر العربية، والتحفظ على جميع أموالها في ٢٣ سبتمبر ٢٠١٣م. ثم تقدم بعض الشرفاء برفع الدعوى رقم ٣٣٤٣ لسنة ٢٠١٣م أمام محكمة القاهرة للأمور المستعجلة، مشفوعة بالسيرة الدموية لجماعة الإخوان المحظورة؛ مطالبًا اعتبارها منظمة إرهابية، فكان منطوق الحكم القضائي – بعد حيثياته الموثقة – هو: "اعتبار جماعة الإخوان المسلمين المحظورة منظمة إرهابية" في ٢٤ فبراير ٢٠١٤م. ثم صدر قرار رئيس مجلس الوزراء رقم ٥٧٩ في ٨ أبريل ٢٠١٤م تنفيذًا لهذا الحكم مقررًا: "توقيع العقوبات المقررة قانونًا لجريمة الإرهاب على كل من يشترك في نشاط الجماعة أو التنظيم، أو يروج لها بالقول أو الكتابة أو بأي طريقة أخرى، وكل من يمول أنشطتها".

وبدأت مسئولية الشعب أمام نفسه – بعد أن استرد حكمه المختطف، وتحصن بالقانون من مجرميه وإرهابييه – في حماية مكتسبات ثورته التي دفع ثمنها غاليًا من دم شهداء جيشه وشرطته ومدنييه، ومصابيهم؛ فضلًا عن الخراب والدمار الذي أصاب أكثر منشآته ومؤسساته ومقدراته.

وكان على الشعب – بصفة عاجلة، وبمنظومة مستمرة؛ لكي يتعافى من المرض الذي أصاب هويته بحكم جماعة الإخوان الإرهابية ومواليها، ولكي يكتسب مناعة ضد أفكارها الهدامة – أن يقوم بما يلي:

(١) تصحيح الخطاب الديني بمنع المتاجرة فيه، مع إعلاء قيمة التواضع والتسامح وآداب الحوار مع الآخر.

(٢) وحدة الشخصية المصرية في نسيج وطني واحد بدون عصبية طائفية أو عرقية أو جنسية.

(٣) تقوية الهوية المصرية؛ لمواجهة التطرف الفكري للتنظيمات والتيارات الدينية.

(٤) نشر الوعي الصحيح؛ لمواجهة التزييف المغرض للفوضى والإرهاب.

(٥) مساندة القوات المسلحة درع الأمان للوطن وأهله، والشرطة المدنية سند الأمن للمواطنين ومصالحهم.

****

أسئلة الفصل الرابع: سماحة الأديان وآداب الحوار مع الآخر

م	السؤال	الإجابة	
١	يساهم بيان سماحة الأديان في إضاعتها، وفي كراهية التدين وانتشار العنف والإرهاب.	√	X
٢	التدين الصحيح لا يعزل صاحبه عن واقع الدنيا، ويكفيه بسلامة قلبه وطمأنينة نفسه لم يضر.	√	X
٣	التدين صورة من صور فقه الدين، وليس بالضرورة أن تكون هي صورة الدين الحق الأوحد.	√	X
٤	الناس في عقائدها تجاه ربها غير معذورة لمجرد حسن ظنها فيه، وإن سلمت ألسنتهم وأيديهم.	√	X
٥	التسامح والحوار بالأحسن خلقًا إضاعة للدين ودليل على ضعفه.	√	X
٦	تدل النصوص الدينية على تعميم السماحة للمخالفين المسالمين، وتأثيرها في فتح أبواب الرزق في الدنيا، والنجاة في الآخرة.	√	X
٧	معيار إسلام الوجه لله – المكفول لكل أحد – هو تخوين القلب السليم واتهام النفس المطمئنة فيما بين المخلوق وخالقه.	√	X
٨	العدالة الدينية – التي تجعل المكلفين سواسية في اختيار معتقداتهم دون ضرر أو إضرار – دعوة إلى إضاعة الدين.	√	X
٩	يساهم الأدب بحسن الخلق ومكارمه في التعايش السلمي والتغلب على عصبية الطائفية والمذهبية.	√	X
١٠	الأنبياء والرسل مثلٌ عليا في الآداب العامة، ولا يصدق في حقهم ما يخالفها من مرويات.	√	X
١١	يهدف الحوار إلى نتيجة محايدة تظهرها الحجج المتبادلة.	√	X
١٢	يقوم الجدل على المحايدة بحثًا عن نتيجة تظهرها الحجج المتبادلة.	√	X
١٣	يفيد الحوار في تنمية الفكر، والتخلص من الأفكار المغلوطة.	√	X
١٤	الناس متغايرون خلقة، ومحاولة توحيدهم في الدين وفقهه أضغاث أحلام؛ فلكل إنسان بصمته الدينية.	√	X

م	السؤال	الإجابة	
١٥	يترتب على سماحة الأديان في المعاملات اختصاصها بأهل الملة، فلا تسامح بين مختلفي الأديان.	√	X
١٦	يترتب على سماحة الأديان في الاجتماعيات استحقاق الإنسانيات كالمشاركة في الأفراح والأتراح بين مختلفي الأديان.	√	X
١٧	يترتب على سماحة الأديان في الانتماء الديني الامتناع عن العدوان بالعنف والإرهاب والتكفير للآخر.	√	X
١٨	يترتب على سماحة الأديان في الانتماء الديني اختصاص بني الملة والمذهب بها، واستحقاق المخالف العداوة والعنف والإرهاب والتكفير.	√	X
١٩	التمسك بثقافة السلام والعيش المشترك في الحوار دليل على الضعف الذي لا يليق بقوة الدين وعزته.	√	X
٢٠	الاستفادة من الثقافات والتبادل الحضاري في الحوار من سماحة الأديان، ودليل على عظمتها وواقعيتها.	√	X
٢١	الإصغاء واحترام الحريات العامة في الحوار مع الآخر نوع من التفريط في الأديان، ودليل على ضعفها وخضوعها.	√	X
٢٢	ضبط النفس ونبذ الخيانة والتهديد والإرهاب في الحوار مع الآخر من سماحة الأديان، ودليل على أمانتها وعدالتها.	√	X
٢٣	انتهاء الحوار بالأليق من محاسن الأخلاق أمر يتعارض مع مقاصد الأديان وسماحتها.	√	X
٢٤	الشخصية المصرية منقسمة بالأديان، وتعيش في حروب طائفية.	√	X
٢٥	ابتليت مصر في أوائل القرن العشرين بخطاب ديني استعدائي وتكفيري دخيل على ثقافتها المستوعبة للاختلافات تزعمته جماعة الإخوان الإرهابية ومواليها.	√	X

إجابة أسئلة الفصل الرابع: سماحة الأديان وآداب الحوار مع الآخر

رقم السؤال	الإجابة
١	خطأ
٢	صح
٣	صح
٤	خطأ
٥	خطأ
٦	صح
٧	خطأ
٨	خطأ
٩	صح
١٠	صح
١١	صح
١٢	خطأ
١٣	صح
١٤	صح
١٥	خطأ
١٦	صح
١٧	صح
١٨	خطأ
١٩	خطأ
٢٠	صح
٢١	خطأ
٢٢	صح
٢٣	خطأ
٢٤	خطأ
٢٥	صح

الباب الثاني

الفصول الاختيارية :

١-**الفصل الخامس:** التربية الإعلامية الرقمية.

٢-**الفصل السادس:** يحدده مجلس الجامعة.

الفصل الخامس :

التربية الإعلامية الرقمية

تأليف

أ.د/ سهير عبد السلام حنفي

أستاذ الفلسفة السياسية

كلية الآداب - جامعة حلوان

التربية الإعلامية الرقمية

- تطبيقات عملية-

أدى التقدم الهائل فى مجال تكنولوجيا الاتصال والإعلام، وما نتج عنه من إعلام رقمي إلى وضع العالم كله أمام تحديات عظمى، حيث إنفتح العالم شرقه وغربه، شماله وجنوبه على بعضه البعض، وسقطت الحدود أمام عالم افتراضي تتناقل فيه الأخبار والمعلومات والآراء عبر التطبيقات المتعددة على شبكة الإنترنت، حيث لم يعد الإعلام الرقمي مرتبطاً بسياسات الدول والحكومات، وإنما يصنعه الأفراد والجماعات إلى جانب المؤسسات الإعلامية، ولم يعد فكراً أو رأياً واحداً، وإنما كل الأفكار والآراء مطروحة، وتعددت المؤثرات المسموعة والمرئيه من صوت وصورة وفيديو وموسيقى وتركيبات فنية لتخلق عالماً خيالياً مبهراً للمتفاعلين معه، وتيسر الحصول على المعارف والمعلومات، وشمل هذا العالم الافتراضى كل المتناقضات وعبر عدة سياقات ثقافية وسياسية واجتماعية مختلفة، فكان هناك دائما من يستخدم آليات الإعلام الرقمى فى تقدم البشرية ونشر المعارف والتجارب الإنسانية الايجابية والبناءة ومن يستخدم هذه الآليات لتحقيق أهداف تدميرية ومغرضة، تؤثر على أمن وسلامة المجتمعات والدول.

لذا إتجهت دول العالم نحو الفرد فى المقام الأول لتنمية مهاراته فى التفاعل مع وسائل الإعلام الرقمى ليحقق أكبر إستفادة من التقنيات الحديثة للإعلام الرقمى، وليكون الفرد بوعيه وإدراكه هو السد المنيع الأول فى مواجهة أى محتوى إعلامى يؤثر على أمنه الإنسانى والوطنى والقومى، وتجنب الفتن ومواجهة الشائعات وحروب الجيل الرابع، والتمسك بالأوطان والإنتماء إليها.

من هنا دعت كثير من المنظمات الدولية والحكومات إلى تدريس مقرر التربية الإعلامية للطلاب فى مراحل التعليم المختلفة.

أولا: مفهوم التربية الإعلامية:

التربية الإعلامية هى تنمية الوعى بتأثير وسائل الإعلام فى الفرد والمجتمع، والقدرة على تحليل ونقد الرسائل الإعلامية، والاستمتاع بما تحتويه إذ يعرفها آرت سيلفر بلات Art Silver Blatt بأنها "الوعى بتأثير وسائل الإعلام في الفرد والمجتمع، وفهم عملية الاتصال الجماهيري، وتطوير استراتيجيات تمكننا من تحليل الرسائل الإعلامية ومناقشتها ، وتنمية الاستمتاع الجمالى والفهم والتقدير لمضمون وسائل الإعلام".

وهناك من يعرف التربية الإعلامية بوصفها وسيلة لإدراك الأغراض الكامنة خلف المحتوى الإعلامى الذى يتعرض له الأفراد، ويعرفها "جستن لويس Justin Lewis" و "ست جالى Sut Jhally " بأنها "فهم العوامل الثقافية والاقتصادية والسياسية والتكنولوجية، المؤثرة فى إنتاج وسائل الإعلام وتوزيعها وإبداعها ".

كما يرى بعض الباحثين أن التربية الإعلامية تُنمى القدرة على تجسيد صورتنا عن أنفسنا أمام الآخرين وهو ما أشار إليه "دبليو جيمس بوتر W. James Potter" فى كتابه Media Literacy باعتبار أن التربية الإعلامية هى "المنظور الذى من خلاله نعرض أنفسنا لوسائل الإعلام، كى نفسر معانى الرسائل التى نتعرض لها لبناء المعرفة باستخدام أدوات ومواد خام، وتعد مهاراتنا بمثابة هذه الأدوات، أما المواد الخام فتتمثل فى المعلومات التى نحصل عليها من خلال وسائل الإعلام".

أما "ماك ديرموت Mc. Dermott" فقد عرفها عام ٢٠٠٧ على أنها القدرة على التلقى الناقد والتفاعل الواعى والهادف فيذهب إلى أنها "تكوين القدرة على قراءة الاتصال وتحليله وتقويمه وإنتاجه، فالوعى الإعلامى لا يقتصر على جانب التلقى والنقد فقط، بل يجب أن يتعدى إلى المشاركة الواعية والهادفة لإنتاج المحتوى الإعلامى".

أ- المهارات المكتسبة من التربية الإعلامية:

تعد مهارات التربية الإعلامية من المهارات المستمرة مدى الحياة Life-long skills، وفى مختلف المراحل العمرية، وتحتاج دائمًا للتطوير والتحديث للتعامل مع المتغيرات المتسارعة فى عالم الاتصال والإعلام.

والتربية الإعلامية حق لكل مواطن مرتبط بحقه فى حرية التعبير وحق الوصول إلى المعلومات، لذا فهى حق أساسى فى المجتمعات الديمقراطية.

وهناك مجموعة من المهارات التى يكتسبها الفرد من خلال التربية الإعلامية وهى:

١- الاطلاع الواعى على المضمون والرسائل الإعلامية وإدراك وجهات النظر التى يحملها.
٢- فهم كيف ولماذا ينتج مضمون معين والهدف منه.
٣- تطبيق المنهج النقدى والتحليلى على الرسائل الإعلامية.
٤- استخدام وسائل الإعلام فى نقل الأفكار والمعلومات والآراء بحرية ومسؤولية ومصداقية.
٥- رفض المواد الإعلامية التى تتعارض مع مبادئه وثقافته وأخلاقه.
٦- التأكد من أهداف أفكار بعض المضامين الإعلامية التى تحمل توجهات سياسية قد تكون مغرضة.
٧- إدراك الأفراد وتوقعهم للنتائج التى يمكن أن تترتب على مشاركتهم على شبكات التواصل الاجتماعى، وكيف يمكن أن تأتى مثمرة وبناءة للمجتمع والدولة، أو مدمرة لأمن المجتمع وسلامته داخليًا وخارجيًا.

تطبيقات:

يتم تشكيل مجموعات عمل لمناقشة الموضوعات التالية وتدوين النتائج ومناقشتها مجتمعة.

- فى حياتنا اليومية كيف نحصل على الأخبار والمعلومات؟ كيف تتأكد من صدق الأخبار والمعلومات؟ ما المواقع الإلكترونية التى تتفاعل معها؟

ب- أهداف التربية الإعلامية

الهدف فى العملية التعليمية هو السلوك المتوقع من الدارس نتيجة تحصيله وتطبيقه لمنهج دراسي معين، وهو الخبرة المكتسبة من التعليم والتى تؤدى إلى تغيير فى سلوكه ورؤيته ومعارفه، ولعله من أهم أهداف التربية الإعلامية.

١- **فهم دور الإعلام والمعلومات فى مجال الديمقراطية:** وتوفير الوصول إلى جميع وسائل الإعلام بسهولة ويسر، إلى جانب فهم المفاهيم الأساسية فى الفكر الديموقراطى كحرية التعبير، وحرية الحصول على المعلومات، والحقوق الأساسية.

٢- **فهم مضمون الإعلام:** ويكون بتحليل القوالب النمطية فى الإعلام والمقصود بها القوالب التى تخدم مصالح بعض الفئات فى المجتمع من دون غيرها، والتقنيات المستخدمة للإبقاء على تلك القوالب، وكذلك "القدرة على فهم الرسائل الإعلامية وما تحمله من قيم وتفسيرها.

٣- **التقييم النقدى للإعلام ومصادر المعلومات:** وهو القدرة على تفحص المعلومات ومقارنتها من مصادر مختلفة من أجل تقييم موثوقيتها، وصحتها ودقتها ومرجعيتها وإطارها الزمنى ومدى تحيزها، و تطوير مهارات التفكير النقدى والتحليلى لدى النشطاء عند تلقى الرسائل الإعلامية، سواء كانت رسائل إخبارية أو ترفيهية، باستخدام مجموعة متنوعة من المعايير (على سبيل المثال: الوضوح والدقة والفعالية والتحيز وملائمة الوقائع) بهدف تقييم معلومات وسائل الإعلام.

٤- **تطبيق أشكال إعلامية جديدة وتقليدية:** ويكون بفهم استخدامات التكنولوجيا الرقمية وأداوات الاتصال والشبكات واستخدامها فى سياقات وأغراض متعددة، ومقارنتها باستخدام وسائل متعددة من الإعلام التقليدى كالصحافة الورقية والإذاعة والتليفزيون.

٥- **تحديد السياق الاجتماعى والثقافى للمضمون الإعلامى:** إذ يتم إنتاج المحتوى الإعلامى فى سياقات اجتماعية وثقافية مختلفة، لذا ينبغى تحليل التلاعب بالقواعد والتوقعات وشرحها فى وسائل الإعلام المختلفة لتحقيق تأثيرات معينة، وإنتاج نصوص إعلامية تحمل وجهات نظر متنوعة وفى سياقات اجتماعية وثقافية مختلفة.

٦- **تشجيع الطلاب على اتباع منهج التربية الإعلامية وإجراء التغيرات اللازمة:** ويكون بتطبيق الطلاب لمقرر التربية الإعلامية على الرسائل الإعلامية المختلفة من خلال المصدر والمحتوى

والوسيلة الإعلامية، وتشجيع الإنتاج والإبداع والتفاعل فى مختلف مجالات الاتصال الإعلامى ورسائله المتعددة.

تطبيقات:

قم بإعداد تقرير شخصى عن يوم واحد، مدونًا فيه استخدامك اليومى وتفاعلك مع وسائل الإعلام ومصادر المعلومات الأخرى، وعدد الساعات التى تقضيها مع كل وسيلة من وسائل الإعلام، وما مصادر المعلومات فى حياتك؟ موضحًا تفسيراتك وتحليلاتك وفهمك لما حصلت عليه من معلومات وأخبار، ومدى اختلاف كل وسيلة إعلامية عن الأخرى فى العرض.

ج - المناهج المستخدمة فى تقييم المحتوى الإعلامى ومصادر

أكدتْ الدراساتُ التى تناولت التربية الإعلامية، أهميةَ استخدام المنهجين التحليلى والنقدى فى تناول المحتوى الإعلامى، للتأكد من مصداقيته وموضوعيته وموثوقيته، وأن من أهداف التربية الإعلامية تنميةَ مهارات التفكير التحليلى والنقدى لدى الأفراد المتفاعلين مع وسائل الإعلام؛ إذ يتمكن الفرد بامتلاكه تلك المهارات أن يصبح أكثر استقلالية وموضوعية فى أحكامه على الأشخاص والموضوعات، قادرًا على التمييز والتصنيف والمقارنة والنقد ليختار الأفضل له من دون الانسياق وراء أحكام وآراء الآخرين إذا ثبت خطأها أو اختلافها عنه وعدم ملاءمتها له، وكذلك عدم الانبهار بالمؤثرات الجاذبة المصاحبة لعرض الخبر من صورة وفيديو ورسوم وألوان، والتركيز على تحليل الخبر ونقده واستخلاص الدوافع والأهداف الكامنة خلفه، وينبغى أن يتعلم ويتدرب الطلاب على تلك المهارات خلال مراحل التعليم المختلفة، وليس الهدف من التحليل والنقد هنا رفض الآخر، وإنما قبول الاختلاف والتعددية، والعمل فى إطار إنسانى أخلاقى متسق -على الرغم من تعدد روافده- يحمى الخصوصية ويرفض الخداع والتضليل.

أ) **التفكير التحليلي "المفهوم وأهم المهارات":**

يشير مصطلح التفكير التحليلى إلى نمط من التفكير يقوم فيه الفرد بتجزئة المادة العلمية إلى عناصر ثانوية أو فرعية، وإدراك ما بينها من علاقات أو روابط، مما يساعد على فهم بياناتها، والعمل على تنظيمها فى مرحلة لاحقة.

وتعرف القدرة على التحليل بأنها المقدرة الفعلية التى تمكن الفرد من الفحص الدقيق للوقائع، والأفكار والحلول والأشياء والمواقف، وتفتيتها إلى أجزائها، أو تقسيمها إلى مكوناتها الفرعية، وهو ما يؤدى إلى فهم أجزاء الموقف محل الاهتمام، وتجزئته إلى مكوناته الأصغر، كما يسمح بإجراء عمليات أخرى على هذه الأجزاء (كالتصنيف، والترتيب، والتنظيم ..إلخ).

وينبغى على الفرد الدارس للتربية الإعلامية حين التعرض للمحتوى الإعلامى، اتباع الخطوات التحليلية التالية:

١. عرض المحتوى الإعلامى وتحديد سماته العامة، ومجاله، وتخصصه، ومصدره، والوسيلة الإعلامية التى جاء فى سياقها.
٢. تحديد الأجزاء المهمة التى تحمل رسالة محددة، وعلاقتها بعضها ببعض.
٣. ملاحظة اللغة والصورة والعلامات المصاحبة.
٤. مراعاة الترتيب الزمنى والسياق المكانى والثقافى الذى جاء فيه المحتوى.
٥. مقارنة المحتوى الإعلامى بمحتويات أخرى مشابهة له، أو مقارنة أجزاء المحتوى نفسه فيما بينها.
٦. تصنيف الأجزاء التى تم التوصل إليها بعد المقارنة التى أُجريت على المحتوى الإعلامى.
٧. تحديد معايير تقييم المحتوى من موضوعية وشفافية وموثوقية للمصدر والوضوح.
٨. تخمين المعانى الضمنية غير المصرح بها فى المحتوى والهدف.
٩. إجراء القياس على أخبار مشابهة فى أحداث مختلفة.
١٠. عرض الاحتمالات.
١١. استخلاص نتائج عامة حول المحتوى الإعلامى.

تطبيقات:

- اختيار مقتطف من نص إعلامى يهتم به الدارس، قد يكون مادة إخبارية، فيديو من اليوتيوب، أو مقطع فيديو من مصدر إخبارى على الإنترنت، وتحليل النص بواسطة تحليل الجمهور، والغرض من النص، والكاتب، ومميزات النص، أو التقنية، والسياق، وتطبيق عناصر الخبر مثل من هو مصدر الخبر، ولماذا يهدف، وأين الحدث والفئة الموجه لها الخبر والوسائل المستخدمة.

ب) التفكير النقدى "المفهوم وأهم المهارات":

أكد الفلاسفة والمفكرون أهميةَ التفكير النقدى، وأُطلقَ عليه أصحابُ النظرية النقدية التفكيرَ السلبى، وهو عكس التفكير الإيجابى الذى يقبل الواقع كما هو عليه، ويسير مع المجموع فيتخلى الإنسان عن وجوده ومتطلباته الحقيقية وينساق وراء الآخرين.

ويعرف "واتسون- جلاسر Glaser-Watson " التفكير الناقد بأنه فاعلية الفرد فى فحص المعتقدات والمقترحات فى ضوء الشواهد التى تؤديها، والحقائق المتصلة بها؛ لذا يتطلب التفكير الناقد قدرة الفرد على فهم اللغة واستخدامها فى عملية اتصال دقيقة، وإدراك العلاقات المنطقية بين القضايا، كذلك القدرة على تفسير البيانات واستخلاص النتائج وتقويم الشواهد والأدلة".

كما يصنف كل من واطسون وجلاسر مهارات التفكير النقدى بأنها:

١. **التعرف إلى الافتراضات:** من خلال القدرة على التمييز بين درجات صدق المعلومات، أو عدم صدقها، والتمييز بين الحقيقة والرأى، والغرض من المعلومات المعطاة.

٢. **التفسير:** ويعنى القدرة على تحديد المشكلة، والتعرف إلى التفسيرات المنطقية، وتحديد إذا كانت التصميمات والنتائج مبنية على معلومات دقيقة، وإن كانت مقبولة أم لا.

٣. **الاستنتاج:** ويشير إلى قدرة الفرد على استخلاص النتيجة من حقائق معينة أو مفترضة.

٤. **تقويم الحجج:** أى القدرة على تقويم الفكرة المقدمة، وقبولها أو رفضها، والتمييز بين المصادر الأساسية والثانوية، والحجج القوية والضعيفة، وإصدار الحكم على مدى كفاية المعلومات، كما يمكن تصنيف التفكير الناقد إلى ثلاث فئات هى:

- **التفكير الاستنباطى:** وهى مهارات البرهنة المنطقية، التى تستهدف التوصل لاستنتاج ما، بالاعتماد على فروض أو مقدمات متوافرة وصادقة بتقديم دليل يتبعه ويترتب عليه بالضرورة استنتاجٌ مقصود بعينه، أما صدق البرهان من عدمه فيمكن تحديده عن طريق فحص بنائه ومكوناته.
- **التفكير الاستقرائى:** وهى مهارات البرهنة المنطقية، والمقصود بها أن ما ينطبق على الجزء ينطبق أيضًا على الكل، وهو عملية استقراء أو تعميمات تتجاوز حدود الأدلة المتوافرة أو المعلومات التى تقدمها المشاهدات السابقة.
- **التفكير التقييمى:** وهو مهارة إثبات حالة عامة لموضوع معين بناءً على معايير منظمة ومحسوسة، مثل تقييم موضوع ما بأنه جيد أو رديء، ناجح أو فاشل ...إلخ.

كما جاء فى كتاب معرفة أساسيات المعلومات والإعلام الصادر عن منظمة اليونسكو أن المهارات المتوقع إكتسابها من تطبيق التفكير النقدى من خلال التربية الإعلامية هى:

١. إظهار المقدرة على تفحص المعلومات الآتية ومقارنتها من مصادر مختلفة من أجل تقييم موثوقيتها، صحتها، دقتها، مرجعيتها، إطارها الزمنى، ومدى تحيزها.

٢. استخدام مجموعة متنوعة من المعايير(على سبيل المثال: الوضوح، الدقة، الفاعلية، التحيز، ملاءمة الوقائع) بهدف تقييم معلومات وسائل الإعلام (كالمواقع الإلكترونية، الأفلام الوثائقية، الإعلانات، البرامج الإخبارية)،

٣. التعرف إلى الأحكام المسبقة والخداع والتلاعب فى الخبر والمعلومة.

٤. التعرف إلى السياقات الثقافية والاجتماعية أو غيرها، التى تم من خلالها إعداد المعلومات وفهم تأثير السياق في تفسير المعلومات.
٥. التعرف على مجموعة من التكنولوجيات المتصلة بالإعلام ودراسة التفاعل بين الأفكار.
٦. مقارنة المعرفة الجديدة مع المعرفة السابقة؛ لتحديد القيمة المضافة، التناقضات، أو أى خصائص فريدة أخرى للمعلومات.
٧. تحديد الدقة المحتملة عن طريق التشكيك بمصدر البيانات، والقيود المفروضة على أدوات جمع المعلومات أو الاستراتيجيات، وما إذا كانت النتائج الختامية معقولة.
٨. استخدام مجموعة من الاستراتيجيات لتفسير النصوص الإعلامية(على سبيل المثال: الاستنتاجات، التعميمات، تلخيص المواد المقدمة، الرجوع إلى الصور أو المعلومات المقدمة من قبل الإعلام المرئى لدعم وجهة نظر معينة ، تفكيك المضمون الإعلامى لتحديد التحيزات الكامنة، وفك رموز النص الضمنى).

تطبيقات:

تناول فى مجموعات عمل خبر وطبق عليه المنهج النقدى وحدد مدى مصداقيته وموثوقيته.

ثانيا: الاعلام الرقمى مفهومه وخصائصه ومميزاته:

أ) مفهوم الاعلام الرقمي:

الإعلام الرقمى هو الإعلام الذى يستخدم الوسائط الإلكترونية، فى نقل وتخزين أى محتوى إعلامى، تلك الوسائط التى يسرت له التفاعلية بين المستخدمين بعضهم بعضاً من ناحية، وبينهم وبين مصادر المعلومات من ناحية أخرى، كما يسرت له اللاتزامنية والانتشار السريع والإنفتاح على العالم وغيرها من الخصائص التى لم تكن متوفرة للإعلام التقليدى من صحافة ورقية وإذاعة وتيلفزيون، ويعد إنتشار شبكة الإنترنت وأجهزة الكمبيوتر والهواتف المحمولة الذكية عاملا أساسيا فى ظهور الإعلام الرقمي عبر عدة تطبيقات ومواقع إلكترونية وشبكات للتواصل الإجتماعى من (فيسبوك ويوتيوب وإنستجرام وتويتر والمدونات والمواقع الالكترونية ... وغيرها). وترتب عليه ظهور صحافة المواطن، والاعلام المؤسسى، والتسويق الالكترونى، هو إعلام متحرر من أحادية المصدر والمستوى الإعلامى، يمكن لأى مصدر فردى أو مؤسسى أن ينشر ويتفاعل مع أى خبر أو معلومة دون أية محددات جغرافية أو زمانية، مستخدماً الوسائل التقنية للإعلام مثل الكتابة والتصوير الفوتوغرافي والصوت والصورة والفيديو.

ب) خصائص الاعلام الرقمى:

يتميز الإعلام الرقمى بعدة خصائص هامة تميزه عن الإعلام التقليدى هى:

١- **التفاعلية: Interactivity** يتميز الإعلام الرقمي بأنه متعدد الاتجاهات، بين المصدر والمستقبل والوسيلة، مما يخلق تفاعلية بين أطراف عملية الإتصال، فالمتلقى يشارك برأيه، وينتقد الرسالة الإعلامية، ويحللها ويعدلها ويضيف إليها أو يحذف منها ويعيد نشرها، أو إنتاج رسائل جديدة ونشرها باعتباره مصدراً للرسالة الإعلامية. وتبدو التفاعلية واضحة أيضاً فى تعدد وسائل الإعلام الرقمي، والتى تسمح بمجالات متعددة للتفاعل.

٢- **الكونية:** أصبحت بيئة الاتصال عالمية، تتخطى حواجز الزمان والمكان والرقابة، مما حقق آليات الكونية والعولمة الثقافية والاقتصادية، والاجتماعية، واندمج العالمى مع المحلى في المحتوى والرسائل الإعلامية، وتطورت وسائل الإعلان عن المنتجات، التي تحولت إلى الأسواق المفتوحة والعالمية.

٣- **الأممية:** وفرت وسائل الإعلام الجديد تواصلاً بين المتشابهين في العقائد والإتجاهات والأفكار في العالم كله، في عبور لحدود الأوطان والدول يجتذب فئات بعينها من الجمهور.

٤- **تعدد المنصات الاتصالية:** إن المنصة الاتصالية لوسائل الإعلام الجديد تجمع بين نظم متعددة للاتصال والوسائل الرقمية المختلفة، والمحتوى بأنواعه في منظومة واحدة، توفر للمتلقى خيارات عديدة، حيث يوفر النظام الرقمى أساليبًا للعرض والإتاحة، ووسائل التخزين بشكل متكامل خلال استخدام شبكة الإنترنت ومواقعها المتعددة.

٥- **تفتيت الكتلة الجماهيرية:** لم يعد الجمهور كتلة واحدة كما كان في ظل وسائل الإعلام التقليدي، وإنما يمكن أن يخص عرض محتوى إعلامى ما أفراد ومجموعات من الأفراد أو المتخصصين في مجال ما، كما أن غزارة المواد الإعلامية المعروضة وتعدد الوسائل، تجعل الاختيارات متعددة أمام المتلقى، وفقا لكل فئة عمرية أو عقائدية أو تخصصية.

٦- **اللاتزامنية** Asynchronous: عدم وجود علاقة زمنية بين عرض الرسالة الإعلامية ومتابعتها من الجمهور، وكذلك إرسال الرسائل الإلكترونية من الراسل وقراءتها من المستقبل؛ إذ يمكن أن يحدث الاطلاع في وقت غير متزامن مع الرسالة، كما يمكن تخزين الرسالة واسترجاعها في أي زمان ومكان.

٧- **التواصل مع فئات خاصة من الجمهور:** قدمت شركات البرمجيات وسائلا ميسرة تتيح للأطفال وكبار السن وذوى الاحتياجات الخاصة، والإعاقات الذهنية والمكفوفين الولوج إلى وسائل الإعلام الجديد.

٨- **حرية الرأى والتعبير:** من أساسيات الإعلام الجديد حرية الرأى والتعبير، حيث يتيح منصات للحوار الحر ما بين مؤيد ومعارض ومحايد بحرية كاملة من دون وجود رقابة تمنع أو تحجب.

ج) مميزات وفوائد الإعلام الرقمي:

حقق الإعلام الرقمي العديد من المميزات والفوائد للبشرية بوجه عام، ويأتى الحديث عنها لتنمية الوعى بالجوانب الإيجابية للاعلام الرقمى، وسبل الاستفادة منها فى دعم الحرية والديمقراطية والتطور العلمى والثقافى والإنسانى.

من أهم هذه المميزات:

١. توفير العديد من قنوات الإتصال التى تحقق تواصل الأفراد والمؤسسات والتفاعل الجماعى.
٢. توازن عرض المعلومات ما بين مؤيد ومعارض والحصول على المعلومة من أكثر من مصدر.
٣. توافر المعلومات والمعارف على المواقع الالكترونية مما يوفر ثروة معلوماتية مفيدة للتطور العلمى والإنسانى وتسهيل التعليم والتعلم.
٤. تسهيل الحوارات والنقاشات الواعية بين الأطراف الاجتماعية المختلفة، وتشجيع حل النزاعات بالوسائل الديمقراطية.
٥. توفير الوسائل التى يمكن من خلالها تجسيد صورة الهوية الثقافية وحفظها ونشرها عبر الحدود.
٦. إمكانية المراقبة والمحاسبة على العمل الحكومى والمؤسسى فى إطار من الديمقراطية.
٧. فتح مجالات إقتصادية غير محدودة وأسواق إلكترونية لتحقيق رواج إقتصادى للافراد والدول والحث على تنمية القدرة على المنافسة.
٨. نشر قيم الديمقراطية والتسامح وحقوق الإنسان، وتنمية روح الولاء والانتماء.
٩. حرية التعبير عن الآراء والمعتقدات الشخصية والتواصل مع المتشابهين فيها عبر العالم بأكمله.
١٠. تغيير منظومة الإعلام التقليدى، وحرصه على تحقيق قدر أكبر من الشفافية والإنضباط والموضوعية وسرعة التفاعل مع الأحداث.
١١. وفرت للسلطة السياسية متابعة دقيقة لاتجاهات الرأى العام والخاص للجماهير، وإتخاذ السياسات اللازمة للموائمة مع تلك الاتجاهات وتلبية الاحتياجات.

وهناك العديد من المميزات المتجددة دائماً والتى تطرحها الأحداث الجارية والتى تتوافق مع الطموحات السلمية التى تسعى دائما لتحقيق الوفاق والأمن الاجتماعى.

تطبيقات:

- تخيل ماذا يحدث لو اختفت يومًا وسائلُ الإعلام بأكملها، من إنترنت و أجهزة كمبيوتر وهواتف محمولة، وصحف ومجلات وإذاعة وتليفزيون، حلل ضمن مجموعات صغيرة، وضع تصور كيف يمكن إعلام الناس بالأخبار والوقائع والأحداث؟ وكيف ستتخذ قرارات مهمة فى دراستك أو عملك؟ وماهو أكثر ما ستفتقده بشكل شخصى فى هذه الحالة؟ وماذا سيخسر المجتمع من جراء ذلك؟
- ناقش الاختلاف بين نبأ إخبارى يحمل رأيًا مدونًا فرديًا على وسائل التواصل الاجتماعى، وتقرير إخبارى يظهر على النسخة الإلكترونية لصحيفة يومية.

د) الإعلام الرقمى بين حرية التعبير والمسؤولية الاجتماعية:

يعد الحق فى حرية الرأى والتعبير من الحقوق الأساسية للإنسان والمواطن، وقد ناضلت من أجله الشعوب، ونصت عليه المواثيق والمعاهدات الدولية ودساتير الدول، وهو مقوم أساسي فى الفكر الديمقراطي الليبرالى.

ويشير الحق فى حرية الرأى الى الحرية فى اعتناق الآراء المختلفة من دون تدخل أو تقييد من الآخرين، كما يشير الحق فى حرية التعبير إلى حرية الفرد فى نقل آرائه ومعتقداته وأفكاره والتعبير عنها وإعلانها للآخرين بأية وسيلة، سواء بالتفاعل مع وسائل الإعلام المختلفة، أو عن طريق الأعمال الفنية أو الإعلانات التجارية ... وغيرها.

ولكن ينبغى الإشارة إلى أنه لا يوجد حق مطلق، فلكل حق حدود يعد تخطيها تعدى على حقوق الآخرين، وإنتشار الفوضى، والإرتداد إلى حالة بدائية ووحشية، تضيع فيها الحقوق، وفى ظل الإعلام الرقمى، يتخطى كثير من المتفاعلين معه محددات ذلك الحق، تلك المحددات التى نصت عليها المواثيق الدولية ودساتير الدول مثلما نصت على الحق ذاته، وذلك لحفظ وحماية حقوق الآخرين والأمن القومى والوطني والاجتماعى.

ونظرية المسؤولية الاجتماعية هى معيار الالتزام بالحق فى حرية التعبير وتحقيق أعلى قدر من المصداقية والشفافية والالتزام الأخلاقى للتفاعل على وسائل الإعلام التقليدى والرقمى.

ومع عدم الوعى بمحددات الحق فى حرية التعبير وقيم المسئولية الاجتماعية انتشرت على وسائل الإعلام الرقمى صور من التجاوزات التى تصل إلى حد الجرائم الإلكترونية مثل السب والقذف والتشهير والاتجار بالبشر، ونشر الشائعات، وأفشاء الأسرار الهامة التى قد تضر بمصالح البلاد الداخلية والخارجية، وهو الأمر الذى يتطلب نشر الوعى بذلك الحق ومحدداته.

١) الحق فى حرية التعبير ومحدداته:

جاء فى المادة (١٩) من الإعلان العالمى لحقوق الإنسان الصادر عن الامم المتحدة عام ١٩٤٨، "لكل شخص حق التمتع بحرية الرأى والتعبير، ويشمل هذا الحق حريته فى اعتناق الآراء من دون مضايقة، وفى إلتماس الأنباء والأفكار وتلقيها ونقلها إلى الآخرين بأية وسيلة، دونما إعتبار للحدود، كما جاء فى المادة (١٩) من العهد الدولى للحقوق المدنية والسياسية وجوب أن تكون القيود الواردة على حرية التعبير مقررة بموجب القانون، كما يجب أن يكون صدور هذا القانون ضرورياً لخدمة أغراضه.

- إحترام حقوق الأفراد وسمعتهم.
- حماية الأمن القومى والنظام العام.
- حماية الأخلاق العامة.
- حماية الصحة العامة.

وكثيراً ما تنتهك تلك المحددات على وسائل الإعلام الرقمى، بطرق واعية وغير واعية، وقد تصل تداعياتها إلى إنهيار دول، وتشتت شعوب، وإنتشار الفوضى والتردى الأخلاقى والمعنوى، لا سيما وإن كانت تلك الإنتهاكات منظمة ولها أهداف مسبقه، وإستراتيجيات معدة سلفاً من قبل جماعات ودول لتحقيق تلك الأهداف. وهو ما يتطلب تنمية وعى الأفراد والمؤسسات التى تتفاعل مع وسائل الإعلام الرقمى بقيم المسؤولية الاجتماعية.

٢) المسؤولية الاجتماعية:

أكدتْ نظرية المسؤولية الاجتماعية Social responsibility theory أن حرية التعبير حقٌ وواجب ومسؤولية، تتطلب إلتزام وسائل الإعلام بواجبات ومسؤوليات تُجاه المجتمع، ووضع معايير مهنية للإعلام والإعلاميين، للارتقاء بمستوى الأداء الإعلامى، فى إطار قانونى وفى سياق المواثيق وأخلاقيات العمل الإعلامي.

نشأت نظرية المسؤولية الاجتماعية بوصفها رد فعل على بعض ممارسات المؤسسات الصحفية والصحفيين، التى أخلت بمعايير الصحافة الليبرالية ومحدداتها، أثناء الحرب العالمية الثانية، وكان يطلق بعض النقاد على هذه المرحلة "العهود السوداء للصحافة الحزبية" حيث تشكلت لجنة عام ١٩٤٧ فى الولايات المتحدة الأمريكية وأعدت تقرير بعنوان "صحافة حرة مسؤولة" وكان هذا التقرير بمثابة انطلاق النظرية المسؤولية الاجتماعية فى الإعلام بشكل عام.

ويعرف "ماك ماكويلز Mc Quails" المسؤولية الاجتماعية فى كتابه "Mass communication" باعتبارها "السمات المهمة التى يجب أن تتسم بها وسائل الإعلام للعمل على تحقيق الديمقراطية فى

المجتمع، وذلك بتطبيق بعض الواجبات والالتزامات غير الموثقة، ولكنها معترف بها بشكل ضمنى، كما أنها مجموعة المبادئ الأخلاقية التى تجعل وسائل الإعلام منبرًا لتقديم الحقيقة للمجتمع".

ويشير ماكويلز" فى تعريفه للمسؤولية الاجتماعية إلى تطبيق ضمنى غير موثق لمعايير المسؤولية الاجتماعية، ولكننا اليوم وفى ظل الانتهاكات المتعددة عبر وسائل الإعلام الرقمي، نحتاج الى أمرين.

أولهما: وجود إجراءات موثقة وتشريعات قانونية تحمى الحقوق والحريات الإنسانية والأمن والسلام الفردى والمجتمعى والعالمى، عبر وسائل الاتصال والإعلام المختلفة والمتعددة.

ثانيهما: وجود حوار مجتمعى بين المتفاعلين على المنصابت الإعلامية لتحديد القيم والمعايير التى تتوافق مع القيم الثقافية والأخلاقة فى كل مجتمع، لتشكل ميثاق شرق إعلامى للمواطن الصحفى، لخلق وعى إعلامى يقيم المسؤولية الإجتماعية والإلتزام بها فى كل الممارسات على وسائل الاعلام الرقمي.

وفى إطار الإعلام التقليدى تكون مبادئ المسؤولية الاجتماعية موجهة للمؤسسة الإعلامية والعاملين فيها والقائمين عليها، بينما ينحصر دور الجمهور فى حقه فى الحصول على المعلومة والخبر الصحيح، وأن يكون له دور فى إبداء الرأى والتعليق فى حدود ما هو متاح عبر الوسائل التقليدية بينما فى ظل الإعلام الرقمى والجديد لابد وأن تتوجه مبادئ المسؤولية الاجتماعية إلى الجمهور نفسه ممثلا فى كل فرد من أفراد المجتمع. هذا هو الدور الأكثر فاعلية لنظرية المسؤولية الاجتماعية.

تطبيقات:

- ضع مع زملائك فى مجموعات عمل، وحلقات نقاشية، بعض الالتزامات الأخلاقية التى يجب إتباعها عند التفاعل على وسائل التواصل الاجتماعي، من منطلق المسؤولية الاجتماعية، والقيم والأخلاقيات والمعتقدات فى وطننا العربى. ليمثل فى النهاية ميثاق شرف إعلامى للتفاعل على وسائل التواصل الإجتماعى نضعه بأنفسنا.

ثالثا: التحديات الناجمة عن الإعلام الرقمي:

مثلما أتاح الإنترنت خزينة للمعرفة والمعلومات وتجارب الأمم والشعوب وحصيلة الخبرة الإنسانية الكونية، فإنه أيضا يخلق كثيراً من التحديات والصعوبات التى أدت إلى العديد من الجرائم والصراعات والفتن، وبقدر ما يستفيد الإنسان المعاصر من إيجابيات ومعارف وإبداعات الإعلام الرقمى فهو أيضا يمكن أن يتورط كضحية دون وعى أو قصد إما فى جرائم إلكترونية قد تدمر حياته الشخصية والعملية او تفقده حياته، أو أن يسقط فى براثن حروب الجيل الرابع والحروب النفسية والدعاية المفرطة والشائعات التى تفقده ثقته فى دولته ومؤسساته السياسية والاقتصادية، وإنجازات حكومته فيساعد الفرد بتفاعله

اللاواعى عبر وسائل الاعلام الجديد فى أحداث الفتن، وإثارة المواطنين والاحتجاج، وقد يؤدى ذلك إلى إسقاط دول تعجز جيوش العالم عن إسقاطها. وسوف نعرض أولا للجرائم الإلكترونية، ثم حروب الجيل الرابع.

أ. الجرائم الإلكترونية:

الجريمة الإلكترونية فعل يسبب ضرراً جسيماً للأفراد أو الجماعات أو المؤسسات بهدف إبتزاز الضحية وتشويه سمعتها، لتحقيق مكاسب مادية أو خدمة أهداف سياسية، بإستخدام وسائل الاتصال الحديثة، فالجريمة الإلكترونية يمكن أن تتم دون وجود مرتكب الجريمة فى مكان الحدث.

من أكبر هذه الجرائم شيوعاً وانتشارا:

١- السب والقذف والتشهير:

تحولت منصات التواصل الاجتماعى فى ظروف معينة إلى منصات لتبادل السباب والقذف والتشهير من دون دراية أنها أفعال يُحاسب عليها القانون بالحبس والغرامة، ويعرف السب بأنه خدش شرف شخص عمدًا ولا يتضمن ذلك إسناد واقعة معينة إليه، أما القذف فهو إسناد واقعة محددة لشخص تستوجب عقابه أو احتقاره من دون وجه الحقيقة، ويعاقب القانون على تلك الجرائم فى أغلب الدول، أما التشهير فهو يشمل جميع أشكال التعبير التى تجرح كرامة الشخص أو المؤسسة، وتشكل تلك الجرائم مجموعة من العقوبات منها ما يخص السب ومنها ما يخص القذف أو التشهير، وجريمة تعمد الإساءة عن طريق النشر، وأخيرًا جريمة إساءة استخدام التكنولوجيا .

لذا يجب نشر الوعى بخطورة التعدى على الآخرين بالسب والقذف والتشهير لما تمثله هذه الممارسات من تدمير نفسى ومعنوى للضحية، وانهيار أخلاقى للمجتمع، وانتهاك لحقوق لإنسان، وأخيرًا تُعرِض فاعلها للمساءلة القانونية.

٢- التعدى على البيانات والمعلومات الشخصية:

تعتمد مواقع التواصل الاجتماعي على الحسابات الشخصية على الإنترنت ، وهى تتطلب لإنشائها إدخال بيانات شخصية للمتفاعلين والتعريف بأنفسهم، وتشمل الاسم والبريد الإلكتروني، وتاريخ الميلاد والوظيفة، ومحل الإقامة ورقم الهاتف، والصورة الشخصية، ومن خلال ما ينشره الفرد على حسابه، يمكن استنتاج قدرته المالية، وعاداته، وميوله، والبيانات التى تتعلق بصحته وأفراد أسرته وعلاقاته الاجتماعية، هذا مع عدم إدراك المتفاعلين أن هناك من يتابع ويرصد ويصنف تلك المعلومات الشخصية ويرسم ملامح كاملة عن صاحب الصفحة، بل يتتبع تحركاته عبر الأماكن، ويمكن استخدامها إما فى إطار شخصى مثل أعمال السرقة والنصب أو لغرض تسويقى عن طريق وسائل التسويق الإلكترونى، التى

ترسل مضموناً أو خدمات أو إعلانات غير مرغوب فيها، أو فى إطار تحليلات اتجاهات الرأى العام التى قد تستخدم لأغراض أمنية أو تجسسية أو مخابراتية لدول أخرى كما سنوضح فيما بعد .

وعلى جانب آخر فإن توافر المعلومات الكاملة عن الأشخاص على شبكة الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعى، قد يستخدمها بعضهم فى سرقة الحساب أو انتحال هوية أشخاص آخرين، وإنشاء صفحات وملفات بأسمائهم وصورهم، تحمل أفكارًا وسلوكيات مغايرة لصاحبها الحقيقى.

٣- تجارة المخدرات عبر الإنترنت:

وجدت تجارة المخدرات سوقًا جديدًا لها على مواقع التواصل الاجتماعى عالميًا ومحليًا، باستخدام صفحات مجهولة يصعب تتبعها أمنيًا ، والتواصل على البريد الخاص لهم، والمثير للقلق أن تجار المخدرات يُرَوِجُون لبضاعتهم ويجتذبون الأطفال والشباب لتعاطيها، بأشكال ومسميات جاذبة، وإيحاءات باللذة والطعم والإحساس الناتج عن تعاطيها، مثيرة بذلك الطبيعة الفضولية لدى هذه المراحل العمرية .

وكشفت صحيفة "ديلى ميل" البريطانية فى تحقيق لها عن تجار المخدرات فى بريطانيا، بأنهم يستغلون مواقع التواصل الاجتماعى ، وخاصه الفيسبوك وتويتر وانستجرام لبيع المخدرات للأطفال والمراهقين، وينشرون صور المخدرات على هذه المواقع، ويستطيع تجار المخدرات إخفاء هويتهم، ويطلبون من المشترى اتباع خطوات لاستخدام شبكات مشفرة للشراء مثل شبكة TER للتصفح بشكل خفى، وهى شبكة تم تطويرها من قبل البحرية الأمريكية لحماية الاستخبارات العسكرية على الإنترنت، وبعدها أصبحت سلاح العصابات فيما يطلق عليه الإنترنت المظلم The Dark WEB، الأمر الذى يصعب معه التتبع الأمنى لحماية المواطن .

٤- الإتجار بالبشر:

تعد من أخطر الجرائم الإلكترونية؛ نظرًا لأنها قد تنهى حياة بعض المستخدمين أو تغيرها للأسوأ، وتسلب الضحايا حقوقهم الإنسانية الأساسية، وتشير التقديرات إلى أن جريمة الإتجار بالبشر بصورها المختلفة تمثل ثالث أكبر نشاط إجرامى فى العالم يجنى أرباح بعد تجارة السلاح والمخدرات، وأصبحت ظاهرة الإتجار بالبشر ظاهرة عالمية تقوم بها عصابات دولية منظمة عبر شبكة الإنترنت، تستغل الظروف المعيشية المتدنية للبعض، أو ظروفهم السياسية غير المستقرة فى بلادهم، نتيجة للحروب والصراعات الداخلية فى تلك البلاد، وتنقل تلك العصابات ضحاياها من موطنهم الأصلى إلى دول أخرى تمهيدًا لاستخدامهم بصورة غير مشروعة.

كما أن هناك عصابات على المستوى المحلى تقوم – أيضًا- بتلك الجرائم داخل الدول نفسها. وقد عرفت منظمة العفو الدولية جريمة الاتجار فى البشر من منطلق الحقوق الإنسانية التى تنتهكها بأنها

"انتهاك حقوق الإنسان بما فيها الحق فى السلامة الجسدية والعقلية والحياة والحرية، وأمن الشخص وكرامته ، والتحرر من العبودية وحرية التنقل والصحة والخصوصية، والسكن والأمن". وتتعدد جرائم الاتجار بالبشر ويعد أكثرها انتشارًا:

❖ **الأعمال المنافية للآداب:**

والمقصود بها استخدام شخص أو تشغيله فى أغراض الفجور، ومن أبرز صورها المتاجرة بالنساء وإرغامهن على ممارسة البغاء عبر الإنترنت، أو تسفيرهم إلى بلدان أخرى بما يسمى سياحة الجنس، إذ يتم عبر شبكات التواصل الاجتماعى إيهام الفتيات بالحصول على فرص عمل بأجور مجزية فى أحد الدول، ويتم تسفيرهم إلى الدول التى سيتم استغلالهم فيها فى أغراض غير مشروعة، كما أنهم يدفعون أموالا لبعض الأهالى من الطبقة الفقيرة والجاهلة مقابل الموافقة على سفر بناتهم بحجة العمل أو الزواج .

وتوجد منظمات إرهابية مثل داعش وغيرها تعمل على بث رسائل إلى النساء المسلمات فى المجتمعات الأوربية، اللائي قد لا يلقين الاحترام والخصوصية الكافية فى تلك المجتمعات ، ويقدمون لهم الدعوة للذهاب إلى ما يرون أنها أرض العدالة المفترضة، أرض الخلافة ، فإذا بهن يجدن أنفسهن رقيقًا ورهن المقاتلين الذين يستخدموهن جسديًا .

❖ **إقحام الأطفال فى الصراعات المسلحة :**

يختطف بعض الأطفال للمشاركة فى صراعات مسلحة لا دخل لهم بها، ويتم استخدامهم من قبل جماعات إرهابية فى صرعات دامية، ويتواصل الجناة بحرية عبر مواقع التواصل الاجتماعى، "وتقدر منظمة اليونيسيف أن ما يقارب من٣٠٠ ألف طفل دون سن الثانية عشر يُستَغَلون فى الوقت الحاضر فى أكثر من منطقة نزاع مسلح فى العالم". بل يتقدم هؤلاء الأطفال الصفوف العسكرية لحماية الجيوش الحقيقية، بما يمثل جريمة إنسانية فى حق الأطفال .

❖ **الهجرة غير المشروعة:**

هى جريمة يتم فيها استغلال فقر بعض الشباب واحتياجهم للعمل، فى ظل انتشار ظاهرة البطالة عالميًا، وتقدم لهم عروض الهجرة عبر المواقع الإلكترونية، إلى بلدان أوربية مقابل مبالغ يدفعونها، ويتم تسفيرهم فى بداية الرحلة بقوارب بحرية صغيرة غير آمنة إلى سفن بحرية يتم تهريبهم عليها، وإيداعهم بمستودعات سرية فيها من دون علم المسؤولين عنها، ويُقصد بالهجرة غير المشروعة الدخول غير المشروع لشخص ما، إلى دولة ما ليست موطنًا له؛ من أجل الحصول على منفعة مالية، وغالبًا يتم استغلال تلك العمالة بعد تهريبها ، ولا تصرف لهم مستحقاتهم، ويتم تسكينهم فى مساكن مكدسة بالعمال، ويعيشون فى حالة أقرب من الاسترقاق.

❖ **تجارة الأعضاء :**

من أكثر جرائم الإتجار بالبشر انتشارًا وربحًا ، ويسرتْ شبكةُ الإنترنت التواصلَ بين أعضاء تلك العصابات، كما أتاحت لهم التواصل مع الضحايا، إذ تقوم العصابات إما باستغلال الطبقات الفقيرة فى المجتمعات ومساومتهم لبيع أعضاء من جسدهم، أو بخطف الأطفال والشباب لسرقة أجزاء من أجسادهم، ويتم نقلهم إلى أماكن بها معدات طبية يتم فيها عمليات جراحية قد تفضى إلى الموت، لتلبية احتياجات قوائم الانتظار العالمية لزراعة الأعضاء مقابل أموال باهظة. والفقراء فى الدول النامية هم الفئة المستهدفة من تجار الأعضاء وفقًا لبيانات منظمة الصحة العالمية، إذ تستغل هذه الجماعات الفقر والبطالة للإيقاع بالضحايا وتقديم العروض المجزية لشراء أعضاء جسدهم، وغالبًا ما يكون الضحايا من الأطفال والمراهقين لضمان سلامة أعضائهم وخلوها من الأمراض.

وترفض كل الأديان السماوية الإتجار بالبشر بمختلف أشكالها، وتم عقد العديد من المؤتمرات والاتفاقيات بين ممثلى الأديان بهذا الشأن، ولقد شارك الأزهر الشريف فى اجتماعات مع بابا الفاتيكان وممثلى الديانات الأخرى ، وتم التوقيع على اتفاقية دولية لمنع الإتجار بالبشر فى مارس ٢٠١٤، اقترحتها دولة الفاتيكان مع ممثلى الديانات الكبرى فى العالم، للقضاء على تلك الجرائم خاصة فى منطقة الشرق الأوسط .

لذا ينبغى على المؤسسات التعليمة والدينية والإعلامية الرسمية ومؤسسات المجتمع المدنى نشر الوعى بتلك المخاطر والجرائم وتعليم وتدريب الأطفال والشباب على كيفية التعامل الآمن مع وسائل الاتصال الحديثة.

تطبيقات:

- أكتب عن جريمة تعدى على البيانات والمعلومات الشخصية او العملية، قرأت عنها، وناقش سبل الحماية التى تتخذها حتى لا تقع ضحية لمثل هذه الجرائم.
- أكتب قصة حقيقية أو من وحى الخيال حول ضحية تعرفها أو تتخيلها تعرضتْ لإحدى جرائم الاتجار بالبشر.

ب. حروب الجيل الرابع:

إن حروب الجيل الرابع وسيلةٌ أمريكية طورها الجيش الأمريكى وأطلق عليها الحرب اللامتماثلة A symmatric Warfere وهى لا متماثلة لأنها لا تتم بين جيشين نظاميين على أرض المعركة، وإنما هى حرب مستحدثة يتم من خلالها استخدام الوسائل الاقتصادية والسياسية والإعلامية والثقافية كافة فى هدم العدو أو الأعداء المحتملين ، وإجبارهم على تنفيذ أمور محددة من دون الاشتباك فى معركة مسلحة، ويرى بعض المهتمين أن أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ كانت سببًا فى بدء استخدام تلك الحروب ، حيث وجد الجيش الأمريكى نفسه لايحارب دولة، وإنما تنظيمات إرهابية منتشرة حول العالم (تنظيم القاعدة

وغيرها)، تمتلك إمكانات ومعلومات تؤهلها لضرب مرافق حيوية داخل الدول، وإحداث الفوضى بها، وإضعاف حكوماتها أمام الرأى العام .

بينما يرى بعضهم الآخر أن مفهوم حروب الجيل الرابع ظهر فى أواخر الثمانينيات من القرن العشرين، ولكنه أصبح أكثر وضوحًا واستخدامًا بعد الحرب الأمريكية على العراق عام ٢٠٠٣، التى كبدت الولايات المتحدة الأمريكية خسائرًا مادية وبشرية فادحة، فأدركت أن المواجهات غير المباشرة أفضل من المواجهات العسكرية .

ويعرف أنطوليو إتشيفاريا Antulio J.Echevarria الأكاديمى العسكرى الأمريكى، حروب الجيل الرابع بأنها "تلك الحروب التى تعتمد على نوع من التمرد التى تستخدم فيه القوات غير النظامية كل الوسائل التكنولوجية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية بهدف إجبار العدو الذى يمثل قوة نظامية على التخلى عن سياسته وأهدافه الإستراتيجية".

وازدادت خطورة حروب الجيل الرابع مع إنتشار وسائل الإعلام الرقمي، حيث لم تصبح تلك الحروب حكراً على الدول بعضها البعض، وإنما أصبح بإمكان الجماعات المتطرفة والإرهابية إستخدام وسائل الإعلام الرقمى، وتحقيق نفس نتائج الهدم والتدمير النفسي والمعنوى، وأصبح المتلقى المتفاعل دون وعى أرضا خصبة لنشر الفتن والشائعات والأفكار الهدامة. وهو ما نتج عنه أحجام البعض عن المشاركة السياسية وعدم الإنتماء والتشكيك فى مؤسسات الدولة. كل ذلك يجعلنا أكثر احتياجاً لمعرفة كيف تدار حروب الجيل الرابع عبر وسائل الإعلام الرقمي.

وتتميز حروب الجيل الرابع عن حروب الأجيال الثلاث السابقة عليها، ولا يعنى تميزها انتهاء حدوث أشكال ومراحل الحروب السابقة، وإنما نشأ التميز من اختلاف الأطراف المتصارعة فى الحروب.

حروب الجيل الأول: هى حرب بين جيشين تقليديين للدول المتحاربة، فى مواجهة مباشرة على ساحة المعركة .

حروب الجيل الثانى: هى حرب بين دولة ولا دولة، أى حرب بين جيش دولة وجماعات إرهابية أو قوات غير نظامية، مثل حروب أمريكا اللاتينية ويطلق عليها حرب العصابات.

حروب الجيل الثالث: وهى الحرب الوقائية أو الاستباقية ، وفيها تستبق الدول هجوم دول أخرى عليها، وتبادر بمهاجمتها وتحطيم أسلحتها على أراضيها، مثل الحرب الأمريكية على العراق، حيث شنت الحرب لتوقع امتلاك العراق لأسلحة خطيرة تهدد أمن الولايات المتحدة الأمريكية.

حروب الجيل الرابع: هى حرب تستخدم آليات إدارة العقول وإثارة المشاعر، والدعاية المغرضة وتوجية الرأى العام، وترويج الشائعات والسخرية السياسية، وتفتيت الهوية الثقافية.

حروب الجيل الخامس: هناك من يرى أن العالم تخطى حدود الجيل الرابع إلى حروب الجيل الخامس، وهى وصف للحروب التى تعتمد على إحداث فجوة بين الدولة والمجتمع، وإحداث خلل فى علاقتها بإستخدام الوسائل المتاحة دون اللجوء إلى الأسلحة، ويمكن إعتبارها تطوير لآليات حروب الجيل الرابع، وإستخدام خطط جديدة بالوسائل نفسها، وهى لا تختلف كثيراً عن حروب الجيل الرابع.

وقد أشار الرئيس عبد الفتاح السيسي رئيس جمهورية مصر العربية فى كلمته فى الندوة التثقيفية الواحد والثلاثين للقوات المسلحة فى ١٣ أكتوبر عام ٢٠١٩، قائلاً أن:

هناك مصادر ترغب فى إشعال الموقف، وهو الجيل الرابع من الحروب، إن التليفون المحمول يعطى كل تفاصيل شخصية المستخدم، وتتحول التفاصيل إلى دراسات بحواسب عملاقة تحول المستخدمين إلى شرائح، وتحدد خصائص كل شريحة من حيث العمر والنوع وتحديد طرق التأثير في كل شريحة، وتقسم الشرائح إلى فئات ويمكن استخدام أى فئة فى إشعال الفتن داخلها، وتتناقل بين الأفراد وتجد من يسير خلفها مكونة كتلة ضخمة قد تهدم البلد، لذا ينبغى على المواطن المتلقى لتلك الرسائل عدم المساس بمؤسسات بلاده بدءًا من مؤسسة الرئاسة إلى أى مؤسسة أخرى، فهناك نظام ودستور وقانون نلجأ إليه.

ويحاول الرئيس من خلال كلمته توعية المواطنين بالعمليات المنظمة التى تستهدف ضرب أمن البلاد واستقرارها عبر وسائل الإعلام الرقمي، وأن المعلومات الشخصية للأفراد يمكن أن تُيسر استهداف بعض الفئات فى المجتمع، ويشير إلى أن الدولة لها قنواتها المشروعة للتعبير عن الرأى والحصول على الحقوق التى يكفلها القانون والدستور، كما يشير إلى مسؤولية الشعوب فى حفظ أمن بلادها بقوله:

"إن ما حدث فى الدول المجاورة من تدخل فى شؤونها جاء بسبب الشعوب نفسها من دون أن تدرى، بسبب الاستسلام لحروب الجيل الرابع من شائعات تشعل الموقف وتزعزع الأمن والإستقرار".

لذا ينبغى على المواطن الوعى بأنه أصبح عليه دور بالغ الأهمية فى الحفاظ على أمن واستقرار البلاد بتحرى الدقة فيما يتعرض له من فتن وشائعات، وعدم الانسياق وراء الحملات الهدامة، وتمسكه بثوابته الدينية والوطنية وانتمائه وثقته فى الوطن، وأجهزته الأمنية ومؤسساته السياسية، والحفاظ على التماسك الاجتماعى والتوافق السياسى، ليكون الشعب هو درع الحماية الأول من الفتن ومواجهة تلك الحروب.

- **الحروب النفسية:**

الحرب النفسية هى استخدام عوامل نفسية ومعنوية فى خلق تصورات وأحكام وأفكار ومشاعر محددة سلفًا لدى الغير، واستخدمت فى السلم والحرب منذ أقدم العصور، استخدمت فى السلم بشكل إيجابى أحيانًا لرفع الروح المعنوية لأفراد جماعة أو مجتمع، واستثارة القوة والترابط الاجتماعى والإنتماء، كما استخدمت بشكل سلبى فى زمن اللاحرب أثناء الصراع البارد بين الدول من دون الحاجة لاستخدام السلاح؛ لتحطيم معنويات شعوب الدول المعادية، وإيهامهم بقوة العدو الخارقة، وإحداث الشقاق فيما بين

أفراد الشعب الواحد، والتشكيك فى عدالة قضاياهم، وفى سلطاتهم وإنجازاتهم السياسية والاقتصادية والعسكرية، وتفتيت هويتهم الثقافية، وغيرها من الأهداف التى تصب فى مصلحة القائم بالحرب النفسية، لتحقيق النصر المعنوى على الأعداء.

كما استخدمت فى أثناء الحروب لتثبيط عزيمة الجيوش المعادية، وإشعارهم بقوة العدو المبالغ فيها، وأن الحرب محسومة لصالحه، وذلك بالدعاية والشائعات والأخبار غير الحقيقية والمراوغة الاستراتيجية، وكثيراً ما حققت تلك الحروب أثارًا خطيرة تفوق الوسائل العسكرية. ويعرفها "جوزيف ناى Joseph Nye "بأنها القدرة على تشكيل تصورات الآخرين، وهى الحصول على ما نريد عن طريق الجاذبية بدلا من الإرغام أو إنفاق الأموال"

وأنشأت الولايات المتحدة الأمريكية مدرسة لتدريب العسكريين على فنونها ومناهجها دفاعًا وهجومًا، وتتسم الحرب النفسية بالمرونه حسب الزمان والمكان، وطبيعة الجمهور المستهدف وثقافته ومعتقداته ، ومعاناته واحتياجاته وطموحاته، حيث تندمج الحقيقة بالزيف وتستخدم المثيرات النفسية المحفزة لذلك الجمهور، وأساليب الدعاية والإشاعة والسخرية وغيرها، فى إثارة مشاعر ومواقف لدى الجمهور المستهدف مخطط لها سلفًا، مثل مشاعر الكراهية والسخط، والرفض، والخوف، وفقدان الثقة... أو العكس وفقًا لطبيعة الهدف منها.

ويسرت وسائل الإعلام الجديد انتشار آليات الحروب النفسية بشكل متسارع وخطير، حيث تنطلق الدعاية والشائعة والنكتة بسرعة البث، ويتولى المتفاعلون من مستخدمى شبكات التواصل الاجتماعى إعادة نشرها وتكرارها من دون تحرى الدقة، بما يهدد أمن المجتمع واستقراره وانتشار العنف ، وفقدان الثقة والوطنية والانتماء، والأحجام عن المشاركة السياسية، وإهدار جهود الإصلاح والتطوير، وتضخم الشعور بالفقر والحرمان والعوز، وتركز الحروب النفسية على معاناة الشعوب من مشكلات محلية تعانى منها كثير من دول العالم كالبطالة، وتدنى مستوى المعيشة، وتأخر التعليم.

وفيما يلى نعرض لبعض آليات الحرب النفسية ممثلة فى الدعاية السياسية، والشائعات، والنكات والسخرية، وغزو الهوية الثقافية.

❖ **الدعاية السياسة المغرضة:**

إن الدعاية هى فن الإقناع، وهى وسيلة مهمة للتأثير فى نفوس الأفراد وعقولهم وسلوكهم، وتوجهاتهم وإدراكهم ويقول "ليونارد دوب Leonard Dob "عنها "محاولة منظمة من جانب شخص أو أشخاص للهيمنة على اتجاهات الأفراد والجماعات عن طريق الإيحاء، بقصد التحكم فى سلوكهم".

وتستخدم الدعاية السياسية مثيرات سمعية وبصرية متعددة الأثر لجذب إنتباه الجمهور نحو الموضوع المقصود، من عرض الصور والفيديوهات وإقترانها بالموسيقى والأناشيد والتعليقات عبر وسائل الإعلام الرقمي التى تيسر تكرار المحتوى الدعائى وتحفظه وتذكر به، ويمكن استرجاعه فى أى

زمان ومكان. وتدعم الدعاية السياسية موضوعها بفيض من التحليلات والقرائن التى قد تكون فى معظمها باطلة وغير حقيقية لتحقيق أهداف محددة ومغرضة. وإذا كانت الدعاية التقليدية تستخدم الشعارات الموجزة والمؤثرة والتى يسهل حفظها وتكرارها، فإن الدعاية المغرضة على وسائل الإعلام الرقمى تستخدم الهاشتجات كنمط متطور من الشعارات ولكنه أكثر خطورة نتيجة لسرعة إنتشاره وتفاعل العديد معه. وقد تسعى الدعاية لإخفاء مصادرها والجهات الكامنة خلفها، وتلجأ إلى المبالغة أو التهوين وفقًا لما يحقق أهدافها، كما تلجأ فى كثير من الأحيان إلى التضليل والخداع والكذب وتشويه الحقائق، وتحريف المنطق وإخفاء المعلومات.

ولا يعنى هذا أن كل أنواع الدعاية سلبية ومغرضة وإنما هناك دعاية إيجابية وهى الدعاية الواضحة المكشوفة والمعلومة المصدر، وتهدف إلى إحداث تأثيرات إيجابية فى الجمهور، وتثير سلوكيات مفيدة للمجتمع، لكن المقصود – هنا – الدعاية المغرضة التى أتاحتها مواقع التواصل الاجتماعى وعبر القنوات الفضائية التى تؤثر فى الرأى العام، وتحدث انشقاق فى المجتمع وفتن وأعمال عنف، يلجأ إليها أعداء الوطن وأصحاب الأيديولوجيات المغايرة لما هو سائد فى دولة ما، مستهدفة من جماعات سياسية أو دينية منشقة، يدعمها ويرعاها أصحاب المصالح من الدول والحكومات، بل أصبحت وسائل التواصل الاجتماعى أداة لظهور قادة إعلاميين يتم استخدامهم عبر منابر إعلامية وبرامج تليفزيونية على تلك الوسائل، لعرض حملات من التشكيك فى الأشخاص والمؤسسات السياسية داخل الدول المستهدفة، وإثارة الفتن وتوجيه الأفراد نحو سياسات العنف لإسقاط الدول.

ولعل المتابع لمواقع التواصل الاجتماعى والمواقع الإلكترونية، يلاحظ ممارسات بعض الجماعات المتطرفة، لإفساد الحياة السياسية فى بلادنا العربية، وإستخدامها لبعض الإعلاميين المأجورين لبث القلاقل داخل هذه الدول، ومن أبرز هذه الممارسات التى يلاحظها جميع المتابعين :

- إدعاء فساد الحكومات، وإبراز إحدى السلبيات والمبالغة فى عرضها وتكرارها عبر عدة مواقع، وحجب ممارسات وإجراءات أخرى تثبت نزاهة الحكومة.
- حث الأفراد على التظاهر والإحتجاج على السلطة القائمة لأسباب ملفقة.
- استخدام شعارات وهاشتاجات تمس مشاعر الجماهير وإحتياجاتهم ومعاناتهم، للتحريض على أعمال العنف، والحث على الثورات ضد حكومات البلدان المستهدفة.
- مس المشكلات التى تعانى منها فئة من فئات المجتمع وتضخيمها، وإدارة نقاشات وحوارات حولها، مما يزيد من احتقان تلك الفئة ورفضها الواقع والتمرد عليه.

- التوجه لأصحاب مهن معينة، وإقناع أصحابها بإهدار الدولة لحقوقهم، وعدم حصولهم على أجور ملائمة لوظائفهم، فتتعالى صيحات أصحاب المهنة على وسائل التواصل الاجتماعى من دون النظر إلى ميزانية الدولة ووضعها الاقتصادى.
- الإيحاء بأن هناك أخطار قادمة ستلحق بالمواطنين مثل غلاء أسعار بعض السلع الحيوية، أو انتشار الأوبئة نتيجة لإهمال الوزارات المعنية، وغيرها من الشائعات المغرضة مما يثير فزع الأفراد وفقدان ثقتهم فى الحكومة.
- تشويه سمعة المسؤولين، والمبالغة فى إظهار أخطائهم مهما كانت صغيرة.
- إثارة الشكوك فى الإجراءات والقررات السياسية للحكومة، وإدعاء أن نتائجها ستكون فاشلة.
- الإعلاء من شأن القيادات والرموز المناهضة للدولة، والتقليل من شأن الرموز والقيادات المؤازرة للدولة.
- التشكيك فى العملية الانتخابية وسياسات الأحزاب.
- إدعاء سطوة رأس المال السياسي على العملية السياسية، وحجب الدور الاجتماعي والمدني لأصحاب رؤوس الأموال ومؤسساتهم.
- التشكيك فى الثوابت الدستورية والإجراءات القانونية والسلطات التشريعية والنيابية والمؤسسات الأمنية كالشرطة والجيش للدول المستهدفة.
- وغيرها كثير من ممارسات دول وجماعات إرهابية تمارس الدعاية السياسية الهادمة؛ لنشر العنف والاضطرابات فى المجتمع وإحداث الفتن لتحقيق أغراضها فى إسقاط النظم السياسية الحالية.

تطبيقات:

- استعرض تغطية إعلامية لكل من قناتى الجزيرة والسى إن إن، أو غيرها من القنوات الفضائية الإخبارية، فى موضوع معين وفى يوم محدد، وقارن بين أوجه الشبة والتمايز فى طريقة عرض الموضوع، ووجهة النظر التى يتم الترويج لها، ونوع المعالجة (أى المعلومات المقدمة – المصادر المذكورة – المقابلات التى يتم عرضها– الدعم المرئى للخبر) فى كل من التغطيتين.

❖ **الشائعات:**

تعد الشائعات أسرع وأخطر وسائل للحرب النفسية، فهى لا تحتاج لإنتشارها إلى إقناع أو توضيح أو برهنه على حقيقتها، ولكنها تطلق وكأنها رصاصات فى الهواء تصيب من تصيب، وعليك أن تصدقها وترددها وتعيد بثها، أو لا تصدقها وتهملها، فإذا توافقت مع الرغبات والشكوك الكامنه فى نفوس الجمهور المستهدف، تم تصديقها وسرعة إنتشارها، بل إضافة المزيد من الأكاذيب إليها، وتكمن خطورتها فى آثارها التى قد تقع على قطاعات اقتصادية وسياسية وأمنية لفترة من الوقت، فإشاعة عن انهيار البورصة أو هروب مسؤول سياسي، أو وقوع انفلات أمنى فى مكان ما داخل الدولة، تؤدى إلى اتخاذ الأفراد مواقف وسلوكيات قد تضر فى مجموعها مؤسسات الدولة، وقد تؤدى إلى إضرار بالعلاقات الدولية.

ويعرف الشائعة كل من "البورت Allport" و"بوستمانPostman "بأنها "كل قضية أو عبارة نوعية قابلة للتصديق وتتناقل من شخص إلى آخر، بالكلمة المنطوقة وذلك من دون أن تكون هناك معايير للصدق".

كما يعرفها قاموس علم النفس بأنها: "تقرير غامض أو غير دقيق أو قصة، أو وصفًا يتم تناقله بين أفراد المجتمع عن طريق الكلمة المنطوقة غالبًا، وتميل إلى الانتشار فى أوقات الأزمات، وتدور حول أشخاص أو أحداث يمثلون أهمية لأفراد المجتمع، فى ظل معلومات غامضة عن هؤلاء الأشخاص أو الأحداث"

ويلاحظ هنا تأكيد التعريفات السابقة للشائعة التى تستخدم الكلمة المنطوقة، على إعتبار أن الشائعة لم يكن مصرح بها فى وسائل الإعلام التقليدى، وكانت تعتمد على الاتصال الشخصي بين شخص وآخر ثم إلى آخرين، ولكن بعد تطور وسائل الإعلام والاتصال، وإنتشار مواقع التواصل الاجتماعي، أصبح إطلاق الشائعات لا يخضع لأية محاذير، ولا يعرف مصدرها، ولم تعد الشائعة تنتشر عن طريق الكلمة المنطوقة فقط، وإنما باستخدام كل الوسائل الحديثة والتقنيات المتطورة على وسائل التواصل الاجتماعي. فأصبحت أكثر انتشارًا وفتكًا.

وقد تحدث الشائعات آثارًا إيجابية أو سلبية وفقًا لطبيعة الشائعة وموضوعها، وتكون إيجابية حينما تستهدف نشر روح تعاضدية بين الأفراد، تحث على تماسك المجتمع وتعمل على إرضائه، مثل الشائعات التى تبالغ فى البطولات العسكرية فى الحروب، وحنكة الرموز السياسية والدبلوماسية فى المباحثات الدولية، أو السبق العلمى فى مجال ما، وتكون سلبية مثل الشائعات التى تؤدى إلى حدوث فتن وأعمال عنف واحتجاج لأسباب مضللة.

خصائص الشائعات:

- تلجأ إلى المبالغة والتهويل والتشوية.
- قد تضيف معلومة كاذبة لخبر معظمه صحيح، أو تتضمن جانبًا من الحقيقة.
- التعليق والتحليل الخاطئ المصاحب لخبر صحيح.
- يسهل إطلاقها، ويصعب تكذيبها فى وقت قليل.
- لا يمكن تحديد مصدرها.
- تأتى الشائعة متوافقة مع النسيج الثقافى والعقائدى للفئة المستهدفة بناء على دراسة طبيعة الجمهور الموجه له الشائعة لسهولة تصديقها.
- الغموض حيث يصعب التأكد من المعلومات الواردة فى الشائعة وعدم إتاحتها.

- تتناول موضوعات يهتم بها الجماهير وتمس مخاوفهم أو رغباتهم الدفينة.
- قد تكون الشائعة صناعة مخابراتية لضرب مؤسسات سياسية واقتصادية لدول أخرى، وقد تكون صادرة عن جماعات مناهضة للدولة، كما يمكن أن تطلقها جماعات المصالح لتحقيق مكاسب اقتصادية، لاسيما فى ظل العولمة الاقتصادية، والشركات متعددة الجنسيات، وغيرها من المصادر المغرضة التى تطلق الشائعات من أجل الهدم والتدمير.

سبل مواجهة الشائعات:

هناك وسائل للتأكد من صحة الخبر أو إعتباره شائعة مغرضة، منها وسائل يتبعها الفرد ووسائل أخرى تتبعها الدول.

وسائل الفرد فى التأكد من حقيقة الشائعة:

أ) الرجوع إلى مصادر موثوق فيها على شبكة الإنترنت بإدخال كلمات مفتاحية للخبر والحصول على المعلومة من جهات مختلفة.

ب) قراءة التعليقات التى يكتبها المتفاعلون على مواقع التواصل الاجتماعي؛ لأن بعضهم قد يأتى بالبرهان على كذبها، مثل نشر فيديو ينفى الواقعة أو صور، أو يروى وجوده فى موقع الحدث فى الوقت الذى يدعى حدوثه فيه.

ج) التأكد من مصداقية المصدر وأهدافه إذا كان معلناً.

د) عدم إعادة نشر الشائعة المشكوك فى صحتها.

وسائل الدولة فى مواجهة الشائعات:

أ) اتباع الشفافية والصراحة فى تناول المعلومات المهمة.

ب) وجود جهاز إعلامي فى كل المؤسسات السياسية المهمة، يتابع ما ينشر من شائعات ويرد عليها.

ج) تناول الإعلام الرسمي للشائعة وتفنيدها.

د) وجود جهاز أمنى لرصد الشائعات والرد عليها.

ه) إدخال مقرر التربية الإعلامية فى جميع المؤسسات التعليمية، وعمل دورات تدريبية للعاملين بالدولة عن كيفية التعامل مع وسائل التواصل الاجتماعي.

ومن أمثلة الشائعات الموجهة إلى المجتمع المحلى، الشائعات التى تدعى وجود حالة من الانفلات الأمنى، وتثير حالة من الفوضى والارتباك، وتفقد المواطن ثقته فى الأجهزة الأمنية، مثل تلفيق قصص حوادث اختطاف الفتيات والأطفال لإستخدامهم فى جرائم الإتجار بالبشر وسرقة الأعضاء. أو شائعات

تدعى هدم الدولة لدور العبادة من مساجد وكنائس لإثارة الفتنة الطائفية، لادعاء أن مؤسسات الدولة لا تقدس دور العبادة.

وكذلك من أمثلة الشائعات الموجهة للمجتمع الدولى ولاستثارته ضد الدولة المستهدفة، شائعات انتهاك حقوق الإنسان، والتعدي القصرى للأجهزة الأمنية على المواطنين، وكذلك الشائعات التى تدعى حدوث أعمال عنف أو مظاهرات وإحتجاجات فى مناطق معينة داخل الدولة، على غير الحقيقة أو من منطلق المبالغة، لاستثارة الرأي العام المحلى والعالمي والمنظمات الدولية، وحث المواطنين على القيام بمظاهرات مشابهة فى أماكن أخرى.

تطبيقات:

- حدد شائعة صدقتها ونشرتها على وسائل التواصل الاجتماعى، ثم اكتشفت عدم صحتها، ثم حلل من وجهة نظرك طبيعة مصدرها والهدف منها، والأثر الذى أحدثته لدى أفراد آخرين، ووضح الخبرة التى اكتسبتها .
- اذكر شائعة تعرضت لها شخصيًا وسببت لك ضررًا؟

❖ **النكتة والسخرية:**

النكتة هى وسيلة الشعوب لنقد الذات والآخرين، والفكاهة والتنفيس عن الهموم والطاقات السلبية التى تخلفها الحياة اليومية، كما أنها قد تأتى لنقد سلبيات المجتمع، والسخرية من صور الفساد، ونقد الحكام وحكوماتهم وسياساتهم، والأخطر من ذلك أن تكون صناعة مخابراتية، تصنعها أجهزة المخابرات فى دول معادية، لخلق رأى عام مضاد للدولة وساخط عليها، أو لإسقاط حكام، كما هناك كثير من النكات التى تروج لها جماعات متطرفه ومعادية للدولة من أجل تحقيق أهداف سياسية محددة.

وقد تشتمل النكتة على السخرية من الأشخاص والمواقف، بما يلحق الضرر بالأشخاص والمؤسسات، نتيجة فقدان ثقة الجماهير فيها، وإهدار جهودهم الجادة، نتيجة الإستهانة التى تحققها النكتة السياسية الساخرة فى المجتمع تجاه هؤلاء الأفراد.

ويعرف قاموس إكسفورد السخرية بأنها "استخدام الفكاهة أو التهكم أو المبالغة أو الهجاء لفضح ونقد هفوات الناس وأخطائهم، خاصة فى المجال السياسي والمجالات الموضوعية الأخرى، وقد تأتى فى شكل مسرحية أو رواية أو فيلم أو أى عمل آخر يستخدم السخرية".

كما تعرفها الكاتبة الأمريكية "باتريكيا جرين Patricia Green" بأنها "فن ينتقد السلوكيات والعادات بهدف إصلاح المجتمع، عن طريق استخدام التهكم والمبالغة فى نقد الأخطاء والحماقات الإنسانية، من أجل تقويم السلوك البشرى، وتتميز بالفكاهة سواء كانت السخرية اجتماعية أو سياسة.

وتشير "باتريكيا" إلى النكتة الفطرية المتولدة من المواقف الحياتية والتى قد تكون لها آثار إيجابية. وعرف عن الشعب المصري أنه "ابن نكته"، ينتج النكته وينقلها فى أغلب مواقفه الحياتيه، حتى فى أشد

أوقات الأزمات والمحن، فهو يسخر ويطلق النكات على مالا يستطيع تغييره. إلا أن الخطورة الفعلية مكمن فى النكات والسخرية الهادفه للهدم وزحزحة الثقة والاستقرار.

والنكتة والسخرية فى عصر وسائل التواصل الاجتماعى أصبحتا أكثر انتشارًا وخطورة، إذا ما استخدمتا بوصفهما إحدى أسلحة الحرب النفسية وحروب الجيل الرابع، حيث تتنوع موضوعاتها لتشمل كل مناحى الحياة المحلية والدولية، وتستخدم فيها التقنيات الفنية كافة لإخراجها، من رسوم كاريكاتورية وصور وفيديوهات وتركيب أصوات على مسرحيات وأفلام مشهورة، وإطلاق مسميات ساخرة على شخصيات سياسية ترتبط بهم فى كل النكات، وغيرها كثير، وإذا كان الأمر نابع من أبناء الوطن والمنتمين له، يمكن اعتبارها صورًا نقدية لسلبيات المجتمع، وأسلوب فكاهى لتحليل الواقع، وتنفيس عن الضغوط اليومية، ويمكن قياس اتجاهات الرأى العام من خلالها، وتعديل الحكومة لسياستها تلبية لاحتياجات المواطنين، لكن إذا كانت أداة للحرب النفسية الموجهة من دول وجماعات معادية، للسخرية من الرموز السياسية ومؤسسات الدولة، ونشر حالة من السلبية واللامبالاة واللاإنتماء لدى أفراد المجتمع، هنا ينبغى أن ننتبه إلى النكتة والسخرية بوصفهما أداة للهدم والتشويه والازدراء والتهويل والمبالغة عبر وسائل التواصل الاجتماعى، فالنكته كما قال عنها الروائى الإنجليزى جورج أورويل George Orwell "ثورة صغيرة". وذلك يبدو واضحًا فى الآثار التى يمكن أن تحققها فى المجتمع.

١- أثر النكتة والسخرية فى الفرد والمجتمع:

- **فقدان الثقة:**

يفقد الشخص أو المؤسسة التى تحاك عنها النكات ثقة الجمهور وإحترامهم، فيفقد الشخص هالته الكاريزمية عند الجمهور، حيث يتم التركيز على إيماءاته ولغة جسده وكلماته بشىء من السخرية، مما يجعل تصريحاته مصدر شك، ويحدث إرتباط شرطى ما بين الشخص والصورة الساخرة التى رسمت فى أذهان الناس عنه، ويترتب على ذلك فى النهاية أن تفقد الدولة رموزها المؤثرة فى الجماهير، والقدوة التى تقتدى بها الشعوب، والأمر نفسه يتعلق بالمؤسسات والمشروعات المهمة فى كل المجالات، التى يتم إطلاق النكات الساخرة عليها وعلى مصداقيتها، فتفقد ثقة المجتمع المحلى والأقليمى والعالمى، وتضر بالاقتصاد القومى من دون مبررات واضحة ومن دون التأكد من جديتها، ومجمل تاريخ الشخص أو المؤسسة.

- **اللاانتماء:**

حينما تزاد الشكوك فى أغلب الثوابت والرموز والأحداث، نتيجة السخرية المبالغ فيها، يفقد المتلقى الثقة فى كل المجالات سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية، ومن هنا يحجم المتلقى عن التفاعل والمشاركة السياسية فى أحداث مهمة، ويتخلى عن استحقاقته بوصفه مواطنًا

فاعلا فى العملية السياسية، وهو مايخلق روح عدم الانتماء للوطن ومؤسساته، ويبدو ذلك واضحًا فى إحجام بعض الشباب عن المشاركة السياسية فى الانتخابات البرلمانية والرئاسية.

- **التمييز:**

تدعو السخرية إلى تمييز فئة أو طائفة أو جماعة عن غيرها، فتسخر من واحدة لحساب الأخرى، مما قد يؤدى إلى إثارة مشاعر التعاطف مع أحد الفئات من دون غيرها، ويحط من قدر فئات أخرى، ويأتى التمييز من حيث الدين أوالجنس أواللون أو النوع أوالعرق بما يخالف قيم المواطنة المتعارف عليها عالميًا ومحليًا، ويرسخ عند المتلقين مبدأ التمييز، مثل النكات التى يطلقها المسلمون على الأقباط أو الأقباط على المسلمين، والنكات على الصعايدة والفلاحين وأبناء المدن الساحلية.

- **الهزلية:**

تتمثل فى عدم الجدية فى التعامل مع المواقف والأحداث فيعتاد الأفراد على صنع السخرية فى كل المواقف، وعلى كل حدث ونشرها وتداولها، وعدم احترام الحرمات والخصوصيات، وتقدير الأزمات وأهمية الأحداث، واعتبار كل الموضوعات قابلة للسخرية، ولا تتسم بالجدية فى التلقى أو التفاعل.

- **المبالغة والتضخيم:**

إن ما يضحك دائمًا يعتمد على المبالغة والتضخيم، وهو ما يفقد الأشياء والأشخاص تقديرها الحقيقى، وهو ما يؤدى إلى الإعتياد فى أسلوب اللغة والحوار اليومى على التضخيم والمبالغة، لإثارة المرح والفكاهة، مما يفقد المتحدث المصداقية، ويثير النقد والرفض تجاة أى حدث حتى لو كان إيجابى، كالمبالغة فى العداء، ووصف الأحداث وإضافة الإيحاءات والإيماءات التى تغير مجرى الحوار .

١- سبل التعامل مع النكات الساخرة:

- احترام الرموز والشخصيات البارزة والمؤسسات وعدم قبول السخرية منها.
- الوعى بأن هذه النكات يعمل على ترويجها فى أكثر الحالات مصادر مغرضة تهدف إلى التشكيك فى مؤسسات الدولة.
- الإحجام عن إعادة نشر النكات المسيئة عبر شبكات التواصل الاجتماعى، بإعتبارها إستهزاء بالأشخاص والمؤسسات بل بالمجتمع كله، وتمسك أفراد المجتمع برموزه ومؤسساته.
- رفض التعامل الهزلى مع الأزمات، والإلتزام الأخلاقى فى عرض النكات.
- إعتياد الجد لا الهزل فى لغة الحوار اليومى.
- أن ندرك أن النكتة لابد أن تظل فى حدود الترفيه والتنفيس عن الهموم والضحك، ورفض النكات التى تحمل معانى تثير البلبلة أو الإحباط ، والتميز بين التنفيس عن الهموم والتوظيف، إذ إن

النكته من حيث التنفيس عن الهموم غاية فى حد ذاتها من أجل التسلية والفكاهة، والتخلص من الطاقات السلبية، بينما التوظيف للنكتة يعد وسيلة للهدم وإسقاط الدول.

تطبيقات:

- اروِ نكتة أفقدتك الثقة فى شخص أو مؤسسة تتعامل معها.
- اذكر وصف ساخر لإحدى الشخصيات العامة تسببت فى تكوين صورة سلبية عنه على غير الحقيقة.
- تناول قضية أو مشكلة اجتماعية جادة تم إطلاق حملة نكات عليها أعاقت الحلول الجادة لها.

- **الإرهاب:**

تخطى الإرهاب حدود الدول، وأصبحت تنظيمات الإرهاب دولية، ساعد فى ذلك انتشار وسائل الاتصال والإعلام الرقمي، التى وفرت أدوات للإرهابين لتطوير أهدافهم والتوسع فيها، فلقد كان الإرهاب فى عصر الإعلام التقليدى يتكون من تنظيم وهيكل فى مكان محدد، يمكن متابعته والكشف عنه أمنيًا، وكان لا يجد إلا وسائل محدودة للدعاية ونشر الفكر وإيجاد المؤيدين، من اتصال مباشر ومنشورات مطبوعة يتم توزيعها سرًا، أو أشرطة كاسيت أو فيديو، يتم تداولها خلسة وخشية الملاحقة الأمنية، وكانت الحكومات المختلفة تسيطر على وسائل الإعلام التقليدى وتمنع الجماعات الإرهابية من الوصول إليها أو استخدامها، بوصفها وسيلة للدعاية أو التحريض، كما كانت وسائل الإعلام التقليدى تعرض العمليات الإرهابية بشكل محدود لا يثير ذعر المواطنين أو تعاطفهم مع الجناة، والحرص فى عرض صور الأحداث الإرهابية والضحايا وصور القتل والدم، مراعاة لشعور الجماهير، وكان الرأى العام السائد يرفض تلك الممارسات الإرهابية وأفكارها. ولديه قناعة كبيرة برفض الإنسياق وراء الأفكار الهدامة.

بينما أتاحت الثورة التكنولوجية فى وسائل الاتصال والإعلام، ووسائل التواصل الاجتماعي، مجالات فضائية ورقمية واسعة، غيرت من إستراتيجيات الجماعات الإرهابية، وجعلتها عابرة للحدود فى علاقة أممية تربط أصحاب الأفكار الواحدة عبر المواقع الإلكترونية والقنوات الفضائية من دون اعتبار لجنسيتهم أو أوطانهم، فأصبح أصحاب الفكر الواحد وإن إختلفت الأوطان أفضل وأهم من مواطنى الدولة الواحدة، ومصالح المتطرف فى بلد آخر، لها الأولوية على مصالح المسلم الوسطى فى دولته، بما يخل بقيم المواطنة وسيادة الدول، وفى محاولة لتطبيق ممارسات دينية متطرفة، تكمن أيديولوجية سياسية تستهدف الوصول إلى السلطة وهدم الدول وإقامة دولة إسلامية تتسع فوق الدول الحالية.

وتستخدم الجماعات المتطرفة الممارسات الإرهابية لاستعراض القوى، وإثارة الفزع والرعب بين المواطنين للاستسلام لأفكارهم المتطرفة، وبث الفرقة والفتنه والطائفية وإهدار جهود الدولة، وإجهادها بمتابعتهم، وإظهار السلطات الأمنية وكأنها عاجزة عن تحقيق الأمن وحماية المواطنين وتأمين المنشأت،

مستخدمين المفاجأة والخسة والمراوغة فى أعمالهم الإرهابية، وأيضا إلحاق الأضرار بالاقتصاد الوطنى، وضرب المؤسسات الاقتصادية والسياسية وقتل السائحين الأبرياء، وإظهار الدولة أمام العالم بأنها دولة غير آمنة للسياحة والاستثمار. وهناك حوادث إرهابية تتم فى أغلب دول العالم إستهدافاً من الإرهابيين لتحقيق مطالب أو إستعراض القوة والقدرة.

والإرهاب كما عرفته الإتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب التى تم توقيعها فى القاهرة عام ١٩٩٨ أنه "كل فعل من أعمال العنف أو التهديد به أيا كانت بواعثه أو أغراضه، يقع لتنفيذ مشروع إجرامى فردى أو جماعى ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم أو تعريض حياتهم أو حرياتهم أو أمنهم للخطر أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة، أو احتلالها أو الاستيلاء عليها، وتعريض أحد الموارد الوطنية للخطر".

واتسعت دائرة الإرهاب والتفكير المتطرف، فلم يعد هدف الإرهابين إحداث تفجيرات هنا أو هناك أو عمليات إنتحارية فقط، وإنما أصبحت لهم جيوش فى الدول العربية التى تعج بالصراعات مثل سوريا والعراق وليبيا، وأصبح تجنيد الشباب يتم من أجل الانضمام فى صفوف تلك الجيوش فى معارك دامية بين أطراف الوطن الواحد.

يعد تنظيم القاعدة أول التنظيمات الإرهابية التى استخدمت شبكات الإنترنت فى الدعاية والتجنيد، حيث بدأت فى إستخدامه من منتصف التسعينيات من القرن العشرين، كما استخدمته عام ٢٠٠٥ فى الترويج لاستمارات البيعة والتعهد بالولاء لأسامة بن لادن.

وكانت داعش أكثر تطورًا وإنتشارًا فى إستخدام شبكات الإنترنت عن تنظيم القاعدة، الذى كان يفتقر للكوادر المؤهلة لإستخدام وسائل التواصل الاجتماعي لأغراض التنظيم، وقد رأى البعض أن الإنترنت قد أفاد داعش بشكل كبير، لحد القول بأنه لو لم يكن الإنترنت موجودًا ما كانت داعش تمكنت من الاستمرار والانتشار، وأطلق على داعش "الخلافة الرقمية"، وعلى الفرع المسؤول بها عن الإشراف على التواصل الرقمى جيش داعش الإلكترونى.

ونشطت داعش الإرهابية على موقعى فيسبوك وتويتر، وكان لها أثر بالغ الخطورة فى البلدان المحتقنة بالصراعات، وأحدثت كثيرًا من الفتن بين الطوائف المتصارعة، ففى العراق كانت داعش تنسب الأحداث الإرهابية فى المناطق التى يسكنها السنيون إلى أشخاص من الشيعة والعكس، لإشعال الموقف، وقامت بتجنيد أعداد كبيرة من الشباب العربى، وكانت تدعو النساء المسلمات فى البلدان الأوروبية إلى الانضمام لهم والهروب من أحوالهم المعيشية فى بلاد غير إسلامية، فيجدون أنفسهن كالسبايا فى الحروب، ويتم إستغلالهن جسديًا ومعنويًا بشكل وحشى، وكانت جماعة داعش تفضل استخدام موقع

تليجرام Telegram فى الرسائل المتبادلة بين أعضائها، فحسب موقع Daily beast الأخبارى الأمريكى، أن جماعة داعش وضعت فى أواخر عام ٢٠١٥ رسالة على أحد مواقع شبكة الإنترنت العميقة Deep Web تشجع فيها أعضاءها على تحميل واستخدام تطبيق Telegram الذى يتيح لهم ضبط الرسائل على الحذف التلقائى بعد مرور وقت معين، فضلا عن الابتعاد عن الوسائل المراقبة إلكترونيا".

وحرصت الجماعات المتطرفة على نشر مقاطع فيديو للقتل والذبح والحرق للمواطنين الأبرياء مما أثار الذعر ونشر الإرهاب عبر الحدود، ووفرت شبكات التواصل الاجتماعى للجماعات الإرهابية عدة أمور، أهمها :

- يسرت لهم التواصل الفوري والآمن بين أعضاء الجماعات وبين من يستهدف تجنيدهم وأتاحت فرص التعاون بين تنظيمات إرهابية مختلفة، كما سمحت لهم بعض التطبيقات الفرار من تحت طائلة القانون.
- نشر الدعاية لمذاهبهم المتطرفة ، وإنتشارها بين أوساط واسعة من الشباب.
- استخدام بعض الصحف الإلكترونية العربية مثل "دابق" و"إنسباير" فى نشر الروايات المتطرفة لداعش والقاعدة، وآليات تنفيذ العمليات والجرائم الإرهابية.
- عرض فيديوهات عن كيفية تصنيع القنابل والمتفجرات، والتى أدت إلى تطبيقها بشكل فردى وجماعى فى عميات إرهابية متفرقة.
- توفير عنصر السرية الذى تحتاجه الجرائم الإرهابية.
- انخفاض النفقات إذ أن شبكات التواصل الاجتماعى لا تحتاج للنشر أو الاطلاع إلى أية تكاليف مادية.
- خلق الإرهاب المعلوماتى الجديد، القادر على تدمير الشبكات المعلوماتية لمؤسسات مهمة فى الدول، ويحقق خسائر اقتصادية فادحة لها.
- جمع المعلومات عن الشخصيات العسكرية والأمنية وأسرهم، وتهديد أمنهم وسلامتهم.
- استخدام غرف الدردشة على مواقع الإنترنت فى تجنيد الأعضاء الجدد.
- اجتذاب القادرين ماليًا على تقديم التبرعات تحت مظلة الزكاة والصدقات إلى مؤسسات خيرية مشبوهة تصب أموال التبرعات فى تسليح الجماعات الإرهابية.
- إنتاج برامج مصورة وحوارية على اليوتيوب وبعض القنوات الفضائية المشبوهة لنشر الأفكار الإرهابية، تدعو الجماهير إلى العنف ضد السلطة، يقدمها أشخاص بارزون إعلاميًا وفنيًا ينتمون إلى فكر الجماعات المتطرفة مأجورين.

لذا يجب علينا أن نعى دائمًا أخطار تلك الجماعات ووسائلها الدعائية، وعدم الإنسياق ورائها أو تصديقها وتحليل محتوى رسائلها والتصدى للكشف عن أوجه المبالغة والكذب فيه، وآليات الشحن العاطفى الذى تتضمنه لخلق ردود أفعال تجاه الأوطان، كما يتحتم علينا إيمانا بدورنا الوطنى الحفاظ على أمن

وسلامة البلاد، لاسيما أن التجارب الواقعية فى كثير من البلدان المجاورة تؤكد ما فعلته تلك الجماعات من تدمير وعنف وإفساد العراق وسوريا وليبيا واليمن نموذجًا.

تطبيقات:

- حدد أهداف الإرهاب، وصف تأثيره فى الدول والأفراد، وسبل مواجهته؟
- ما رأيك فى أن بناء الأوطان وتعميرها ، والتنمية، والإخلاص فى العمل، وحفظ الأرواح والأنفس، من صور الجهاد فى سبيل الله .

- **الرصد والتحليل الدولى لشبكات التواصل الاجتماعى:**

يعتقد مستخدمو شبكة الإنترنت أن مدوناتهم ومنشوراتهم على وسائل التواصل الاجتماعى، مجرد معلومات عالقة فى فضاء عالم افتراضى، تخصهم بشكل شخصى أو جماعى، وأن حقهم فى التعبير يتيح لهم بث ما يروق لهم من معلومات وصور وفيديوهات، إلا أن التحديات الخطيرة التى يطرحها التطور الهائل فى وسائل الاتصال والإعلام تخطى حدود الحقوق الفردية، إلى حقوق جماعية فى مقدمتها حماية الأمن القومى، إذ يؤكد الواقع أن هناك دول عديدة وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية، تسخر جهات عسكرية وسياسية ومخباراتية وبحثية لتحليل المعلومات على شبكات التواصل الاجتماعى، والوصول إلى نتائج يتم الاستعانة بها فى شن حروب عسكرية، إلى جانب حروب الجيل الرابع، وقياس توجهات الرأى العام داخل الدول، وإن كانت تلك التحليلات ونتائجها تكون مفيدة فى كثير من الأحيان فى مواجهة جماعات التطرف والإرهاب والجرائم الدولية، ودرء الشائعات فى مهدها، إلا أنه لا يمكن معرفة حدود استخدامها لخدمة مصالح دول معينة ضد دول أخرى، وصولا إلى مرحلة خطيرة فى تاريخ البشرية تعد أكثر خطورة وتدميرًا.

أولا: استخدام نتائج تحليل وسائل التواصل الاجتماعى فى أغراض سياسية :

أوصى الكونجرس الأمريكى وزارة الدفاع الأمريكية، بإجراء دراسة إستقصائية وبحثية على تحليل نتائج كل الدراسات السابقة التى تناولت تحليل وسائل التواصل الاجتماعى وتحديد الدراسات الأفضل، ودراسة القيود القانونية والأخلاقية المفروضة على تحليل وسائل التواصل الاجتماعى.

وأعدت مؤسسة RAND البحثية بحثًا حول أهمية تحليل وسائل التواصل الاجتماعى بعنوان "رصد وسائل التواصل الاجتماعى فى المستقبل دعما لعمليات المعلومات" وأوصى البحث بوجوب قيام وزارة الدفاع بتلك التحليلات واستخدامها.

وقد أجرت مؤسسة RAND هذه الدراسة بدعم من عدة جهات رسمية. مبررة أهمية الدراسة، بأن الناس حول العالم، بما فيهم الشعوب المدنية، وحلفاء الولايات المتحدة وخصومها أيضًا، يستخدمون

منصات التواصل الاجتماعى، فى تبادل المعلومات وإقناع الآخرين، كما أدى النمو التكنولوجي السريع لتكنولوجيا الاتصال التى تدعم وسائل التواصل الاجتماعى، إلى استخدام الخصوم غير الحكوميين لها، وهو ما يخلق أسباب إضطرارية مرتبطة بالأمن القومى لنشر قدرة على تحليل وسائل التواصل الاجتماعى، ويتوجب على وزارة الدفاع الأمريكية القيام بذلك.

ويلاحظ أن التحليل يشمل أصدقاء الولايات المتحدة وأعداءها، والخصوم غير الحكوميين، كالجماعات المتطرفة والإرهابية، وهو ما يعنى تحليل البيانات والمعلومات الخاصة بالدول كافة أو الجماعات التى للولايات المتحدة مصالح معها أو ضدها، هذا فى الولايات المتحدة ومن المؤكد فى كل الدول العظمى تجرى مثل هذه التحليلات وهو ما يؤكد أن خصوصية المعلومات أمر غير متحقق عالميًا، وأن ما نعتبره مزحة أو دردشة يصبح مادة خصبة للتنبؤ بأوضاع الحكومات والشعوب، بل واتخاذ القرارات معها أو ضدها وفقًا للمصالح الأمريكية، والأمن القومى لأمريكا أو أى دولة أخرى.

وهناك أمثلة عديدة على تحركات عسكرية أمريكية ضد بؤر إرهابية نتيجة المعلومات المنشورة عنها على الإنترنت، فلقد استغلت وحدة القوات الجوية الأمريكية عام ٢٠١٥ معلومات وردت على حساب يحمل اسم "مقاتل" على وسائل التواصل الاجتماعى، وأطلقت حملة قصف جوى على مبنى تتخذه الجماعات المتطرفة فى العراق والشام مقرًا لها. وهو أمر لا يقتصر على الجماعات الإرهابية وحدها وقد تستهدف دول وشعوبا.

قدمت مؤسسة بروكينجز Brookings Institution تقريرًا عن كيفية استخدام تحليل وسائل التواصل الاجتماعى من أجل جمع معلومات عن منظمة مستهدفة، إذ حلل المؤلفون عينة من عشرين ألف حساب مستخدم على تويتر، تعبر عن الدعم للدولة الإسلامية فى العراق والشام، مستخرجين معلومات حول موقع المناصرين، ومستوى نشاطهم، واللغات الأكثر استخدامًا فى تغريداتهم، وعدد مستخدمى تويتر الذين يتابعون هذه الحسابات، وتوصلوا إلى أن نجاح الحملة الدعائية قد يرجع إلى عدد صغير نسبيًا من المتسخدمين كثيرى النشاط.

وبذلك تَفِيدُ وزارة الدفاع الأمريكية من نتائج تحليلات المعلومات على وسائل التواصل الاجتماعى فى عمليات المعلومات التى تعرفها بأنها "التوظيف المتكامل، خلال العمليات العسكرية للقدرات المرتبطة بالمعلومات، بالتضافر مع خطوط عمليات أخرى من أجل التأثير على قرارات الخصوم والخصوم المحتملين، وتعطيل القرار أو إفساده أو الاستيلاء عليه، مع حماية عملية صنع القرارات الخاصة بنا فى الوقت نفسه. ويمكن أن تشكل عمليات المعلومات مكونًا لأى نوع من العمليات العسكرية".

ثانيًا: الفوائد والمخاطر الناتجة عن تحليل محتوى شبكات التواصل الاجتماعى:

ويمكن استخلاص الفوائد المتحققه من تحليل المعلومات على وسائل التواصل الاجتماعى وفقا للدراسة المذكورة فى الآتى:

- تحديد الجهود الاستخباراتية للخصوم، وتحديد الشبكات الأكثر أهمية لهم.
- توافر رؤية حول حياة الأفراد اليومية والمواقف والسلوكيات المرتبطة بالشبكات الاجتماعية عبر تحليل ملفاتهم الشخصية مثل العمر، والجنس، وأفراد العائلة ومكان العمل.
- تحديد النقاط التى يمكن من خلالها التأثير فى صنع قرارات الخصوم المحتملين وحماية القرارات الأمريكية.
- الحصول على معلومات حول ديموغرافيات مجموعة ما وحجمها وهيكلها التنظيمى ومجالات نشاطها.
- تحديد مراكز دعم القضايا المتطرفة، وتحديد الانتشار الجغرافى للأفكار، ومجالات الدعم لقضية أو مجموعة أو فكرة، وتعزيز انتشار أفكار ومعلومات محددة أو مكافحة انتشارها.
- تحديد المواقف والمخاوف التى تخص جماعة ما فى منطقة معينة بشكل أفضل.
- تحديد المؤثرين فى شبكة اجتماعية، لاستهداف المجموعات أو الأفراد الأكثر فاعلية للتأثير.
- الاهتمام إلى جانب تحليل النص لمحتوى رسائل التواصل الاجتماعى، تحليل الشبكات والتحليل الجغرافى وتحليل الصور والفيديوهات مجتمعة.

وعن أمن العمليات الأمريكية وحفظها فإن الدراسة تؤكد خطورة استخدام الوزارات وللوحدات والموظفين الفرديين الأمريكيين حسابات على فيسبوك وتويتر ويوتيوب وسنابشات وإنستغرام ووسائل التواصل الاجتماعى الأخرى، يبث من خلالها بشكل غير متعمد معلومات وفضح مؤشرات مهمة فعلى سبيل المثال، نشر أحد العسكريين صورة له فى مركز صيانة يعج بالطائرات، يوفر معلومات عن غير قصد عن الإستعداد العسكرى، ويضرب أمن المعلومات والتضليل العسكرى على هذه المعلومات.

كما أن مشاركات العسكرين على شبكات التواصل الاجتماعى، قد تؤدى إلى تحديد العسكريين وعائلاتهم، من قبل مجموعات إرهابية وإستهدافهم، إذ يستخدم الخصوم بشكل مركز وسائل التواصل الاجتماعى لجمع المعلومات الإستخباراتية، ويتبع حساب حركة طالبان على تويتر حسابات موظفين عسكرين أمريكيين متعددين. وكذلك حركة الدولة الإسلامية فى العراق والشام، التى دعت الأتباع لاستخدام مواقع التواصل الاجتماعى فى جمع معلومات عن الشخصيات العسكرية، ويدعو التقرير وزارة الدفاع الأمريكية لاتخاذ الجهود الوقائية لحماية البيانات الحساسة، أى أن تحليل المعلومات على مواقع

التواصل الاجتماعى لا تقتصر على وزارة الدفاع الأمريكية وحدها، وإنما تقوم الجماعات المتطرفة بالأمر نفسه.

وعن المعلومات المضللة على شبكات التواصل الاجتماعى تشير الدراسة الى أن تلك الشبكات تنشر معلومات مضللة من قبل جهات فاعلة خبيثة للتشجيع على العنف وإثارة الذعر، ونشر الروايات الخاطئة والإشاعات، لاسيما بعد حدوث هجمات إرهابية كبيرة، وقد تخطئ بعض وسائل الإعلام الرسمية والرئيسة عن غير قصد، فى نشر بعض تلك الروايات المضللة، ويتيح رصد وسائل التواصل الاجتماعى وتحليلها للحكومات أن تحدد وتكافح بسرعة أكبر انتشار المعلومات الخاطئة فى بلادهم.

لذا يطالب التقرير العسكريين وعائلاتهم بعدم نشر معلومات حساسة عبر وسائل التواصل الاجتماعى؛ لذلك يجب تدريب العسكريين على إمكانية استخدام الخصوم للمعلومات الشخصية على تلك الشبكات، وتحسين الجهود الوقائية من ذلك.

وهى دراسة جد خطيرة توضح التحديات والمخاطر الناجمة عن استخدام وسائل التواصل الاجتماعى، ويمكن الإفادة الكبيرة منها فى تدريب مستخدمى تلك الوسائل على توخى الحذر فى التعامل مع المعلومات مهما كانت بسيطة، وكيف يمكن استخدامها فى تدمير الأوطان من قبل دول أخرى او جماعات متطرفة، تنكب على تحليل تلك المعلومات واستخلاص النتائج منها، ويعد هذا التدريب ركنا مهمًا فى تدريس مقرر التربية الإعلامية.

تطبيقات:

- ناقش نوعية الأخبار والمعلومات التى يمكن أن ينشرها شخص تمثل خطورة إذا ما تم تحليلها وربطها بمعلومات أخرى تضر بمصالحك أو مصالح وطنك القومية من قبل جماعات أو دول أخرى.
- حلل بعض الأخبار والمعلومات على شبكات التواصل الاجتماعى تستقى منها معلومات حساسة عن أحد المؤسسات داخل بلدك أو خارجها.

التعليق:

الكلمة مسؤوليةٌ، والخبر مصداقيةٌ، والمعلومة موثوقيةٌ، والوطن أمانةٌ، تلك هى أهم ما يجب على المواطن أن يعلمه جيدًا فى صراع المعلومات وحروب الشائعات، واختراق الصفوف وتشتيت الجموع، وأهدافها واضحةٌ، وهى حماية الوطن ومؤسساته أولا، ثم حماية المجتمع والأفراد؛ لأنه من دون وطن لا كرامة لإنسان، لابد وأن ندرك حقوقنا وحقوق الآخرين، وحرياتنا بما لا يتعارض مع حريات الآخرين، وأن نتفاعل مع الآخر ولكن من منطلق المسؤولية الاجتماعية، وأن نضع بأنفسنا معايير أخلاقية للتفاعل

مع وسائل الإعلام الجديد ونلتزم بها، وأن نكون نحن جميعًا مَنْ نعاقب من يخرج عنها، بإهماله وتجاهله وفضح مغالطاته وجرائمه ودوافعه.

ونحمى بياناتنا ومعلوماتنا الشخصية والعملية، وأن نتحرى الدقة فى التفاعل مع بعض الحسابات المجهولة أو المشبوهة، على مواقع التواصل الاجتماعى التى تدعو للتطرف، والإرهاب، والجرائم، والحروب النفسية، التى يتم الترويج لها بطرق مباشرة وغير مباشرة، معلنة أو مستترة ، ظاهرة أو ضمنية، ومعرفة مصادرها ودوافعها، وأن نطبق مهارات التفكير التحليلى والنقدى على الرسائل الإعلامية التى نستقبلها، قبل التفاعل معها، أو إعادة نشرها، وأن نحافظ على هويتنا الثقافية، ونتمسك بها ونروج لإيجابياتها وقيمها التى تدعو للمحبة، والتسامح، والرقى بين الثقافات الأخرى، بوصفها قوى ناعمة تعبر عن هويتنا أمام العالم.

وندرك أن العالم لا يعيش حالة من السلام الدائم والشامل، وأن للحروب أنواعًا ووسائل مسلحة وغير مسلحة، حينما تستهدف دولة تخترقها من خلال مواطنيها، لينفرط البنيان وتنهار الدول.

لابد وأن نتماسك ونتعاضد فى مواجهة حروب الجيل الرابع وأيه أجيال من الحروب السابقة أو القادمة، وأن ننطلق ونبدع ونشارك بوعى كامل .

حفظ الله الوطن ،،،

أسئلة الفصل الخامس : التربية الإعلامية الرقمية

م	السؤال	الإجابة	
١	تقييم المحتوى والمصدر والرسالة الإعلامية من المهارات المكتسبة لدارسى التربية الإعلامية	√	X
٢	من أهداف التربية الإعلامية عدم الإهتمام بتحديد السياق الاجتماعى والثقافى للمضمون الإعلامى	√	X
٣	التفكير النقدى نمط من التفكير يقوم فيه الفرد بتجزئة الرسالة الإعلامية الى عناصر ثانوية وفرعية	√	X
٤	من خصائص الإعلام الرقمى التفاعلية واللاالتزامنية	√	X
٥	يشير الحق فى حرية الرأى إلى الحرية فى إعتناق الآراء المختلفة	√	X
٦	المسؤولية الإجتماعية هى مجموعة المبادئ الأخلاقية فى العمل الإعلامي	√	X
٧	قد ينتج عن الإعلام الرقمي كثير من الجرائم والصرعات والفتن	√	X
٨	تعرف جريمة السب بأنها خدش شرف شخص عمداً وإسناد واقعة محددة إليه	√	X
٩	تعد تجارة المخدرات عبر الإنترنت من الجرائم الإلكترونية	√	X
١٠	من آثار حروب الجيل الرابع إحجام المواطنين عن المشاركة السياسية وزيادة عدم الإنتماء	√	X
١١	حروب الجيل الثالث هى حروب بين جيش دولة وجماعات إرهابية أو قوات غير نظامية	√	X
١٢	تسعى الدعاية المغرضة إلى الإعلان عن مصادر والجهات الكامنة خلفها	√	X
١٣	من صور الدعاية المغرضة إدعاء فساد الحكومات وإبراز السلبيات فقط	√	X
١٤	قد تضيف الشائعة معلومة كاذبة على خبر صحيح	√	X
١٥	المبالغة فى النكتة والسخرية تؤدى الى الهزلية وعدم الجدية فى التعامل مع المواقف	√	X
١٦	تجند الجماعات الإرهابية أعضاء جدد للتنظيم المحظور، وتنشر طرق تصنيع الأسلحة عبر وسائل الإعلام التقليدى	√	X
١٧	تستخدم بعض الدول والجماعات نتائج تحليل ما يتم نشره على شبكات التواصل الاجتماعي فى أمور عسكرية	√	X

م	السؤال	الإجابة	
١٨	يصعب أن يؤدى نشر بعض الصور والمعلومات على وسائل التواصل الاجتماعى إلى جمع معلومات تضر بالأمن القوى	√	X
١٩	تحذر وزارة الدفاع الأمريكية العسكريين من نشر معلومات شخصية وعائلية على وسائل التواصل الاجتماعى	√	X
٢٠	من وسائل الإعلام التقليدى الصحافة الورقية	√	X
٢١	الحق فى حرية الرأي والتعبير حق مطلق غير محدود نصت عليه كل المواثيق الدولية	√	X
٢٢	تأثر عمل المؤسسات الإعلامية التقليدية بخصائص الإعلام الرقمى	√	X
٢٣	الثقة فى مؤسسات الدولة السياسية والإقتصادية واجب وطنى	√	X
٢٤	تتمتع المعلومات الشخصية التى تنشر على وسائل الإعلام الرقمى بالحماية اللازمة	√	X
٢٥	إن تضافر جهود الشعب والحكومة فى مواجهة الشائعات والدعاية المغرضة والإرهاب عبر الإنترنت يحقق الأمن والسلام المجتمعى والقومى	√	X

إجابة أسئلة الفصل الخامس : التربية الإعلامية الرقمية

رقم السؤال	الإجابة
١	صح
٢	خطأ
٣	خطأ
٤	صح
٥	خطأ
٦	صح
٧	صح
٨	خطأ
٩	صح
١٠	صح
١١	خطأ
١٢	خطأ
١٣	صح
١٤	صح
١٥	صح
١٦	خطأ
١٧	صح
١٨	خطأ
١٩	صح
٢٠	صح
٢١	خطأ
٢٢	صح
٢٣	صح
٢٤	خطأ
٢٥	صح

الفصل السادس: يحدده مجلس الجامعة.

الفصل السادس

مشكلات الأسرة المصرية في مجتمع متغير

تأليف

أ.د محمد ياسر الخواجة
أستاذ علم الاجتماع
كلية الآداب جامعة طنطا

أ.د محمد سعيد عبد المجيد
أستاذ ورئيس قسم علم الاجتماع
كلية الآداب جامعة طنطا

المحتويات :

تمهيد .
أولاً: الأسرة : الأهمية والمفهوم.
ثانياً: مشكلات الأسرة.
ثالثـــاً : الضـــبط الاسري ومواجهـــة الســـلوك الانحرافي للأبناء.
رابعـــاً : دور المشـــروع القـــومي لتنميـــة الأسرة المصرية في مواجهة المشكلات الأسرية.
المراجع .

تمهيد (♦):

لم يتفق علماء الاجتماع على قضية مثلما اتفقوا على القول بأن الأسرة هى الخلية الأولى للمجتمع ، فمنها يتكون النسيج الاجتماعي وتتركب التكوينات الإنسانية بدءاً من العشائر وانتهاءً بالأمم الحديثة ، والأسرة قديمة في وجودها قدم الخليقة ذاتها، ولذا فقد استوعبت عبر تاريخها الطويل ذلك الركام الهائل من الثقافة الإنسانية الذي يعكس كل التغيرات الاجتماعية والثقافية التي شهدتها المجتمعات . وهى نظام اجتماعي رئيسي يقوم بوظائف عديدة وغاية في الأهمية، حيث تقوم بوظائف التنشئة والرعاية ومنح المكانة، وبالتالي فهى ذات أهمية محورية وتأثيرية في حياة الفرد [١].

والأسرة كمؤسسة اجتماعية في غاية الأهمية، بل تعتبر أهم المؤسسات الاجتماعية جميعها، لما لها من أثر في حياة الفرد وفي تقويم سلوكه، ويرتبط هذا الأثر بوجودها (المورفولوجي) أي بيئتها الاجتماعية . وقد أكد "جاكسون" ذلك عندما ذهب إلى أن الأسرة لا تنقل القيم المقبولة اجتماعياً إلى الجيل الجديد فحسب، بل أنها تحاول أن تحمي الطفل من التأثر بالأنماط المنحرفة .

(♦) كتب أ.د محمد سعيد عبد المجيد في هذا الفصل التمهيد ، والعناصر الأول ، والثاني، والرابع ، بينما كتب أ.د محمد ياسر الخواجة العنصر الثالث " الضبط الأسري ومواجهة السلوك الانحرافي للأبناء " .

فالأسرة هى مصدر الأخلاق والدعامة الأولي لضبط السلوك ، والإطار الذي يتلقى فيه الإنسان أول دروس الحياة ، وكلما ازداد تكامل الأسرة، نجحت في وظيفتها كحصن يمنع عن الأطفال التأثيرات الضارة التي تنشأ في المجتمع المحلي أو تنبع من الأقران [٢].

ووفقاً لهذه الرؤية نتناول في هذا الفصل الأسرة من حيث الأهمية والمفهوم ، وأهم المشكلات التي تواجهها الأسرة ، ودور الضبط الاسري في مواجهة السلوك الانحرافي للأبناء ، وجهود الدولة في الحد من المشكلات الأسرية من خلال المشروع القومي لتنمية الأسرة المصرية .

أولاً : الأسرة : الأهمية والمفهوم

يشير المعنى الواسع للأسرة إلى مجموعة الأفراد الذين يعتقدون فيما بينهم أنهم ينتمون إلى جماعة مستقلة داخل المجتمع، ويرتبطون ببعضهم عن طريق روابط الدم أو الزواج . ويدركها بقية أفراد المجتمع، ويرون أن هؤلاء لا يرتبطون ببعضهم البعض عن طريق علاقات خاصة تجمعهم، وطبقاً " لبروم وسيلزنيك " Broom & Selznick فان الأسرة تتوسط بين الفرد والمجتمع وتساعد على أخذ مكانته في المجتمع [٣].

وقد حدد " برتراند " مجموعة من الخصائص والسمات المميزة للأسرة في ضوئها قدم تعريفه عنها، ومن هذه السمات ما يلي[٤] :

١ - إن الأسرة هى علاقة زواج قائم على أسس وروابط اجتماعية مقبولة.

٢ - إن الأسرة تتكون من أشخاص وجدت بينهم روابط الزواج والدم والتبني تبعاً للعرف السائد في المجتمع .

٣ - إن أعضاء الأسرة يقيمون بعضهم مع بعض في مكان واحد وتحت سقف واحد .

٤ - إن الأسرة هى وحدة من أشخاص متفاعلين يمارسون دورهم الذي حدده لهم المجتمع، وأن هذا التفاعل يكون مصحوباً بإشباع حاجات جسمية ونفسية واجتماعية .

وبناءً على هذه السمات المتعلقة بالأسرة قام " برتراند " بوضع تعريف لها باعتبارها جماعة اجتماعية مكونة من أفراد ارتبطوا ببعضهم البعض برباط الزواج أو الدم أو التبني وهم غالباً ما يشتركون في عادات ويتفاعلون وفقاً للأدوار الاجتماعية المحددة من قبل المجتمع [٥].

وقد ميز " ميردوك Murdock " بين نمطين للأسرة هما:

أ- **الأسرة الممتدة:** وتتكون من الزوجين وأبنائهم المتزوجين، وكذلك زوجاتهم وأبنائهم، كما تتضمن بعض الأقارب أيضاً كالجد والجدة ويعيشون جميعا في منزل واحد ومعيشة مشتركة .

ب- **الأسرة النواة :** وتتألف من الزوج والزوجة والأطفال، أو المراهقين من أبنائهم غير المتزوجين ويعيشون معاً في معيشة مشتركة في منزل واحد.

وتعرف الأسرة النواة بأنها "جماعة صغيرة تتكون من زوج وزوجة وأبناء غير بالغين، وتقوم كوحدة مستقلة عن باقي المجتمع المحلي ".

ويعتبر هذا الشكل الخاص من أشكال الأسرة من أهم خصائص المجتمع الصناعي الحديث لأنه يعبر عن الفردية التي تنعكس في حقوق الملكية والأفكار والقوانين الاجتماعية العامة حول السعادة والإشباع الفردي، كما يعبر أيضاً عن عمليات التنقل الاجتماعي والجغرافي في هذا المجتمع. وتعد الأسرة النواة ظاهرة بارزة في المجتمعات الصناعية المتقدمة، لأنها تعتمد في تماسكها على الجذب الجنسي والصداقة التي تقوم بين الزوج والزوجة، وبين الآباء والأبناء. غير انه سرعان ما تضعف الروابط الأسرية عندما يكبر الأبناء سواء من خلال تأثير جماعات الأصدقاء أو نتيجة لعمليات التنقل الاجتماعي والجغرافي. [٦]:

وتقوم الأسرة بمجموعة من الوظائف من أهمها الإنجاب ، والتنشئة الاجتماعية ، ومنح المكانة ، والوظيفة العاطفية [٧] .

وتمر الأسرة في حياتها بمراحل متعددة كدورة لحياتها، فهى تبدأ بمرحلة ما قبل الزواج، ثم الإعداد للزواج، ثم مرحلة ما بعد الزواج وتكوين الأسرة، ثم مرحلة إنجاب الأطفال وتربيتهم ثم مرحلة خروج الأبناء من الأسرة وتكوين أسر جديدة وهكذا. وتتعرض الأسرة خلال مرورها بهذه المراحل لأحداث ومواقف متعددة، والأسرة المتكاملة الناجحة لديها القدرة على مواجهة هذه الأحداث وتلك المواقف وتعمل على حلها واستمرار الحياة الطبيعية لجميع أفرادها. فلا يوجد فرد أو أسرة أو مجتمع في هذه الحياة إلا وله مشاكله الخاصة به، أما الأسرة القائمة على سوء العلاقات الاجتماعية بين أفرادها أو ضعف هذه العلاقات فإنها تنهار عند مواجهة أول مشكلة في حياتها [٨].

وفي ظل التغيرات المتلاحقة التي تشهدها المجتمعات في الوقت الحالي، وما أدت إليه من تغيير لشكل الحياة الاجتماعية تأتي أهمية دراسة ما ترتب على هذه التغيرات من تزايد لمشكلات الأسرة بشكل ملحوظ .

ثانياً : مشكلات الأسرة :

تعرف المشكلة الأسرية بأنها شكل مرضي من أشكال الأداء الاجتماعي الذي يعوق الفرد كعضو في الأسرة ككل أو المجتمع، بحيث يعهد المجتمع لهيئاته ومؤسساته المعنية مسئولية القيام ببرنامج تأهيل مؤثر وفعال يوجه الأسرة والمجتمع، أو في حالة الاختلال الداخلي والخارجي التي تترتب على حاجة غير مشبعة لفرد في الأسرة أو للأسرة ككل بحيث يترتب عليها نمط أو مجموعة أنماط سلوكية تتنافى مع الأهداف المجتمعية ولا تسايرها [٩].

ومن المؤشرات الدالة على وجود مشكلة أسرية ما يلي :

١ - وجود عقبة في الأداء الاجتماعي لفرد في الأسرة أو الأسرة ككل.

٢ - الجمود وعدم المرونة في مواجهة كل جديد .

٣ - عدم تحديد مسئوليات أفراد الأسرة والحدود غير واضحة .

٤ - يسود في الأسرة ما يعرف بظاهرة التقمص الاسقاطي .

٥ - تكون أي منحة طارئة لفرد فيها بمثابة كارثة تجمد حركة الأسرة كلها.

٦ - يسود الأسرة ظاهرة التضحية أو كبش الفداء.

٧- وجود نقص في إشباع الحاجات بالنسبة لشخص أو الأسرة ككل.

٨- تراكم الإحباط وسوء التكيف بطريقة تهدد الفرد أو الأسرة بحيث تحول دون القيام بالتوظيف الأسري المناسب .

٩- كثرة الجدل والخلافات والشجار والنزاعات التي تحدث بين الزوجين، وتؤثر على بقية الأسرة ووظائفها.

١٠- عجز الأسرة عن القيام بوظائفها سواء كان هذا العجز في القيام بوظيفة ما محددة بذاتها أو في درجة أداء الأسرة لهذه الوظيفة.

١١- توقف التفاعل الأسري أو وجود التفاعل السلبي.

١٢- زيادة التركيز على الأدوار المتساوية بين لزوجين مما يؤدي إلى تصدعات في الوحدة الأسرية.

١٣- انحلال الرابطة الزوجية [١٠].

ومشكلات الأسرة متعددة ومتشابكة، فنجد فريق يقسم هذه المشكلات من حيث العوامل التي تساهم بنصيب أكبر في حدوثها وهى[١١]:

- **المشكلات النفسية:** كسوء التوافق العاطفي والجنسي والغيرة والخيانة الزوجية والنزاع على السلطة داخل الأسرة وغيرها.

- **المشكلات الاجتماعية:** كسوء العلاقة بين الزوجين والأبناء ومشكلات المرأة العاملة وتعدد الزوجات والزواج المبكر والهجر والطلاق وغيرها.

- **المشكلات الاقتصادية:** كقلة الدخل أو انعدامه، وسوء التصرف في الدخل، وانخفاض المستوى الاقتصادي للأسرة وغيرها.
- **المشكلات الصحية :** كمرض أحد الأفراد الأسرة بمرض مزمن والإصابة بالعاهات والعقم.
- **المشكلات الثقافية :** كتنافر الميول الشخصية والقيم بين الزوجين واختلاف ثقافة كل منهما أو تباين المستوى التعليمي بينهما.
- **المشكلات العقلية :** كتباين مستوى الذكاء بين الزوجين أو إصابة أحد أفراد الأسرة بالضعف العقلي.
- **المشكلات الأخلاقية :** كارتكاب الفحشاء والقسوة في معاملة الزوج لزوجته أو الأبناء وغيرها .

وسنتناول فيما يلي مشكلتين من أهم المشكلات الأسرية لارتباطهما وتأثيرهما في ظهور المشكلات الأخرى ، وهما مشكلتي التفكك الأسري الذي يتضمن مشكلات الانفصال والطلاق والهجر ، ومشكلة العنف ضد المرأة كأهم نمط من أنماط العنف الأسري وأكثرها انتشاراً .

١ - مشكلة التفكك الأسري :

من المشكلات الخطيرة التي قد تواجه الأسرة مشكلة التفكك الأسري الذي يشير إلى أي وهن أو سوء تكيف أو توافق أو انحلال يصيب الروابط التي تربط الجماعة الأسرية كل مع الآخر، ولا يقتصر وهن هذه الروابط على ما قد يصيب العلاقة بين الرجل والمرأة، بل قد يشمل أيضاً علاقات الوالدين بأبنائهما.

ومن الجدير بالذكر إن الخلافات التي قد تنشأ بين الزوجين تكون أكثر خطراً وأدعى إلى انحلال الأسرة بأسرها مما لو حدث الخلاف بينهما وبين أبنائهما، ذلك لأن صورة الخلاف وعوامله ونتائجه تختلف في كل حالة. ذلك لان الخلاف بين الزوجين قد يكون راجعاً لطبيعة العلاقة الشخصية التي تربطهما، وما يترتب على ذلك من نفور أو تباعد يزداد إلى الدرجة التي تفضي إلى الهجر والانفصال والطلاق، ومع أن عدداً من العوامل الثقافية يكون ماثلاً وراء كل اختلاف إلا أن ظهورها خاصة عند الزوجين ينذر بانحلال الزواج كلية. أما إذا كان التوتر قائماً بين الأبناء ووالديهم فان الموقف يختلف، لأنه مهما زاد الخلاف فلن يؤدي إلى انحلال الأسرة خصوصاً إذا ظل الوالدين من حيث موقفهما متساندين، ذلك لان أكثر الخلاف بين أعضاء الأسرة الواحدة يعكس نوعاً من الصراع بين الأجيال تنميه العوامل الثقافية وتعمقه عمليات التغير الاجتماعي والثقافي وخاصة إذا كانت من النوع السريع والكثيف، إن الأبعاد الثقافية

والاجتماعية التي تنشأ في هذه الحالة بين الأبناء ووالديهم تخلق توتراً داخل الأسرة، ولكنه لا يفضي إلى تصدع الأسرة تماماً في أغلب الحالات [١٢].

ويمكن تعريف التفكك الأسري باعتباره "انهيار الوحدة الأسرية وتحلل أو تمزق نسيج الأدوار الاجتماعية عندما يخفق فرد أو أكثر من أفرادها في القيام بالدور المناط به على نحو سليم ومناسب" [١٣].

- ومن الأنماط الرئيسية للتفكك الأسري ما يلي [١٤]:

أ- عدم اكتمال الوحدة الأسرية: وهى تضم فيما تضم تغيب الأب – الزوج عن الأسرة، ومن هنا فان الواجبات التي يضطلع بها والتي رسمها له المجتمع ليست قائمة . وبالإضافة لذلك فانه يوجد على الأقل واحداً من مصادر اللا شرعية يتمثل في إخفاق أعضاء الأسرة التي ينتمي إليها كل من الزوجين في أداء التزامات أدوارهم تجاه الأسرة وفي ممارسة الضبط الاجتماعي عليها.

ب- الانفصال والطلاق والهجر : وهنا يحدث التفكك بسبب قرار أحد طرفي العلاقة الزوجية كليهما ترك الآخر، ومن ثم يتوقف أداؤها للالتزامات المترتبة على دوريهما كزوجين .

جـ – الحالة التي يعيش فيها أفراد الأسرة سوياً ولكن مع **تناقص الاتصال أو التفاعل** فيما بينهم وبالذات في حالة إخفاق كل منهم في دعم الآخر عاطفياً.

د ـ **الغياب غير المتعمد لأحد الزوجين :** فقد تتعرض بعض الأسر للتفكك بسبب وفاة أحد الزوجين أو الحكم عليه بالسجن أو الابتعاد عن الأسرة بسبب الحروب أو حدوث كساد أو بعض مظاهر الكوارث الأخرى .

ه ـ **الكوارث الداخلية** التي تؤدي إلى إخفاق " غير متعمد" في أداء الأمور إذ قد تنطوي الكوارث التي تحدث في إطار الأسرة على كثير من الأمراض العقلية أو الجسدية أو اختلال التوازن العاطفي. فالطفل قد يولد وبه مرض عقلي أو قد يصاب الطفل أو أحد الأبوين بمرض عصبي، كما أن الإصابة بأمراض جسمية خطيرة ومزمنة يؤدي إلى الفشل التام في أداء الدور الذي كان منوطاً بالشخص المصاب بالمرض .

- **أهم مظاهر التفكك الأسري** (١٥):

١ ـ الاختلال الذي يصيب دور الرجل أو المرأة وخاصة في مجال التوقعات ومن العوامل التي تؤدي إلى هذا الاختلال الهجر والموت والطلاق .

٢ ـ تنحل الرابطة الزوجية أو تتفكك الأسرة في بعض الأحيان بسبب استقلال المرأة الاقتصادي أو ضياع الحب أو القواعد القانونية المرنة، ولكن استقلال المرأة الاقتصادي يصبح تدريجياً في كثير من المجتمعات أمراً عادياً يقبله الرجال، ولذلك تزداد نسب التفكك الأسري بسبب التعاسة الزوجية .

٣- يؤدي عدم إنجاب الأطفال إلى احتمالات عديدة تؤدي إلى فصم عرى رابطة الزوجية، ولكن وجود الأطفال قد لا يمنع هذا الانفصام. والمرأة في عدد من المجتمعات تعرف أن إنجاب الأطفال يعتبر عملاً وقائياً يمنع من تحلل الأسرة، ولذلك تحرص الأسرة على الإنجاب بكثرة حتى ولو أدى الأمر إلى ارتباك الميزانية العادية للمنزل .

٤- وقد تظل الأسرة متماسكة من الناحية الخارجية على الرغم من مظاهر عدم الانسجام والتعاسة، وعلى الرغم من وجود مصادر للإشباع الجنسي أو العاطفي خارج نطاق الأسرة كما هو الحال في بعض المجتمعات الأوروبية.

٥- يتوقف قدر كبير من احتمالات تفكك الأسرة على مدي التسامح، وذلك لان الرجال والنساء يدخلون في علاقة الزواج وقد تكونت أفكارهم واتجاهاتهم وأصبحت لهم خبرة نتيجة تجارب عديدة في الحياة، ولهذا فنحن نتوقع أن تنطوي كل أسرة على أنواع متعددة من الصراع والإحباط والتوتر، ولكن القدر المستطاع من التسامح عند الزوجين أو عند أحدهما إذا لم يمارس بطريقة واعية فقد تزداد التوترات وتفضي إلى تفكك الأسرة .

٦- يبدأ التفكك الأسري إذا توقف التفاعل بين الزوجين وخاصة في المسائل التي تقتضي التنازل المتبادل. فالرجل مثلاً يتحمل مسئولية الأسرة أساساً من الناحية الاقتصادية في مقابل أن تعترف له المرأة بسلطة الرجل في المسائل ذات الأهمية البالغة مثل ميزانية الأسرة والمبادئ

العامة في تربية الأطفال ، ولكن الخلافات التي تنشأ حول هذه المسائل تؤدي إلى إحداث فجوة تتسع ولا يمكن عبورها بسهولة .

٧- تأخذ معظم المجتمعات اليوم بفكرة المساواة بين الرجل والمرأة خاصة فيما يتعلق بتربية الأطفال وإصدار القرارات وأمور الترفيه، والسبب في هذا ازدياد عمل المرأة وإقبال النساء على التعليم والاعتراف التدريجي بالحقوق القانونية للمرأة المساوية لحقوق الرجل، ولكن اندفاع النساء المتسرع نحو الاستمساك بحقوقهن وممارستهن لها بشيء من التحدي يؤدي في كثير من الأحيان إلى رد فعل عند الرجال يتخذ صورة الإصرار على قبول الاتجاهات الذكورية في مواجهة المسائل وتأكيد سيادة الرجل التي لا تزال قوية في ثقافات المجتمعات. وما من شك إن زيادة التركيز على الأدوار المتساوية بين الزوجين يؤدي إلى تصدعات خطيرة في الوحدة الأسرية.

٨- ما قد ينظر إليه على انه " تقدم " وخاصة في مجال إعطاء النساء للحقوق المتساوية مع الرجال يعتبر من وجهة نظر أخرى في المجتمعات الذكورية نوعاً من التفكك الاجتماعي، خصوصا إذا ظل البناء الاجتماعي قائماً على نوع من التنظيم لا يتناسب مع تغير أدوار النساء في المجتمع .

٩- مشاركة المرأة في ميزانية الأسرة أو تساويها في التعليم مع الرجل قد يؤدي إلى أن تنظر إلى زوجها نظرة زمالة أو رفقة لا نظرة سيد أو مهيمن

كما تؤكد ثقافة بعض المجتمعات الذكورية ، ولكن المبالغة في هذا الاتجاه يؤدي إلى تصدع الأسرة أو هروب الرجل، حيث يستطيع أن يمارس السيادة أو يشعر بها حتى من الوجهة النظرية.

١٠- من أكثر أسباب تصدع الأسرة وضوحاً حيرة المرأة وقلقها، لأنها لا تعرف ما تريد حقاً، فهى تريد أن تتعلم وتحصل على أكبر الألقاب العلمية ، وتريد أن تحتل أرفع المراكز، وفي نفس الوقت تريد أن تتزوج وتنجب الأطفال وأن يكون لها بيت مستقل. ولذلك تخلط بين واجبين مختلفين هما العمل المهني، وبناء البيت ورعايته، وكلاهما يستغرق نشاط المرأة كل على حدة إذا أعطى العناية الكافية، ولذلك يكون انشغالها بالعملين مؤدياً إلى عدم إتقانها لأي منهما .

٢- مشكلة العنف ضد المرأة :

يمثل العنف ضد المرأة قضية عالمية واسعة الانتشار تتخطى الحدود الثقافية والجغرافية والانتماء العرقي والطبقة الاجتماعية والدين. فعلى الرغم من مظاهر الإنصاف للمرأة خاصة من خلال التشريعات والدساتير التي أقرت المساواة بين الرجل والمرأة، تتعرض المرأة للعنف في أوقات الحرب والسلم . وتشير الدارسات إلى أن العنف ضد المرأة منتشر في المجتمعات المتقدمة والنامية على حد سواء، كما أن عدداً كبيراً من الثقافات تنقل العنف ضد المرأة وتسهم في استمراره بالحصانة التي يتمتع بها مرتكبو العنف [١٦].

وتتعرض المرأة العربية للعنف بأشكال مختلفة، ففي دراسة قامت بها "سمية سيف الدين" عن العنف في ست دول عربية هى : مصر واليمن والأردن وسوريا وفلسطين ولبنان، قامت خلالها بدراسة ٥٠٠ سيدة من كل بلد، وجدت أن من أبرز مظاهر العنف التي تمارس ضد المرأة في هذه الدول ظاهرة ختان البنات ، وظاهرتي الزواج المبكر، والقتل من أجل الشرف. كما أشارت إلى أن هناك أشكالاً مختلفة من العنف المقبول اجتماعيا يمارس ضد المرأة العربية على اعتبار أنه حق من حقوق الرجل الشرعية مثل الطلاق التعسفي، وتعدد الزوجات دون أسباب والأضرار التي تلحق بها وبأولادها. كما أوضحت الباحثة أن هناك نوعين من العنف يمارسان ضد المرأة العربية: عنفاً مباشر يتمثل في الإيذاء الجسدي والقتل والاغتصاب وغيره، وعنفاً غير

مباشر يتمثل في الكثير من العادات والتقاليد والقوانين والتشريعات التي تميز بين المرأة والرجل، وتحرم المرأة من التمتع بالكثير من حقوقها الإنسانية [١٧].

كما تعد هذه الظاهرة من أهم معوقات مشاركة المرأة في التنمية؛ نظراً لما يترتب عليها من آثار اجتماعية ونفسية مدمرة للمرأة. لذا برز الاهتمام بقضايا المرأة عالمياً وإقليميا ومحلياً، لأنه أصبح من المؤكد عدم قدرة أي مجتمع على النهوض وتحقيق التنمية مع إضعاف نصفه . بل إن المرأة تمثل النصف الأفضل من المنظور التنموي. فالمرأة، وإن كانت تمثل حوالي نصف المجتمع من حيث العدد، فهي أكبر من ذلك بكثير من حيث الكيف؛ لأنها العامل الأساسي في تربية النصف الآخر . وكما قال الشاعر الكبير حافظ إبراهيم (الأُمُّ مَدرَسَةٌ إِذا أَعدَدتَها أَعدَدتَ شَعباً طَيِّبَ الأَعراقِ).

- **تعريف العنف ضد المرأة :**

يعني مصطلح العنف ضد المرأة في "أي فعل عنيف قائم على أساس الجنس، ينجم عنه أو يحتمل أن ينجم عنه أذى أو معاناة بدنيين أو جنسيين أو نفسيين للمرأة ، بما في ذلك التهديد باقتراف مثل هذا الفعل أو الإكراه أو الحرمان التعسفي من الحرية، سواء أوقع ذلك في الحياة العامة أم الخاصة". وذلك كما عرفته المادة الأولى من الإعلان العالمي للقضاء على العنف ضد المرأة الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٠ ديسمبر عام ١٩٩٣[١٨].

كما ورد تعريف آخر للعنف ضد المرأة في الوثيقة الصادرة عن المؤتمر العالمي الرابع للمرأة في بكين / الصين عام ١٩٩٥ إذ جاء فيها "العنف ضد النساء هو أي عنف مرتبط بنوع الجنس، يؤدي على الأرجح إلى وقوع ضرر جسدي أو جنسي أو نفسي أو معاناة للمرأة، بما في ذلك التهديد بمثل تلك الأفعال، والحرمان من الحرية قسراً أو تعسفاً، سواء حدث ذلك في مكان عام أو في الحياة الخاصة" (١٩).

ووفقاً لهذا يمكن تحديد مفهوم العنف ضد المرأة على أنه "كل ممارسة تسلط أو عنف على المرأة سواءً في الحياة العامة أو في الحياة الخاصة، ويهدف إلى تهديدها أو تخويفها، والمس من كرامتها، سواء كانت هذه المرأة زوجة أو ابنة أو أختاً، وسواء أكان هذا العنف معنوياً أو جسدياً أو جنسياً".

- **أشكال العنف ضد المرأة :**

يمكن تحديد أنواع العنف الممارس ضد المرأة على النحو التالي (٢٠) :

أ- العنف المعنوي النفسي: وهو أصعب مظاهر العنف ضد المرأة؛ إذ إنه غير محسوس و لا ملموس و لا يوجد أثر واضح له، و يكون نتيجة إهمال المرأة وذاتيتها واحتقارها وحرمانها من الحرية وهضم حق الاختيار (اختيار الزوج – الاختيار السياسي.....) وهو ما يلاحظ في بعض الدول بنسب حادة ومزمنة حيث تحرم المرأة من حق التعليم، والاستقلال الاقتصادي، وولوج بعض الوظائف والحق السياسي (حق الانتخاب والترشح). هذه المظاهر وغيرها – والتي تحكم دون مقياس علمي بدونية المرأة و إلغاء ذاتيتها والحكم بقصورها أمام النظرة الذكورية التي تبيح للرجل حق السيطرة – إنما تنعكس سلباً على نفسية المرأة، بل وتمارس عليها عنفاً غير ملحوظ عينياً .

ب ـ العنف الجسدي والجنسي: وهو واضح عكس سابقه، ويترك آثاراً بادية للعيان، وتستخدم فيه أدوات مختلفة كما يأخذ أشكالاً متعددة : (الركل– الضرب– الصفع – شد الشعر– التحرش الجنسي– هتك العرض– الخطف– الممارسات الجنسية الشاذة– الاغتصاب– إحداث العاهات– الحرق وانتهاءً بالقتل)، وهذه الأنواع السابقة تشير إليها الدراسات وسجلات المحاكم والصحف....

إن العنف الجسدي يعتبر من أخطر الأنواع التي تتعرض لها المرأة تعنيفاً، وتكمن خطورتها في أنها تبقى طي الكتمان خاصة عندما تكون من طرف رجال الأسرة .

جـ ـ العنف القانوني: وهو العنف الذي تتعرض له المرأة بسبب القوانين خاصة في مواضيع الزواج– الطلاق – الحضانة– النفقة– الولاية– والإرث . كما يمكن تصنيف أشكال العنف ضد المرأة بشكل آخر على النحو التالي[٢١] .

أ ـ العنف الذي يحدث في إطار الأسرة :

– (الضرب، التعدي على الإناث في الأسرة، الممارسات التقليدية المؤذية للمرأة، العنف المرتبط بالاستغلال، العنف غير الزوجي) .

ب ـ العنف الذي يحدث في إطار المجتمع :

(الاغتصاب، التعدي الجنسي، المضايقة الجنسية، التخويف في العمل).

هذا، وترتبط الأشكال المختلفة للعنف الموجه ضد المرأة بمصطلح العنف الرمزي الذي يدل على:

– أشكال خفية للإكراه والضغط من خصائصها أن تمارس برضا الأشخاص الذين تستهدفهم.

– العنف الذي تعيشه المرأة لكنها لا تعتبره عنفاً لأنها تبرره وتدافع عنه .

– العنف الرمزي، وهو المسلمات التي لو انتبهنا إليها قليلاً وفكرنا فيها بدت لنا غير مسلم بها.

– هو أن تشترك الضحية وجلادها في نفس التصورات عن العالم ونفس المقولات التصنيفية، وأن يعتبرا معاً بنى الهيمنة من المسلمات والثوابت [٢٢].

وما سبق يوضح أن العنف ضد المرأة يمكن أن يتخذ العديد من الأشكال، فيمكن أن يكون معنوياً، ويمكن أن يكون جسدياً، أو يتزامن النوعان معاً، وفي كل الحالات هو عنف، ويجب التصدي له .

ـ الآثار المترتبة علي العنف الموجه ضد على المرأة :

بشكل عام قد يكون من الصعب حصر الآثار التي يتركها العنف على المرأة؛ وذلك لأن المظاهر التي يأخذها هذا الجانب كثيرة ومتعددة. وفيما يلي عرض لأهم هذه الآثار:

أ ـ الآثار النفسية :

– فقدان المرأة لثقتها بنفسها، وكذلك احترامها لنفسها.

– شعور المرأة بالذنب إزاء الاعمال التي تقوم بها.

– إحساسها بالاتكالية والاعتمادية على الرجل.

- شعورها بالإحباط والكآبة.
- إحساسها بالعجز.
- إحساسها بالإذلال والمهانة.
- عدم الشعور بالاطمئنان والسلام النفسي والعقلي.
- اضطراب في الصحة النفسية.
- فقدانها الإحساس بالمبادرة والمبادأة واتخاذ القرار.

ولا شك أن هذه الآثار النفسية، أو بعضها تفضي إلى أمراض نفسية أو نفسية – جسدية متنوعة كفقدان الشهية، اضطراب الدورة الدموية، اضطرابات المعدة أو البنكرياس، آلام وأوجاع وصداع في الرأس، ...الخ[٢٣].

ب – الآثار الاقتصادية :

كشف إحدى تقارير منظمة الصحة العالمية عن "العنف الممارس ضد المرأة" عن الآثار والتكلفة الاقتصادية للعنف ضد المرأة. ووفقاً للتقرير فالعنف ضد النساء يؤدي إلى إفقارهن. كما أنه يحمل ميزانية الدولة بمصاريف كان من الممكن الاستغناء عنها لو لم توجد هذه الممارسات العنيفة ضد النساء. وكذلك يجب تذكر تكاليف نظم العدالة ومراكز الشرطة والمحاكم والخدمات الصحية والإسكان والخدمات الاجتماعية المختلفة التي تُقدم لمن تعرضن للعنف. كل هذه المصروفات تُضاف إلى ميزانية الدول لإصلاح ما أوجدته الممارسات العنيفة ضد النساء. ففي كندا على سبيل المثال قُدرت مجموع تكاليف النفقات المباشرة المرتبطة بالعنف

ضد النساء بأكثر من مليار دولار، وفي المملكة المتحدة قُدرت التكاليف بمبلغ ٢٣ مليار جنيه استرليني في السنة أو ٤٤٠ جنيهاً لكل فرد من السكان. وهى مبالغ فلكية وهائلة تكشف عن حجم الخسائر الهائلة الناجمة عن تلك الممارسات العنيفة ضد النساء حول العالم [٢٤].

جـ - الآثار الاجتماعية للعنف :

تُعَدّ هذه الآثار من أشد ما يتركه العنف على المرأة، ولا نبالغ إذا قلنا إنها الأخطر والأبرز. ويمكن إبراز أهم وأخطر هذه الآثار فيما يلي:

- الطلاق.
- التفكك الأسري.
- سوء واضطراب العلاقات بين أهل الزوج وأهل الزوجة.
- تسرب الأبناء من المدارس.
- عدم التمكن من تربية الأبناء وتنشئتهم تنشئة نفسية واجتماعية متوازنة.
- جنوح أبناء الاسرة التي يسودها العنف.
- العدوانية والعنف لدى أبناء الاسرة التي يسودها العنف.
- يحول العنف الاجتماعي ضد المرأة عن تنظيم الاسرة بطريقة علمية سليمة[٢٥].

ومما سبق يمكن القول ان من أهم الآثار المترتبة على العنف ضد المرأة هو إعاقة اندماج المرأة في الحياة الاقتصادية – الإنتاجية، وتفويت فرصة الدولة الاستفادة من الطاقة النسائية والشبابية الكامنة، وكذلك فرصة توظيف هذه الطاقات في عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

ثالثاً : الضبط الاسري ومواجهة السلوك الانحرافي للأبناء :

يمثل موضوع الضبط الاسرى محور ارتكاز مهم بالنسبة لعلم الاجتماع الحديث ، نظراً لأن الضبط الاسرى يتضمن توجيهاً مقصوداً لضمان استقرار التنظيم الاجتماعي والاحتفاظ به في حالة سوية ، واضطراد تقدم المؤسسات والمنظمات في إشباع حاجات أفراد الجماعة ، وتحقيق رفاهيتهم ، لأن من طبيعة الضوابط الاجتماعية أن تعمل على إحداث التماسك الاجتماعي الذي لا يكون كاملاً في معظم الأحيان لأن المصلحة الفردية قد تتعارض مع مصالح الجماعة أحياناً ، وهنا تبدو أهمية الدور الذي تقوم به الضوابط الاجتماعية في تنسيق وتوفيق النشاطات والاهتمامات الفردية مع مصالح الجماعة على مختلف المستويات ، حتى لا يتصدع البناء الاجتماعي نتيجة الصراع بين الزمر والفئات الاجتماعية حول المصالح المختلفة والمتعارضة ، فضلاً عن سوء التوافق الذي ينشأ نتيجة مظاهر الاستغلال والمنافسة المدمرة مما يتطلب نوعاً من الضبط القسري لإعادة التوازن والانسجام بين الأفراد والنظام الاجتماعي القائم ، وإلا استشري الانحراف والتفكك الاجتماعي ، لذا فإن وظيفة الضبط الاسرى الأساسية هى تحديد نطاق السلوك المقبول في المجتمع ومنع الانحراف والحالات غير السوية في النظم الاجتماعية، حتي يضمن صلاحية فاعليتها في أداء وظائفها . ومن هنا تأتى أهمية هذا العنصر في التعرف على ميكانزمات الضبط الاسرى فى مقاومة السلوك الانحرافي.

١ - مفهوم الضبط الاسرى Family Control

يشير الضبط الاسرى في معناه العام إلى العمليات والإجراءات المقصودة وغير المقصودة التي يتخذها مجتمع ما ، أو جزء من هذا المجتمع ، لرقابة سلوك الأفراد فيه ، والتأكد من انهم يتصرفون وفقا للمعايير والقيم أو النظم التي رسمت لهم ، ويرتبط الضبط الاسرى في المجتمع الحديث بالرأي العام وبالحكومة عن طريق القانون ، أما في المجتمعات التقليدية فتلعب الأنماط الاجتماعية كالعادات الشعبية والعرف دوراً كبيراً في الضبط الاسرى(٢٦) .

وعلى هذا فقد ذهب كل من أوجبرون ونيمكوف Ogburn and Nimkoff إلى أن دراسي علم الاجتماع يستخدمون اصطلاح الضبط الاسرى بطريقة عامة جداً لوصف كل الوسائل التي تستخدمها الجماعة لتحقيق النظام الاجتماعي . ويترتب على هذا الاستخدام أن العادات الشعبية وتقسيم العمل مثلاً يمكن اعتبارهما من وسائل الضبط الاسرى طالما يساعدان على استمرار الجماعة وتكاملها . فالضبط في نظرهما عبارة عن العمليات والوسائل التي تستخدمها الجماعة لتضييق نطاق الانحرافات عن المعايير الاجتماعية (٢٧) .

وأن كل عرف اجتماعي ، وكل مظهر من مظاهر السلوك العام هو بدرجة ما وسيلة للضبط الاجتماعي ، وحتي أبسط قواعد السلوك أو أبسط

مظاهر التقاليد أو آداب السلوك العام هى أدوات ووسائل للضبط الاجتماعي. (٢٨)

٢ ـ طبيعة الضبط الأسرى

تعد الأسرة بمثابة حجر الزاوية في المجتمع، فالأسرة هى الوحدة الأساسية في التنظيم الاجتماعي، فبدونها يصعب على باقي المؤسسات الاجتماعية الأخرى القيام بوظائفها، فالطفل يكتسب خصائص شخصيته وخبراته الأساسية داخل الأسرة، وتنبع أهمية الأسرة من أهمية مرحلة الطفولة الأولى، ولاسيما السنوات الخمس الأولى، كما أنها هى التي تحدد لنا فيما بعد الخصائص الشخصية المميزة للأفراد بغض النظر عن انتماءاتهم الأسرية، فالأسرة تنقل معايير المجتمع إلى أعضائها الصغار وتلقن أفرادها الاتجاهات والقيم المرغوب فيها، والأسرة بصفتها نسقاً اجتماعياً ليست صورة رمزية توجد في عقول الأفراد، وليست مثالاً مجرداً في الذهن بل هى بنية اجتماعية ملموسة ومألوفة مثل المصنع، وهى عنصر بنائي حقيقى وواقعى، ويحتل مكان الصدارة في كل بناء اجتماعي. وبالرغم من التغيرات البنائية التي طرأت على شكل وعلاقات الأسرة وحجمها في الدول التي اتجهت نحو الإنتاج الصناعي، فالأسرة المعاصرة مازالت هى الوحدة البنائية الأساسية في المجتمع، وترتبط مع الأنساق الاجتماعية من خلال الأدوار الأسرية التي يقوم بها الراشدون في أكثر من مجال من مجالات النشاط، ومازالت تحتفظ بطابعها الاجتماعي في كل المجتمعات الإنسانية للأسباب التالية:

أولاً: أن السلطة داخل الأسرة مازالت من اختصاص الوالدين.

ثانياً : مازالت الأدوار التي يقوم بها الرجل أباً أو زوجاً في معظم المجتمعات هى الأدوار الأدائية النفعية، لإنجاز الأعمال والمساهمة في الإنتاج ومازالت أدوار المرأة أماً وزوجة أدواراً تعبيرية تهدف إلى الإشباع النفسي.

ثالثاً : مازالت الأسرة هى المرفأ الوحيد لإشباع الحاجات النفسية والعاطفية للكبار والصغار في المجتمع الحديث، فهى وسيلة لتخفيف التوتر الذى يعانيه الأفراد خارج البيت ولتحقيق التوازن العاطفي، كما يشعر الفرد داخل جدرانها بدفء الحياة.

رابعاً: لازالت الأسرة هى النسق الاجتماعى المسئول عن تربية الأولاد بلا منازع، حتى طور المدرسة، إذ تعكس تجارب الطفولة الأولى داخل الأسرة المضمون الاجتماعى للمجتمع، وتلعب دورها في ربط الشخصية بالبناء، فكل قيم الشخص كالاعتماد والاستقلال والطمأنينة والحرية والصدق، تشكل حسب نوع مشاركة الطفل وتفاعله مع أعضاء الأسرة، ويؤيد ميرتون Merton هذا الاتجاه فيرى أن الأسرة أداة لنقل التراث الثقافي للأجيال المتعاقبة، وأداة لتنظيم سلوك الطفل حول الأهداف الثقافية والاجتماعية ولتكوين الوازع الخلقي عنده[٢٩].

لذا تعتبر الأسرة هى مدرسة الطفل الأولى، والعامل الأساسي في صبغ سلوك الطفل بصبغة اجتماعية وتكوين شخصيته وتوجيه سلوكه.

وتتميز الأسرة بعدة خصائص تبرز أهميتها في عملية التطبيع والتنشئة الاجتماعية على النحو التالي:

أ – أن الأسرة هى الوحدة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الطفل وهى المسئولة الأولى عن تنشئته اجتماعياً.

ب– أن الأسرة تعتبر النموذج الأمثل للجماعة الأولية التي يتفاعل الطفل مع أعضائها وجهاً لوجه ويتوحد مع أعضائها ويعتبر سلوكهم سلوكاً نموذجياً.

جـ– كما تتميز الأساليب النفسية والاجتماعية التي تتبعها الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية بسمات محددة أهمها الاستجابة لسلوك الطفل مما يؤدى إلى إحداث تغير في هذا السلوك والثواب المادي أو المعنوي حيث تثيب الأسرة الطفل على السلوك السوى وتعززه في مقابل العقاب المادي أو المعنوي حيث تعاقب الأسرة الطفل على السلوك غير السوى، فضلاً عن المشاركة في المواقف والخبرات الاجتماعي المختلفة بغرض تعليم الطفل السلوك الاجتماعي وأخيراً التوجيه المباشر الصريح لسلوك الطفل وتعليمه المعايير الاجتماعية للسلوك والأدوار والقيم والاتجاهات ....الخ[٣٠].

لكن الذى تجدر الإشارة إليه أن العلاقات داخل الأسرة والتفاعل الأسرى يمثل المناخ الاجتماعي الذى ينشأ فيه الطفل، ويتأثر به نمو وتطور شخصية الطفل، ويدرك الطفل كل الأفعال والاتجاهات المحيطة به، ويعمل على استدماجها ذاتياً، كما أن كثيراً من أنواع السلوك مثل طريقة الحديث والتفكير والعدوان والأخلاقيات يكتسبها الطفل عن طريق عملية التقليد التي تعتبر جزءاً هاماً من عملية التعلم، فالطفل يكتسب خبراته المبكرة من الجماعات الاجتماعية التي يتواجد فيها، ومن أهم هذه الجماعات

الأسرة[٣١]. لذلك فإن صورة الذات عند الطفل تكون انعكاساً لشعور الأسرة نحوه كعضو مهم فيها، وعلى هذا فإن فكرة الطفل عن نفسه وعن الناس من حوله بل وعن العالم أيضاً تتأثر بطريقة مباشرة باتجاهات وقيم الأسرة ومعتقداتها ومعاييرها وبكل الثقافة والحضارة التي تمثلها والطبقة الاجتماعية التي تنتمى إليها، وعلى ذلك فالأسرة هى التي تحول الطفل من مجرد كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي يشعر بذاته وأنه مستقل عن ذوات الآخرين. ومن ثم فإن تأثير الأسرة كما يقول ماكيفر وبيج خلال فترة الطفولة يحدد بصفة أساسية بناء شخصية الطفل[٣٢].

٣ـ أهمية الضبط الاسرى وتطور الاهتمام به :

لقد نال موضوع الضبط الاسرى عناية الكثير من علماء الاجتماع منذ أن قرر ابن خلدون أن الضبط الاسرى أساس للحياة الاجتماعية ، وضمان لأمنها ، واستمرار لبقائها . فيقول ابن خلدون أن الاجتماع الإنساني ضروري ، حيث أن الإنسان مدني بطبعه أي لابد من الاجتماع الذى هو المدينة ، ثم أن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر – ومن ثم عمران العالم بهم – فلابد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان ، والظلم، ويقول في موضع آخر أنه لابد للبشر من الحكم الوازع أي الحكم شرع مفروض من عند الله يأتي به واحد من البشر ، وانه لابد أن يكون متميزاً عنهم بما يودع الله فيه من خواص هدايته ليقع التسليم له والقبول منه، حتي يكون فيهم وعليهم من غير إنكار ولا تزييف [٣٣] .

ومن العلماء الذين اسهموا في دراسة عملية الضبط الاسرى والاجتماع القانوني مونتسكيو Montesquieu في كتابة روح القوانين

حيث أشار إلى أن لكل مجتمع قانونه الذى يتلاءم مع بيئته الطبيعية والاجتماعية . أي انه أكد على العلاقة بين القانون ، والضبط ، والظواهر الاجتماعية ، والنظم . وتتألف من هذه العلاقة روح عامة تؤثر على السلوك الاجتماعي وتضبط التصرفات ، وتؤثر على المؤسسات والمنظمات الاجتماعية والقانونية[٣٤] . وقد زاد الاهتمام بموضوع الضبط الاسرى على يد عالم الاجتماع الأمريكي إدوارد روس Edward Ross حيث أكد على أهمية الضبط الاسرى في الحياة الاجتماعية، وحفظ كيان المجتمع . ثم تطورت دراسة الضبط في الفترة الأخيرة بازدياد الأبحاث التي أجريت على الجماعات وعمليات التفاعل الاجتماعي. وما تمخضت عنه هذه الأبحاث من إبراز لموضوعات جديدة في علم الاجتماع ، كمستويات الفعل الاجتماعي ، والمعايير الاجتماعية، والقيم والقواعد العامة للسلوك [٣٥] . لذا رأي علماء لاجتماع أن الضبط الاسرى اصبح في الواقع مرادفا للتنظيم الاجتماعي Social Organization على أساس أن التنظيم الاجتماعي يشير إلى كافة القيود والأنماط التي يتولد عنها الانضباط والنظام الاجتماعي ، وإن كان الضبط الاسرى يقتصر في أكثر أشكاله شيوعا على التأثير الناجم عن الأجهزة الرسمية [٣٦] . كما أهتم علماء الاجتماع بربط الضبط الاسرى ربطاً وثيقا بالثقافة ، وجعلوا من العسير دراسة الضبط الاسرى بعيدا عن علم اجتماع الثقافة . مثال ذلك أن جورفيتش Gorfetch يري أن الضبط هو مجموع الأنماط الثقافية التي يعتمد عليها المجتمع ككل في ضبط التوتر والصراع . فالضبط إذن وسيلة اجتماعية أو ثقافية تفرض عن طريقها قيودا

منظمة على السلوك الفردي أو الجماعي بهدف مسايرة السلوك لقيم وتقاليد المجتمع (٣٧) .

٤ ـ أشكال الضبط :

لما كان الضبط الاسرى هو القوة التي بها يمتثل الأفراد لنظم المجتمع الذى يعيشون فيه ، فأن وسائل الضبط وأشكاله تختلف من مجتمع لآخر ، بل وفي نفس المجتمع باختلاف الزمان والمكان . فالضبط في المجتمعات الشرقية المحافظة يختلف عن الضبط في المجتمعات الغربية المتحررة ومن الممكن أن تختلف وسائل الضبط وأشكاله داخل المجتمع الواحد . فالضبط في صعيد مصر يكون عادة أكثر صرامة وشدة من الوجة البحري . كما أن وسائل الضبط في العصور الماضية غيرها في العصور الحديثة من حيث درجة الشدة والصرامة . وعلى هذا يري علماء الاجتماع أن للضبط شكلين رئيسين هما :

أ ـ الضبط القهري Coercive Control

وينشأ هذا الشكل من الضبط بناءً على فاعلية القانون والحكومة والقرارات واللوائح التنظيمية سواء داخل المجتمع أو الجماعات ، ويصاحب عادة بالقوة أو الخوف من استخدام القوة . فأنماط السلوك الرادعة في حالات الجريمة إنما هى نوع من الضبط القهري الذى يمارسه المجتمع لمنع الجريمة وردع الآخرين عن اقتراف السلوك الذى يتنافي مع القيم والمعايير الاجتماعية .

ب – أما عن الضبط المقنع Persuasive Control

فيحدث من خلال مختلف التفاعلات الاجتماعية والوسائل الاجتماعية التي تقنع الأفراد بالالتزام بقيم المجتمع وقوانينه، وذلك بناء على

الانتماء إلى الجماعة وعمليات التطبيع الاجتماعي منذ الصغر والتعود على قيم الطاعة والمسايرة للمعايير الاجتماعية السائدة داخل المجتمع . وعادة ما يكون الجزاء الاجتماعي على هذا النوع من الضبط الاسرى جزاء معنوياً، بمعني أن الخروج على قيم المجتمع يقابل من أفراد المجتمع بالنبذ والاستهجان أو البعد عن الأفراد غير الملتزمين .

كما قد يكون الضبط الأسرى مباشراً كما هو الحال في القوانين المكتوبة أو غير مباشر كما يتمثل في التوقعات العامة والعادات والتقاليد غير المكتوبة (٣٨).

٥ ـ وسائل الضبط الاسرى:

من أهم وسائل الضبط الاسرى والأكثر انتشاراً في المجتمعات الإنسانية على اختلاف نوعيتها مع اختلاف درجة شدة تلك الوسائل فهي على النحو التالي :

- **العرف** Mors :

يمثل العرف أهم أساليب الضبط الاسرى الراسخة في المجتمع باعتباره أهم الطرق والأساليب التي توجدها الحياة الاجتماعية تدريجياً فينمو مع الزمن ويزداد ثبوتاً وتأصلاً . ويخضع للعرف الأفراد داخل المجتمع لأنه يستمد قوته من فكر الجماعة وعقائدها ، كما أنه متأصل مع رغبات الجماعة وظروف الحياة المعيشية ، وإلا لما استقر زمناً طويلاً في المجتمع . والأعراف غالباً ما تستخدم في حالة الجمع لأنها طرق عمل الأشياء التي تحمل في طياتها عنصر الجبر والإلزام لأنها تحقق رفاهية الجماعة . وبالتالي فهى تأخذ شكل المحرمات Taboos التي تمنع فعل أشياء معينة أو ممارسة معينة (٣٩) . ولذلك تدين

أعرافنا واد البنات ، واكل لحوم البشر ، وزواج المرآة برجلين في وقت واحد. وقد ذكر سابير Sapir أن اصطلاح العرف يطلق على تلك العادات التي تتضمن درجة مرتفعة من الشعور بالصواب أو الخطأ في أساليب السلوك المختلفة . والعرف عند أى جماعة هو أخلاقياتها غير المصاغة وغير المقننة كما تبدو في السلوك العلمي (٤٠) .

بناءً على ذلك يعني العرف المعتقدات الفكرية السائدة التي غرست نفسياً لدى أفراد المجتمع ويمارسونه حتى يصبح أمراً مقدساً بالرغم من انتقاء قيمته أحياناً (هذا ما جري عليه العرف) (وده في عرفنا كده)، وهو اقوي في تأثيره على سلوك الأفراد من العادات والتقاليد .

ـ العادات والتقاليد :

العادات ظاهرة اجتماعية تشير إلى كل ما يفعله الناس وتعودوا على فعله بالتكرار، وهى ضرورة اجتماعية إذ تصدر عن غريزة اجتماعية وليست عن حكومة أو سلطة تشريعية وتنفيذية ، فهي تلقائية لان أعضاء المجتمع الواحد يتعارفون فيما بينهم على ما ينبغي أن يفعلوه وذلك برضاء جميع أعضاء المجتمع . والعادة قد تكون فردية مثل عادات الإنسان اليومية في المآكل والملبس وعادات النوم والاستذكار وغيرها . وأما العادة الجمعية فهي التي يتفق عليها أفراد الجماعة وتنتشر بينهم مثل عادات المصريين في الأعياد والمواسم الدينية، وأما عن التقاليد فهي خاصية تتصف بالتوارث من جيل إلى جيل ، وتنبع الرغبة في التمسك بها من أنها تأتينا من أسلافنا وآبائنا فيورثوها لنا باعتبارها نافعة ومفيدة.

إن ثمة اختلافاً بين العادات والتقاليد يتمثل في أن العادات الاجتماعية أنماطاً سلوكية ألفها الناس وارتضوها على مر الزمن ويسيرون على هديها ويتصرفون بمقتضاها دون تفكير فيها. وهى تختلف من مجتمع لأخر وفقاً لظروفه و خصائصه التي تميزه . والعادات الاجتماعية لا تنشا من خلال قيام شخص واحد بعمل معين مرة واحدة ، بل أن السلوك لكي يصبح عادة اجتماعية يجب أن يتكرر وينتشر فيصبح نمطاً للسلوك في مجتمع معين . أما التقاليد فهي أنماط سلوكية ألفها الناس ، ويشعرون نحوها بقدر كبير من التقديس ولا يفكرون في إمكانية العدول عنها أو تغييرها [٤١] .

- **عملية التنشئة الاجتماعية :**

وهى العملية التي تشكل الفرد منذ مراحل الطفولة المبكرة وتعده للحياة الاجتماعية المقبلة التي سيتعامل فيها مع آخرين من غير أسرته . فالتنشئة الاجتماعية تعلم الطفل قيم المجتمع ومعاييره الأساسية التي سيشترك فيها مع غيره عندما ينضج [٤٢] .

ولقد أثبتت الدراسات أن الطفل يتأثر بالوراثة من والديه التي لا تنتهي بالمولد، ولكن بالتقليد والمحاكاة يبدأ الطفل في بناء شخصيته بعد أن أنعكس أمامه كل ما حوله من مؤثرات اجتماعية . ومن هنا كانت أهمية التنشئة في تشكيل العادات وتهذيبها وفي هذا يبين جولد سميث Gold Smith أهمية الدور الذى تلعبه المدرسة في تنشئة الطفل وتربيته حيث يتعلم الطفل في المدرسة احترام نفسه واحترام الآخرين ، كما يتعلم ضبط نفسه . وفي المدرسة يجد النمط المثالي التالي

لنمط والديه متمثلاً في المدرس فيطيعة، فيغرس فيه المدرس عادة الطاعة والاحترام وبذور الحكمة ، وهكذا تصبح التربية أداة أخلاقية في يد المجتمع لضبط الأفراد(٤٣) .

- القانون Law :

يعتبر القانون أعلي أنواع الضبط الاسرى دقة وتنظيماً وللقانون مميزاته الخاصة عن بقية الضوابط الأخرى إذ أنه أكثرها موضوعية وتحديداً ، كما ينطوي على عدالة في المعاملة التي لا يفرق فيها بين أفراد المجتمع . فالثواب والعقاب صنوان في القانون ، وهدف الجزاء والعقاب الذى يضعه القانون هو الردع أو منع وقوع جريمة أو ارتكاب الخطأ . كما أن هناك فائدة أخرى للقانون إذ يتضح أنه بمثابة سياج على الحريات الفردية . ومن ناحية أخري فإنه يحدد العقوبات وفقاً للخطورة التي يأتيها الخارجون عليه من ناحية ووفقا لمدى جذب الجريمة للمجرم من ناحية أخري .

وباختصار فإن القانون كضابط اجتماعي ينطوي على جميع الآليات التي تؤهله لمنع الانحراف وعقاب المنحرف نظرا لقوته الإلزامية فيه ونصوصه الواضحة والمحددة التي توقع الجزاء على من يخالفه .

٦ ـ فاعلية الضبط الاسرى للأبناء :

عندما يحاول المجتمع أو الجماعة أن توقف الفرد عن إتيان فعل معين فإنما يقابل ذلك الفعل بنوع من السخط والاستهجان من قبل أفراد المجتمع ، أي أن سياسته في ذلك هي الرفض الأخلاقي ، وبالتالي توجد مجموعة من القوى التي يستطيع بها المجتمع الحفاظ على توازنه، وتتمثل هذه القوى في الشعور الجمعي الذي يثير التعاطف Sympathy والشعور بحب الاجتماع بالآخرين Sociability والشعور بالعدل الذي يساعد الفرد على ضبط سلوكه بذاته ، ومن ناحية أخرى يصبح الشعور الجمعي بمثابة الرقيب الأساسي على سلوك الفرد، واتفاق ذلك السلوك مع معايير الجماعة ونظمها، لذا نلاحظ وجود أنواع كثيرة من المحرمات تسود مجتمع الإنسان ، فتحريم السرقة مثلا يعتبر من أهم معايير الجماعة التي تعمل على تكاملها ، أما عدم الامتثال لتلك المعايير فإنه خطر يهدد تكامل الجماعة ووحدتها . ومن ثم تعمل الجماعة على تعديل مسار الممتثلين لكي يسيروا في نفس خط معايير الجماعة ، وبهذا تصبح الجماعة عاملا من عوامل تكوين سلوك الأعضاء حيث تمارس ضغوطها ، ولا تشكل الجماعة السلوك فقط وإنما تعمل أيضا على تقييد السلوك وقمعه أحيانا ، واستنادا إلى أراء دوركايم فإن أساس حياة الجماعة هو أن تقوم بتقييد الفرد أو أن تلزمه بقوة اضطرارية ويكون فعلها بمثابة القوة المحافظة على تكامل الجماعة ذاتها . وفي هذا الصدد يذهب روس Ross إلى أن الأوامر الاجتماعية، إنما تكيف من مكوناتها حسب أهمية الحاجة ، وخاصة مع تلك المعتقدات الشعورية Rites التي تكون مرتبطة بها عن طريق عمليات خفيه وبطيئة التغير في الوقت ذاته ،

كما أن تلك الأوامر الاجتماعية تحاول أن تغير من نفسها كي تتفق والسلطة الممارسة ؟ وكل هذه العمليات متضمنة في الضبط الأسرى . والجدير بالذكر هنا أن مكونات الضبط الاسرى تتغير مع تغيرات الزمان ، وكذلك مع اختلاف المجتمعات ، كما تتغير أيضا تبعا لتغير مستويات القوانين والمعايير الأخلاقية السائدة في المجتمع بهدف تحقيق الرفاهية الاجتماعية والتوازن في البناء الاجتماعي ، ولذلك فثمة تنظيم دائم ومستمر لأدوات الضبط في المجتمع حتى يرفع من قيمة تلك الأدوات ، وتحاول كل من الأوامر الأخلاقية والقانونية التي تعتبر ضمن أدوات الضبط تحقيق هذه الغاية . كما يعد صراع الأفراد بمثابة اختبار للقوانين وقدرتها في حكمهم عليها وامتثالهم لها ، وكذلك يلعب الشعور الجمعي دوره الكبير في إبراز أهمية القانون ، ثم يذهب روس إلى أن الضبط الاسرى الذي يعطى الحق بقيمة اجتماعية معينة ، إنما يمثل كل أفعال المجتمع من ضغط وسيطرة وقهر ، وعلى الطرف النقيض فلا يشعر الأفراد بهذا الضبط لأنه مرن وليس جامدا – لأنه يمكن تغيير أدواته وفق الزمان والمكان – ورغم كل هذا نجد أن أفراد المجتمع منقسمون من حيث الإيمان به والاعتقاد فيه ، إلى مجموعات ، يحدده البعض ويثق فيه الآخرون أكثر من ثقتهم بأنفسهم ، وهؤلاء يمثلون الغالبية ، إذ يكفل لهم الضبط الاسرى من وجهة نظرهم حقوقهم ويساعدهم على التمتع بحرياتهم [٤٤] .

لذا فقد ظهر اتجاهان حول مدى الأثر الذي تتركه وسائل الضبط الأسرى في الحصول على مزيد من الامتثال داخل الجماعة أو المجتمع، وكل اتجاه قدم أمثلة تؤيد اتجاهاتهم الفكرية المختلفة :

الاتجاه الأول : يرى أن فاعلية الضبط الاسرى تتوقف على أدواته المختلفة ، أي أنه كلما زادت هذه الأدوات نفاذاً إلى الأفراد واصطبغت بالطابع الرادع في أكثر الأحيان ، ظهرت آثار الضبط الاسرى في التقليل من نسب الانحراف ذلك النوع الذي يكون فيه اعتداء جسيماعلى المعايير الاجتماعية ذات الطابع العام ، ويدعم مؤيدو هذا الاتجاه موقفهم الفكري بقولهم أننا نريد وسائل ضبط في المجتمع الحديث لها قوة القهر والإلزام التي كانت للوسائل العرفية في المجتمعات التقليدية أو البسيطة . وواضح أن هؤلاء يؤكدون على أهمية القانون وضرورة توسع نطاق وتحديد قواعده بحيث يكون صالحا لمواجهة أي انحراف مهما صغر في المجتمع رعاية للنظام والامتثال.

الاتجاه الثاني : والذي لا ينكر أهمية وسائل الضبط الاسرى في الوصول إلى درجة من الامتثال عالية ، ولكن مؤيديه يرون أن الفاعلية النهائية للضبط الاجتماعي تتوقف على طبيعة الجماعة من ناحية ، وعلى نمط التنشئة الاجتماعية من ناحية أخرى ، ولذلك يحاولون أن يركزوا أنظارهم على الظروف الجماعية التي قد تؤدى إلى الانحراف أو إلى الامتثال ومثال ذلك أنه كلما كانت الجماعة محببة إلى الفرد ازدادت فاعلية وسائل الضبط الاسرى في رد الفرد إلى طريق الجماعة المرسوم ، ومثال ذلك أن أحد عوامل انحراف الأحداث ترجع إلى أن ، الحدث لا يتطابق مع والديه ، ومن ثم لا يقدر عضويته في جماعته الأسرية ، لأن الأب هو رمز السلطة وعندما يعارض الطفل أباه فإنه غالبا ما يعارض كل رموز السلطة الأخرى مثل الشرطة والقضاء وحراس السجون ، وربما كانت معارضة الحدث لوالده تحدث طريقة

تجعل شعور الطفل يتحول بصفة عامة إلى نوع من الإحساس بأن المجتمع كله يقف ضده ، ومن ثم تنمو لديه اتجاهات العصيان ، ويصبح متأثرا بالرغبة في الانتقام .

كذلك تتوقف فاعلية الضبط الاسرى على استقلال الجماعة بمعنى أنه كلما زاد استقلال الجماعة قلت فرص الانحراف ، وزادت فاعلية الضبط، وقد دلل أنصار هذا الاتجاه قولهم هذا بدراسات مقارنة أجريت على عدد كبير من الجماعات والمجتمعات المحلية ، تمثل ثقافات مختلفة وتتدرج في درجة استقلالها ، كما أنهم أيضا نتيجة لدراساتهم لعدة جماعات مختلفة في البناء والوظيفة في مجتمع معين ، أن الأوامر المتعارضة تؤيد إلى العصيان أو الإحباط(٤٥) .

وفي الواقع أن الاتجاهين السالفين الذكر لا يصلح كل منهما على حدة لبيان العوامل الأساسية التي من شأنها أن تؤدى إلى فاعلية أكثر في وسائل الضبط الأسرى ، ذلك لأن الاعتماد على مجرد الوسائل للوصول إلى الامتثال داخل الجماعة دون معرفة بطبيعتها يؤدى إلى عدم إدراك الأداة المناسبة لانحراف معين أو لجماعة بعينها ، كما أن الاتجاه الآخر يركز اهتمامه على عملية التنشئة الاجتماعية ، وطابع الجماعة ينسى شيئا هاما وهو أن عمليات التنشئة الاجتماعية نفسها تعكس درجات متفاوتة من الضبط الأسرى ، وأن بناء الجماعة ووظيفتها يتضمن بالضرورة طريق الوصول إلى أهدافها وأسلوب الدفاع عنها ، ووسائل تذليل الصعوبات التي تقف في وجهها وهى كلها من غير شك أساليب في الضبط الأسرى .

وبالتالي فإن فاعلية الضبط الأسرى تتوقف على مزج دعاوى كلا الاتجاهين معا ، ويظهر هذا بوضوح في المجتمعات الحديثة التي تجعل من القانون أو نصوصه من تعديلات إنما يتم لمواجهة التغيرات التي تحدث في الجماعات المختلفة المكونة من المجتمع ، والمشرع الحديث يضع في اعتباره دائما ضرورة استقرار الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ليكون لتشريعه فاعلية ، ومن الأدلة على ذلك أن كثيرا من التشريعات ولدت ميته لأنها جاءت غير معبرة عن طبيعة الأحوال . والظروف الاجتماعية وغير متمشية مع حقيقة الظروف التي وضعت من أجلها وهنا مقاييس لزيادة فاعلية الضبط الأسرى وهى [٤٦] :

أ – إن أفضل أساليب الضبط هى الأساليب الداخلية ، وأن الوسيلة الخارجية كالعقاب لا يجب استخدامها إلا عند الحاجة القصوى التي لا مفر منها ، فالضبط عن طريق النموذج أفضل عن طريق الجزاءات .

ب – البساطة : أن طريقة الردع البسيطة تؤدى وظيفتها بصورة فعالة وسريعة دون مواجهة مشاكل .

جـ – التلقائية ، حيث أن أفضل أنواع الضبط ما ظهر أثناء اجتماع الناس وتفاعلهم .

د – الانتشار ، فانتشار الضبط هو الضمان الوحيد ضد تعطله وتوقف استخدامه .

رابعاً : دور المشروع القومي لتنمية الأسرة المصرية في مواجهة المشكلات الأسرية :

تم إطلاق المشروع القومي لتنمية الأسرة المصرية – والذى يعد الهدف الاستراتيجي العام لخطة تنمية الأسرة المصرية – في إطار جهود الدولة للارتقاء بجودة حياة المواطن والأسرة بشكل عام من خلال ضبط معدلات النمو المتسارعة، والارتقاء بخصائص السكان.

ويمثل المشروع خطة استراتيجية تم إعدادها من قِبل عدد من الوزرات والجهات، حيث تم تنظيم الاقتراحات ووضعها في إطار تنفيذي من خلال خمسة محاور رئيسية، تتمثل في [٤٧] :

١ ـ محور التمكين الاقتصادي:

يقوم على مخرجات برامج ٢ كفاية، وتكافل وكرامة، وفرصة، كما يستهدف تمكين السيدات في الفئة العمرية بين ١٨ – ٤٥ سنة من العمل وكسب الرزق والاستقلالية المالية، ومن خلال ذلك سيتم تمويل المشروعات الصغيرة والمتوسطة للسيدات اللاتي يلتزمن باستخدام وسائل تنظيم الأسرة وسيتم تدريبهن كذلك على عملية الإدارة.

٢ ـ محور التدخل الخدمي :

يهدف إلى خفض الحاجة غير المُلباة للسيدات من وسائل تنظيم الأسرة وإتاحتها بالمجان للجميع، وذلك من خلال ذلك تعيين طبيبات

مُدربة على وسائل تنظيم الأسرة، وتوزيعهن على المنشآت الصحية على مستوى الجمهورية.

٣ـ محور التدخل الثقافي والإعلامي والتعليمي :

يستهدف رفع وعي المواطن المصري بالمفاهيم الأساسية للقضية السكانية وبالآثار الاجتماعية والاقتصادية للزيادة السكانية . كما يتضمن المحور إضافة مكون تعليمي في المناهج المدرسية والجامعية لتوعية الطلاب.

٤ـ محور التحول الرقمي :

يهدف إلى بناء قاعدة بيانات متكاملة لخدمات تنظيم الأسرة حيث يتم السعي من خلالها للوصول الذكي للسيدات المستهدفات لتقديم الخدمة وتسهيلها ومتابعتها وتقييمها، بالإضافة إلى تدشين المرصد الديمغرافي لمتابعة كافة المؤشرات السكانية والاستعانة بها لصناعة القرار.

٥ـ المحور التشريعي :

تتم دراسة التعديلات المقترحة لقوانين: العقوبات، والأحوال المدنية، والطفل، والتعليم، والاستثمار، لآخذها في الاعتبار في المحور الخامس في المشروع، والخاص بالتدخل التشريعي حيث يستهدف وضع إطار تشريعي وتنظيمي حاكم للسياسات المتخذة لضبط النمو السكاني يهدف إلى التعامل مع بعض الظواهر المسببة لزيادة السكان كعمالة الأطفال وزواج القاصرات والزواج المبكر، وعدم تسجيل المواليد.

المراجع :

١) محمود فتحي عكاشة وآخرون، دراسات في الأسرة والمجتمع والبيئة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨، ص٣.

(٢) يسري سعيد، قراءات حول رعاية الأسرة والطفولة، مكتبة النصر، القاهرة، ١٩٩٣، ص٤.

Also: Emily M.boyd and Aaron Hoy , The Sociology of Families Reader: Issues , Perspectives, and Debates , UNIV READERS,2023, p.3 : https://www.google.com.eg/books/edition/The_Sociology_of_Families_Reader_Issues/z5IW0AEACAAJ?hl.

(٣) غريب سيد أحمد وآخرون، دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥، ص١٧.

(٤) أمير منصور، المدخل الاجتماعي للسكان والأسرة ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦، ص ص٥٥-٥٦.

(٥) نفس المرجع السابق ، ص٥٦.

(٦) محمد عاطف غيث وآخرون، المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩١، ص١٧٨.

(7) Marina A.Adler and Karl Lenz , The Changing Faces of Families : Diverse Family Forms in Various Policy Contexts , Routledge Studies in Family Sociology , Routledge ,New York,2023 , pp 10-21.

https://www.google.com.eg/books/edition/The_Changing_Faces_of_Families/Y3y6EAAAQBAJ?hl=ar&gbpv=1&dq=sociology+of+family+2022&pg=PA2039&printsec=frontcover.

(٨) أمير منصور، مرجع سابق، ص ص١٢٤-١٢٥.

(٩) يسري سعيد ، مرجع سابق، ص ٨٦ .

(١٠) نفس المرجع السابق، ص ص ٨٦-٨٧.

(١١) أمير منصور، مرجع سابق ، ص ص ١٢٦ – ١٢٧ .

(١٢) محمد عاطف غيث، إسماعيل على سعد، المشكلات الاجتماعية، دراسات نظرية وتطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠، ص ص ١٦١-١٦٢ .

(١٣) علياء شكري، الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٢، ص ١٢٩ .

(١٤) نفس المرجع السابق، ص ص ١٢٩-١٣٠ .

(١٥) محمد عاطف غيث، إسماعيل على سعد، مرجع سابق، ص ص ١٦٢-١٦٤ .

(16) Walter S. DeKeseredy , Violence Against Women: Myths, Facts, Controversies , University of Toronto Press ,Canada , 2011, p.93.

(١٧) سمية سيف الدين، واقع العنف ضد المرأة في الوطن العربي ، مركز دراسات المرأة الجديدة، القاهرة ، ٢٠٠٣ .

(١٨) علياء شكري، قضايا المرأة المصرية بين التراث والواقع، دراسة للثبات والتغير الاجتماعي والثقافي، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة ، ط ١، ٢٠٠٣، ص ٢٤٧ .

(19)United Nations, Ending Violence Against Women: From Words to Action, United Nations Publications ,New York ,2006 ,p.31.

(20)Walter S. DeKeseredy, Violence Against Women,op.cit.93.

(21)Claire M. Renzetti and Raquel Kennedy Bergen(eds.) , The Emergence of Violence Against Women as a Social Problem , Rowman & Littlefield Publishing Group ,Inc,USA,2005,pp.1-15.

(22)Ibid,p.109.
(23)Krim K. Lacey, Melnee Dilworth McPherson and others , The Impact of Different Types of Intimate Partner Violence on the Mental and Physical Health of Women in Different Ethnic Groups, Journal of Interpersonal Violence, January 2013; vol. 28, 2,USA, pp. 359-385: http://jiv.sagepub.com/content/28/2/359.abstract.
(24)World Health Organization , Media Center, Violence against women, November 2012: http://www.who.int/mediacentre/factsheets/fs239/en/index.html.
(25)Patrizia Romito , A Deafening Silence: Hidden Violence Against Women and Children, Policy Press ,University of Bristol, www. Policy Press.org.uk , UK,2008, pp.155-176.

٢٦- أحمد زكى بدوى ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٦، ص ٣٨٣.

٢٧- غريب سيد أحمد وآخرون ، المدخل إلى علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٦ ، ص ٢٤٩ .

٢٨- روبرت ماكيفر ، وشارلز ، المجتمع ، ترجمة على أحمد عيسى ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٤٤ – ٤٥.

٢٩- محمد سعيد فرح، البناء الاجتماعي والشخصية ، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨ ، ص ص ٢٤١-٢٤٢.

٣٠- حامد زهران، علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٧، ص ص ٢٢٣-٢٢٤.

٣١- فاروق العادلي، الأنثروبولوجيا التربوية، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٩٨١، ص ٢٤١.

٣٢- ماكيفر وبيج، المجتمع، الجزء الأول. ترجمة السيد محمد العزاوى وآخرين مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧١، ص ٤٦٦.

٣٣- عبد الرحمن بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، تحقيق وشرح على عبد الواحد وافى ، الجزء الأول ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، د . ت ص ٣٣٧ – ٣٣٩ .

٣٤- عبد الهادي والى ، التنمية الاجتماعية : مدخل لدراسة المفهومات الأساسية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٣ ، ص ١٢٧ – ١٢٨ .

٣٥- عاطف غيث ، المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٤ ، ص ١٩٠ .

٣٦- ميشيل مان ، موسوعة العلوم الاجتماعية ، ترجمة عادل الهوارى ، وسعد مصلوح ، مكتبة الفلاح ، العين ، ١٩٩٤ ، ص ٦٥٦ .

٣٧- محمد عاطف غيث (تحرير) قاموس علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٥ ، ص ٤١٨ – ٤١٩ .

٣٨- غريب أحمد وآخرون ، المدخل إلى علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص ٢٤١ – ٢٤٣ .

٣٩- فوزية دياب ، القيم والعادات الاجتماعية (مع بحث ميدانى للعادات الاجتماعية) ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة ، ١٩٩٦ ، ص ١٩٢.

– **Also**:– Young , K,& Mack, R., Sociology and Social life, AMERCIAN Book Company N . Y ., 1963 , P 66 – 70.

40- historical Lengermann , P ., Definitions of Sociology approach), E. merril P PUBLISHING CO., 1974 , PP . 145 – 146.

٤١- نبيل السمالوطي ، نظرية علم الاجتماع في دراسة الثقافة ، (دراسة نظرية وتطبيقية) . دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ٢٨٠ .

٤٢- عاطف غيث ، المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي ، مرجع سابق ص ١٩٢ .

٤٣- غريب سيد أحمد وآخرون ، المدخل إلى علم الاجتماع ، مرجع سابق، ص ٢٦٠ – ٢٦١ .

٤٤- المرجع السابق ، ص ص ١٧٠ – ١٧١ .

٤٥- عاطف غيث ، المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي ، مرجع سابق، ص ص ٢١١ – ٢١٣ .

٤٦- عبد الله الرشدان ، علم الاجتماع التربية ، دار الشروق ، عمان ، ١٩٩٨ ، ص ٢٠٩.

٤٧- الهيئة العامة للاستعلامات ، المشروع القومي لتنمية الأسرة المصرية ، ٢٠٢٣/٢/٣ : https://beta.sis.gov.eg/ar/%D9%85%D8%B5%D8%B1/%D8.

أسئلة فصل مشكلات الأسرة المصرية في مجتمع متغير

م	السؤال	الإجابة	
١	أخطر أنواع العنف ضد المرأة هو العنف القانوني.	√	X
٢	جنوح أبناء الاسرة التي يسودها العنف من التأثيرات الاجتماعية للعنف ضد المرأة.	√	X
٣	هناك علاقة طردية بين مدى التسامح داخل الأسرة والتفكك الأسري.	√	X
٤	زاد الاهتمام بموضوع الضبط الاسرى على يد عالم الاجتماع الأمريكي إدوارد روس.	√	X
٥	تؤدي الكوارث الداخلية التي تؤدي إلى إخفاق متعمد في أداء الأمور داخل الأسرة.	√	X
٦	يعد القانون أكثر وسائل الضبط الأسري موضوعية وتحديداً.	√	X
٧	من أكثر أسباب تصدع الأسرة وضوحاً حيرة المرأة وقلقها.	√	X
٨	يعتبر العرف أعلي أنواع الضبط الاسرى.	√	X
٩	يبدأ التفكك الأسري إذا توقف التفاعل بين الزوجين .	√	X
١٠	تتألف الأسرة الممتدة من الزوج والزوجة والأطفال .	√	X
١١	كلما زاد استقلال الجماعة قلت فرص الانحراف.	√	X
١٢	حرمان المرأة من الاستقلال الاقتصادي من أشكال العنف النفسي ضد المرأة.	√	X
١٣	كل عرف اجتماعي ، وكل مظهر من مظاهر السلوك العام هو بدرجة ما وسيلة للضبط الاجتماعي .	√	X
١٤	أول مرحلة من دورة حياة الأسرة هي مرحلة الإعداد للزواج.	√	X
١٥	القانون من وسائل الضبط الأسري المباشرة.	√	X
١٦	العادات والتقاليد من وسائل الضبط الأسري.	√	X

١٧	ينطلق المشروع القومي لتنمية الأسرة المصرية من خمسة محاور رئيسية.	√	X
١٨	تعد الخيانة الزوجية من المشكلات الاجتماعية للأسرة.	√	X
١٩	ظاهرة العنف ضد المرأة من أهم معوقات مشاركة المرأة في التنمية.	√	X
٢٠	رأى ابن خلدون أن الضبط الاسرى أساس للحياة الاجتماعية	√	X
٢١	أي تعريف مقبول للأسرة يجب أن يأخذ في اعتباره كلاً من الجانبين الاجتماعي و البيولوجي .	√	X
٢٢	ميز " ميردوك Murdock " بين ثلاثة أنماط للأسرة	√	X
٢٣	تعد الأسرة مصدر الأخلاق والدعامة الأولي لضبط السلوك.	√	X
٢٤	تعد الأسرة جماعة أساسية	√	X
٢٥	العنف ضد المرأة ظاهرة محلية	√	X

إجابات الأسئلة

رقم السؤال	الإجابة
١	خطأ
٢	صح
٣	خطأ
٤	صح
٥	خطأ
٦	صح
٧	صح
٨	خطأ
٩	صح
١٠	خطأ
١١	صح
١٢	خطأ
١٣	صح
١٤	خطأ
١٥	صح
١٦	صح
١٧	صح
١٨	خطأ
١٩	صح
٢٠	صح
٢١	صح
٢٢	خطأ
٢٣	صح
٢٤	صح
٢٥	خطأ

٢٠٢٥

صندوق
مكافحة وعلاج
الإدمان والتعاطي

أبعاد وتداعيات ظاهرة التعاطى والإدمان

الفهرس

ظاهرة التعاطي والإدمان في السياق العالمي والمحلي	٢
جهود الدولة المصرية في مكافحة ظاهرة تعاطي وادمان المواد المخدرة	٨
خطورة الإدمان وآثاره	١٤
الأبعاد القانونية والتشريعية لمكافحة التعاطي والإدمان	٣٦
المصادر	٤٥

ظاهرة التعاطي والإدمان في السياق العالمي والمحلي

أولاً: المخدرات كظاهرة عالمية

تُعَدّ مشـكلة المخدرات من أبرز التحديات التي تواجه العالم المعاصـر، فهي ليسـت مجرد مواد مجرَّمة قانونًا أو خطيرة صحيًا، بل هي **ظاهرة اجتماعية عالمية** تمس حياة ملايين البشر، ولا تتوقف آثارها عند الفرد المتعاطي، بل تمتد إلى الأسرة، المجتمع، الاقتصاد، وحتى الأمن الدولي.

- **فمن الناحية الصحية:** تسبّب أمراضًا جسدية خطيرة (الأمراض المعدية مثل HIV والتهاب الكبد الوبائي) وأمراضًا نفسية (مثل الاكتئاب والذهان ومحاولات الانتحار).
- **من الناحية الاجتماعية:** تؤدي إلى انهيار الروابط الأسـرية، وارتفاع نسـب الطلاق، وظهور سلوكيات منحرفة.
- **من الناحية الاقتصـادية:** تكلف الدول والحكومات المليارات سـنويًا في العلاج والعدالة الجنائية والسجون.
- **من الناحية الأمنية:** تجارة المخدرات تموّل جماعات الجريمة المنظمة والإرهاب، وتزعزع استقرار الدول.

وبمطالعة التقرير العالمي للمخدرات الصـادر عن مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة (UNODC) في يونيو ٢٠٢٥ يتبين الحقائق التالية:

- وصـل عدد متعاطي المواد المخدرة حول العالم لما يقرب من ٣١٦ مليون شـخص عام ٢٠٢٣ أي ما يعادل ٦٪ من عموم السكان في الفئة العمرية ١٥–٦٤، وهي النسبة الأعلى تاريخياً منذ بدء الرصد الإحصائي، وبما يمثل زيادة قدرها ٢٠٪ خلال العقد الأخير.

- يعاني ٦٤ مليون شـخص على مسـتوى العالم من اضـطراب تعاطي المخدرات (الإدمان)، منهم ١٤ مليون شخص يتعاطون بالحقن.
- وتم تسجيل ما يقرب من ٥٠٠ ألف حالة وفاة مباشرة مرتبطة بالمخدرات سنويًا.
- تواصل مشكلة المخدرات الاصطناعية أو التخليقية (Synthetic Drugs) تفاقمها غير المسبوق عالميًا، لاسـيما وأن هذا النوع من المخدرات يتسـم بالخطورة الشـديدة فبعض أنواع من المخدرات التخليقية يصل تأثيرها الضار إلى ٥٠٠ ضعف تأثير الهيروين.
- أظهر التقرير وجود فجوة عالمية ملحوظة في توفير الخدمات العلاجية لمرضـى الإدمان حيث لا تتاح الخدمات العلاجية إلا لـ ١ من كل ١٢ مريض إدمان عالميًا (حوالي ٨٪ فقط) وتقل النسبة للإناث حيث تتاح الخدمة لـــ ١ من كل ١٧ مريضة، وبالمقابل تقدم مصر نموذجًا إيجابيًا عبر منظومة العلاج المجاني والسري وذات الجودة العالية لصندوق مكافحة وعلاج الادمان والتعاطي.

هذه الأرقام تكشـف حجم المشـكلة وتوضـح سـبب كون قضـية المخدرات أولوية على أجندة المنظمات الدولية والحكومات، وتؤكد أهمية دراسـة هذا البعد الدولي للقضـية خاصـة وأن فهم هذه الظاهرة يسـاعد الطلاب على اسـتيعاب التحديات التي تواجه المجتمعات، ويدعم بناء وعي علمي رصـين حول مخاطر التعاطي والإدمان.

كما أن الشـباب هم الأكثر عرضـة للتجربة والتعاطي، وغالبًا ما تبدأ أنماط الإدمان في هذه المرحلة العمرية كما أن الوعي بالمخاطر يسـاهم في بناء حصـانة شـخصـية وجماعية ضـد الظاهرة لاسـيما وأن الجامعات بيئة مثالية لتعزيز ثقافة الوقاية، فالتعليم لا ينفصل عن الصحة والتنمية.

ثانياً: الإطار القانوني الدولي للمخدرات

التعريف القانوني الدولي للمخدرات:

المخدرات هي كل مادة طبيعية أو مصـــنعة، مدرجة في جداول المراقبة الدولية بموجب اتفاقيات الأمم المتحدة وهي تؤثِّر في العمليات الذهنية كالإدراك والوعي والمعرفة أو المزاج والانفعالات؛ وتشـــمل هذه المواد: القنّب (الحشـــيش)، الأفيونيات (مثل الهيروين والترامادول)، الكوكايين، المؤثرات العقلية (مثل الأمفيتامينات والإكستاسي)، تشمل المخدرات أيضاً العقاقير الطبية (مثل المورفين) حيث تخضـع للرقابة بسبب إمكانية إساءة استخدامها.

الاتفاقيات الدولية الرئيسية لمراقبة المخدرات

يرتكز النظام العالمي لمراقبة المخدرات على ثلاث اتفاقيات رئيســية للأمم المتحدة، والتي توفر الأســاس القانوني للتعاون الدولي وتوجّه التشريعات الوطنية للدول الأعضاء وهي:

١. **الاتفاقية الوحيدة للمخدرات لسـنة ١٩٦١:** شـكلت هذه الاتفاقية، بصـيغتها المعدلة ببروتوكول ١٩٧٢، حجر الزاوية في النظام الرقابي، حيث أرسـت مبدأً أسـاسـيًا وهو حصـر اسـتخدام المواد المخدرة في الأغراض الطبية والعلمية فقط، وقامت الاتفاقية بتصـــنيف المواد في أربعة جداول بناءً على تقييم مدى قابليتها لإحداث الاعتماد مقابل قيمتها العلاجية.

٢. **اتفاقية المؤثرات العقلية لسـنة ١٩٧١:** جاءت هذه الاتفاقية اسـتجابةً للانتشـار المتزايد للمواد ذات التأثير النفسي التي لم تكن مشمولة في اتفاقية ١٩٦١.

٣. **اتفاقية مكافحة الاتجار غير المشـروع لسـنة ١٩٨٨:** وضـعت إطارًا للتعاون الدولي لمكافحة الجرائم المنظمة وغسل الأموال المرتبطة بالمخدرات.

وتشـــرف على تطبيق هذه الاتفاقيات هيئات دولية رئيســـية، أبرزها لجنة المخدرات (CND) كهيئة تشـــريعية تابعة للأمم المتحدة، والهيئة الدولية لمراقبة المخدرات (INCB) كهيئة رقابية مســـتقلة، بالإضافة إلى منظمة الصحة العالمية (WHO) التي تقدم التقييمات العلمية والطبية للمواد.

ثالثاً: المخدرات وأهداف التنمية المستدامة SDGs

- **أهداف التنمية المســـتدامة:** هي ١٧ **هدفًا عالميًا** وضـــعتها الأمم المتحدة عام ٢٠١٥ كخطة عمل حتى عام ٢٠٣٠ لتحقيق تنمية عادلة وشاملة لا تضر بالبيئة أو بحقوق الأجيال القادمة؛ وتشمل هذه الأهداف مجالات مثل الصـحة، والتعليم، والمسـاواة بين الجنسـين، والعمل اللائق، والعدالة، والمناخ، وحماية الموارد الطبيعية.
- ويرتبط الهدف ٣,٥ مباشـرة بمشـكلة المخدرات حيث يركز صـراحةً على "تعزيز الوقاية والعلاج من تعاطي المواد بما في ذلك إساءة استعمال المخدرات.
- كما ترتبط بشـكل غير مباشـر بأهداف أخرى مثل الهدف ٤ (التعليم الجيد) حيث إن التعاطي يرفع نسـب التسـرب من التعليم، والهدف ٨ (العمل اللائق والنمو الاقتصـادي) حيث إن الإدمان يخفض الإنتاجية، والهدف ١٦ (السلام والعدل) حيث إن الاتجار بالمخدرات مرتبط بالجريمة المنظمة.
- هذا يضـــع مكافحة المخدرات في قلب أجندة التنمية الدولية، جنبًا إلى جنب مع الصـــحة، والتعليم، والعدالة الاجتماعية حيث تقوض مشـكلة المخدرات بشـكل مباشـر وغير مباشـر التقدم نحو تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

رابعاً: التحديات الدولية المعاصرة للمخدرات وتأثيراتها على الشباب

- تعتبر فئة الشباب هي الفئة الأكثر عرضـة لمشكلة التعاطي والإدمان عالميًا، فالأعم الأغلب من مرضـى الإدمان بدأوا مرحلة التعاطي في هذه السن.

- تعتبر فئة الشـباب (١٥–١٩ عامًا) هي الفئة الأكثر تأثرًا بمضـار المخدرات فلديهم معدل وفيات أعلى بنسبة ٤٥٪ مقارنةً بالفئات الأكبر سنًا.
- يسجل الشباب نسبًا أعلى لفقدان سنوات العمر الصحية بسبب المخدرات (DALYs الوفاة المبكرة أو المرض والإعاقة) بواقع ٢٢٪.
- تؤكد منظمة الصـــحة العالمية أن هذه المرحلة العمرية حرجة لأن المخ ما زال في طور النمو، فالمراهقين والشباب أكثر عرضة للتأثيرات العصبية للمخدرات وأكثر إصابة بالاضطرابات النفسية والسلوكية الناجمة عنها.
- يؤكد البنك الدولي (World Bank) وجود ارتباط بين تعاطي الشـــباب للمخدرات وبين ارتفاع معدلات البطالة والفقر.
- تؤكد المنظمات الدولية من واقع الدراسات العلمية أن تعاطي المخدرات يؤدي إلى انخفاض نسبة التحصيل الدراسي والأكاديمي.

خامساً: المخدرات والجريمة

- أشـــار التقرير العالمي للمخدرات الصـــادر عن مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة (UNODC) في يونيو ٢٠٢٥ إلى الارتباط المباشـــر بين المخدرات والجريمة إذ تمثل المخدرات أكثر من **٥٠٪ من أنشطة الجماعات الإجرامية المنظمة** وفقًا لتقييم يوروبول.
- **العلاقة بين المخدرات والجريمة هي علاقة وثيقة متعددة الأوجه:**
  - فمن ناحية هناك نوع من الجرائم تُرتكب تحت التأثير المباشـــر للمادة المخدرة، فبعض المواد، مثل الكحول والمنشـطات (الكوكايين والميثأمفيتامين)، يمكن أن تزيد من العدوانية

والاندفاعية أو تضـــعف القدرة على الحكم، مما قد يؤدي إلى ارتكاب جرائم عنف مثل الاعتداءات أو القتل.

- وهناك جرائم ترتكب بدافع الحاجة إلى تمويل الإدمان، نظرًا لأن الاعتماد على المخدرات يمكن أن يكون مكلفًا، قد يلجأ الأفراد الذين يعانون من الإدمان إلى ارتكاب جرائم لتحقيق مكاسب مالية، مثل السرقة، والاحتيال، أو الدعارة.
- وهناك الجرائم المنظمة والتي تنشـأ من طبيعة سـوق المخدرات غير المشـروعة نفسـها، ويشـمل ذلك العنف الذي تمارسـه العصـابات والشـبكات الإجرامية كما تندرج تحت هذا الإطار جرائم الفســاد، وجرائم غســيل الأموال، والاتجار بالبشــر والأســلحة التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بعمليات تهريب المخدرات.

سادساً: مشكلة المخدرات من منظور وطني

نتائج آخر مسح قومي للمخدرات في مصر:

يتم إجراء هذه الدراسـة العلمية لقياس حجم مشـكلة المخدرات في مصـر كل ٥ سـنوات وكان آخر مسـح قومي قد تم عرض نتائجه عام ٢٠٢١ والذي جاءت أهم مؤشراته كالتالي:

- نسبة التعاطي **٥,٩٪**.
- نسبة الإدمان **٢,٣٪**
- التعاطي يتركز في الفئة العمرية **٢٠-٣٩ ســـنة**، أي أن الفئة العمرية التي ينتمي إليها معظم طلاب الجامعات هي الأكثر عرضة للتجربة والدخول في دائرة الإدمان.

تحوّل أنماط التعاطي (خطر المخدرات الاصطناعية)

- قديمًا كان التعاطي يتمحور على الحشـــيش والمواد المهدئة اليوم نواجه **تحول خطير نحو المخدرات التخليقية (الاصطناعية)** مثل الاستروكس.
- هذه المواد ترتبط غالبًا بـ **العنف والسلوك العدواني**، ما يزيد المخاطر على الفرد والمجتمع.
- لا تصــدّق أن "الاســتروكس أو غيره من المخدرات الاصــطناعية تجربة عابرة"، فهي مواد تغيّر كيمياء المخ بسرعة وتؤدي لسلوكيات غير متوقعة قد تدمرك وتؤذي من حولك.
- حوالي **ثلثي طالبي العلاج** في مصر يعانون من إدمان المخدرات الاصطناعية.

تعاطي الإناث للمخدرات

- النساء يمثلن **٥٪ تقريباً من المتقدمين للعلاج.**
- رغم النسبة الصغيرة، إلا أنها تعني أن سوق المخدرات بدأ يستهدف الفتيات أيضًا.
- تم رصد **٢٤ محاولة انتحار** بين المدمنين المتقدمين للعلاج، منها **٢٢ حالة بين الإناث.**
- الإدمان يرتبط ارتباطًا مباشرًا بالاضطرابات النفسية مثل الاكتئاب وإيذاء النفس.
- المخدرات ليست "متعة"، بل طريق قد يقودك إلى **الاكتئاب، العزلة، ومحاولات الانتحار**.

جهود الدولة المصرية

في مكافحة ظاهرة تعاطي وادمان المواد المخدرة

تبذل الدولة المصـــرية جهودًا كبيرة ومتكاملة لمكافحة وعلاج الإدمان، إدراكًا منها لخطورة هذه الظاهرة وتأثيرها الســـلبي على الفرد والمجتمع. وتتوزع هذه الجهود على عدة محاور تشـــمل الوقاية، والعلاج، والتأهيل، والتوعية، والتشريع.

لذا أنشـــئ صـــندوق مكافحة وعلاج الإدمان والتعاطي (برئاســـة مجلس الوزراء) بموجب قانون مكافحة المخدرات وتنظيم اسـتعمالها والاتجار فيها المعدل بالقانون رقم (١٢٢) لسـنة ١٩٨٩، فقد صـدر بشـأن إعادة تنظيمه وتحديد اختصـاصـاته قرار رئيس الجمهورية رقم (٤٧٢) لسـنة ٢٠٢٣ ليتبع رئيس مجلس الوزراء؛ ليكون هو الجهة المنوط بها خفض الطلب على المخدرات من خلال تنفيذ البرامج الوقائية وتوفير التدخلات العلاجية لمرضي الإدمان بالتعاون والتنسيق مع الجهات المعنية.

تنطلق رسـالة الصـندوق وخطة العمل به من الخطة الرسـمية للدولة للقضـاء على مشـكلة تعاطي وإدمان المخدرات في مصـــر وفي ضـــوء هذا يعمل صـــندوق مكافحة وعلاج الإدمان والتعاطي على مواجهة الظاهرة من خلال برامج وآليات تسـعى لمحاصـرة كل مظاهرها وملاحقة كافة المسـتجدات التي تطرأ على سـياقها لوقاية شـباب مصـر من الوقوع في براثن المخدرات وحمايتهم من الانزلاق فيها ومد يد العون لمن يقع منهم في الإدمان للعودة به سليماً معافاً ومشاركاً في تنمية مجتمعه

الرؤية

تتمثل رؤية الصـندوق فى " الحد من انتشـار المخدرات فى المجتمع المصـري، عبر تزويد أفراده بالوعى والمعرفة والمهارات الحياتية التي تمكنهم من مواجهة مغريات ومخاطر المخدرات، بحيث تتكامل جهوده مع كافة مؤسـسـات المجتمع سـعيا نحو خفض الطلب على تعاطى المواد المخدرة ومنعه بشـكل شـامل

ومتوازن ومتســـق مع مجهودات خفض العرض، وبحيث تتاح الخدمات العلاجية ذات الجودة المرتفعة بشكل مجانى وعادل دون تمييز وبسرية تامة لضـحايا إدمان المخدرات، وتعتمد الإجراءات الذكية الكفيلة باستمرار تعافى هؤلاء الضـحايا وإعادة دمجهم مجتمعيا فى سبيل تحقيق مواجهة فعالة ومستدامة لمشكلة تعاطى وإدمان المخدرات"

الأهداف:

يتبع الصندوق نهجا شموليا متوازنا وفعالا يجمع بين جهود الوقاية والعلاج والتعافي الكامل. وكذلك جهود تعزيز التعافي، والإجراءات الذكية المناســـبة لإعادة إدماج المتعافين في المجتمع مرة أخرى عبر آليات التمكين الاقتصادي.

وتعنى جهود الصندوق فى إطار سعيه نحو تحقيق أهدافه ومبادئه بالأنشطة التالية:

- تطوير وتنفيذ السياسات العامة والنوعية فى مجال مكافحة وعلاج الإدمان.
- تطوير المنظومة التشـريعية وبناء قاعدة معرفية حول قضـية المخدرات، مع رسـم برنامج متكامل للتقييم والمتابعة.
- تنفيذ البرامج والأنشــطة للوقاية من التدخين والمخدرات، وإعداد الشــباب وتمكينه من مناهضـــة التدخين والمخدرات.
- دعم دور المناهج التعليمية للوقاية من التدخين والإدمان، من خلال تضـــمينها مكون تعليمي يهدف لذلك.
- إتاحة وتوفير ودعم خدمات العلاج والتأهيل المجاني للمدمنين بالتعاون مع الشركاء المعنيين.
- يسـتند الصـندوق إلى عدد من مبادئ العمل الأسـاسـية، أهمها إشـراك الشـباب وتفعيل دورهم في جهود الوقاية.

- التركيز على الأسرة كمدخل أساسي لحماية الشباب من التدخين والمخدرات، ودعم دور الأسرة فى ذلك والاعتماد على الحوار المجتمعي.
- حشد جهود الجهات المعنية وشركائه الرئيسيين مثل وزارات الصحة والعدل والداخلية والتربية والتعليم وغيرهم من الوزارات وكذلك منظمات المجتمع المدني المعنية بهذا الشأن، بما يمكن أن يعزز المبادرة المصرية فى هذا الصدد.

وتتمثل هذه الجهود فى المجالات التالية:

١- جهود تطوير المنظومة التشريعية وبناء قاعدة معرفية حول قضية المخدرات:

أ- تطوير المنظومة التشريعية لقضية المخدرات بما يتناسب مع التطورات العالمية والمحلية للمشكلة، بما يتيح اعتماد الفلسفات الحديثة للتعامل مع المشكلة وكذا سد ثغرات وتجسير الفجوات فى جهود المواجهة للمشكلة.

ب- إنشاء قاعدة بيانات متكاملة للمخدرات بهدف كشف كافة أبعاد القضية بشكل منهجي وعلمي، وذلك بدعم البحوث وجمع البيانات وتحليل الأدلة العلمية وتبادل المعلومات بشأن الاتجار غير المشروع في المخدرات وآثارها على صحة الإنسان من خلال الجهات والمؤسسات البحثية والعلمية والتنفيذية المحلية والإقليمية والدولية العاملة فى مواجهة المشكلة، بهدف ترشيد السياسات والمساهمة فى وضع التشريعات المنظمة لذلك.

٢- جهود الوقاية الشاملة:

يسعى الصندوق نحو مساعدة الناس على تبنى نهج كامل للحياة يعينهم على مقاومة تعاطي المخدرات من خلال تنفيذ البرامج القائمة على الأدلة لبناء قدرات الشباب أو المعرضون للخطر وتمكينهم من اتخاذ قرارات إيجابية بشأن صحتهم. حيث يتم تنفيذ حملات التوعية والتثقيف التي جرى تخطيطها بعناية

لاستهداف الأفراد في دائرة الخطر والأكثر احتمالية للوقوع فيها. وهو ما يضمن أقصى قدر من التأثير الإيجابي، مع توعية عامة لباقي فئات المجتمع تعتمد الإقناع منهجا لتمكينها من مواجهة مغريات ومخاطر المخدرات، وذلك عبر الاتصال المباشر (التوعية المباشرة بكافة وسائلها) أو عبر تنفيذ حملات إعلامية قومية، مثل حملة "أختار حياتك "وحملة "أنت أقوى من المخدرات" والتى تتسم بعمق وثراء وتنوع المضمون، وكثافة واستدامة الاستهداف والاستعانة بنجوم المجتمع من الفنانين والرياضيين والشخصيات العامة المؤثرة ذات الشعبية، وتتنوع أنشطة الحملة ما بين تنويهات وإعلانات تليفزيونية وإذاعية وإعلانات طرق وغيرها.

وتعتمد البرامج الوقائية الموجهة للنشء والشباب على أدلة علمية تتبنى مكون المهارات الحياتية كآلية لتنمية قدراتهم على مناهضة مشكلة تعاطي وإدمان المخدرات، وتطبيق هذه الأدلة على نطاق واسع في المؤسسات التعليمية والشبابية لاستهداف الكوادر التطوعية الشابة. مع تطوير الأدوات التعليمية المناهضة لمشكلة المخدرات من خلال تضمين مناهج التعليم المختلفة مكونا توعويا مناهضا لهذه المشكلة.

بالإضافة لنشر الوعي بمخاطر تعاطي وادمان المواد المخدرة بين مختلف فئات المجتمع من أطفال وأسر وشباب بالتعاون مع كافة القطاعات الوزارية الشريكة بالإستراتيجية الوطنية لمكافحة المخدرات باستخدام أحدث البرامج الوقائية المحلية والدولية

وكذلك ترشيد التناول الإعلامي لمشكلتي التدخين والمخدرات من خلال إعداد ميثاق شرف إعلامي ودرامي يضع الأطر الأخلاقية لهذا التناول، ودراسات تقييمية لذلك سعيا نحو الإسهام الفعال للتناول الإعلامي فى التقليل من انتشار هذه الظاهرة وعيا بما لهذا التناول من تأثير قوى ومباشر على المتلقين.

٣- جهود العلاج: يتيح الصندوق خدمات المشورة والعلاج وإعادة التأهيل بشكل مجاني وفي سرية تامة وبشكل خاص لكل الفئات دون تمييز عبر الخط الساخن لعلاج الإدمان التابع للصندوق (١٦٠٢٣)،

وتتوافر الخدمة بجودة علاجية مرتفعة ومن خلال حزمة من المراكز العلاجية المنتشرة على نطاق واسع في أنحاء الجمهورية.

٤- تعزيز التعافي الكامل:

حيث يتطلب التعافي مجموعة متنوعة من خيارات العلاج، مصممة خصيصا للظروف الفردية، مع خدمات دعم أوسع مثل التمكين الاقتصادي والتوظيف لإعادة إدماج المتعافى من المخدرات فى المجتمع، ويقلل من الجريمة المرتبطة بتعاطي المخدرات. وإتاحة وصول الجميع إلى التدخلات الصحية والعلاجية التي تقلل من مخاطر استخدام المخدرات وبما يحمي المتعاطين والمدمنين من مزيد من الأخطار المترتبة على وقوعهم فى شَرَك المخدرات.

ولقد أطلق صندوق مكافحة وعلاج الإدمان مبادرة "بداية جديدة" فى عام ٢٠١٥ لتمكين المتعافين اقتصاديا من خلال توفير برامج تدريبية وفرص تمويلية لمشروعات صغيرة ومتوسطة تضمن لهم فرص حقيقية للدمج المجتمعي، بالتعاون مع بنك ناصر الاجتماعي.

٥- جهود دعم منظمات المجتمع المدني العاملة فى مجال مواجهة مشكلة المخدرات:

حيث يدعم الصندوق المشاركة الفعالة والنشطة لمنظمات المجتمع المدني، بما في ذلك المجتمع العلمي، في صياغة وتنفيذ ورصد وتقييم برامج المواجهة لمشكلة المخدرات من خلال توفير التمويل المناسب لهذه المنظمات على أساس إتاحة فرصة منصفة وعادلة لجميع المنظمات العاملة في هذا المجال.

٦- جهود بناء قدرات الكوادر العاملة فى مجال مكافحة وعلاج الإدمان:

سواء من بين العاملين بالصندوق أو فى الجهات الشريكة، ومؤسسات القطاع الحكومية والخاصة ومنظمات المجتمع المدني المعنية بهذا الشأن.

خطورة الإدمـان وآثاره

المخدرات Drugs:

تعرف المخدرات بأنها أي مواد تستخدم بطريقة تؤثر على الجهاز العصبي وتتسبب في الاعتماد النفسي أو الجسدي عند تعاطيها بصورة منتظمة، وتقود إلى عديد من المشكلات الصحية والنفسية والجسمية والاجتماعية، لما تحدثه من تأثير شديد على وظائف الجهاز العصبي المركزي، ولما تحدثه من اضطرابات في الإدراك أو المزاج أو السلوك.

مفاهيم رئيسية هامة

- **تعاطي المواد المخدرة (إساءة استعمال المخدرات) Drug abuse:** ويُشار بالمصطلح إلى التناول المُتكرر لمادة نفسية بحيث تؤدي آثارها إلى الإضرار بمتعاطيها. وعادة ما تبدأ هذه التجربة السلبية **بالتعاطي التجريبي (الاستكشافي(Experimental use**، وهو أول عهد المتعاطي بها، وهو في مرحلة تجريبها لاستكشاف أحواله معها، حتى يترتب على ذلك الاستمرار في تعاطيها أو الانقطاع عن التعاطي. أما **التعاطي حسب المُناسبة Occasional use** فيكون عادةً في المُناسبات الاجتماعية كالحفلات والأفراح، وتختلف هذه العملية باختلاف البيئات الحضارية، كما تختلف باختلاف الشريحة الاجتماعية التي ينتمي إليها المتعاطي. بينما يكون **التعاطي المتقطع Irregular use** عبارة عن عملية التعاطي المتواصل لمادة نفسية بعينها على فترات متقطعة. في حين يتسم **التعاطي المُنتظم Regular use** بتواصل تعاطي مادة نفسية بعينها على فترات منتظمة، يجري توقيتها حسب رغبة داخلية عند الشخص، وتعتبر هذه العملية مرحلة متقدمة على مرحلة التعاطي حسب المناسبة. ولعل أحد أخطر أشكل التعاطي هو **التعاطي المُتعدد للمواد**

النفسية Multiple drug بدلاً من الاقتصار على مادة واحدة، وقد يتم تعاطى هذه المواد المتعددة معًا في وقت واحد.

- **الاعتمـــاد Dependence وهـــو** حالـة نفسـية وأحيانًـا تكـون عضـوية تنـتج عـن التفاعـل بـين الإنسـان وأي مـادة نفسـية، وتتسـم بصـدور اسـتجابات أو سـلوكيات تحتـوي دائمًـا علـى الرغبـة القهريـة فـي أن يتعـاطى المُـدمن مـادة نفسـية معينـة علـى أسـاس مسـتمر أو دوري، وقـد يعتمـد الشـخص علـى مـادة أو أكثـر.، وقـد ورد ذكرهـا فـي التصـنيف الصـادر عـن هيئـة الصـحة العالميـة للاضـطرابات النفسـية والسـلوكية. والـذي قـد يشـار إليـه ترادفـا بـ**الإدمـان Addiction ويقصـد** بـه التعـاطي المُتكـرر لمـادة نفسـية أو لمـواد نفسـية لدرجـة أن المتعـاطي (المـدمن) يصـل إلـى حالـة انشـغال شـديد بالتعـاطي، وعجـز أو رفـض التوقـف عـن التعـاطي، كمـا تظهـر عليـه أعـراض الانسـحاب إذا مـا انقطـع عـن التعـاطي، وتصبح حياة المُدمن تحت سيطرة التعاطي لدرجة إهمال أي نشاط آخر.

ماذا يعني الإدمان:

١) استعمال أي مادة مؤثرة على الحالة النفسية والعصبية بصفة مستمرة.
٢) تزداد الحاجة لزيادة الجرعة من وقت لآخر للحصول على الأثر نفسه.
٣) تسبب الاعتماد عليها أضرار نفسية وجسدية وعقلية وهنا يدخل الشخص مرحلة التعاطي المتقطع ومن ثم التعاطي المستمر ومن ثم التعاطي القهري.
٤) في حال التوقف عن استعمالها تظهر على الشخص المتعاطي أعراض خطيرة تسمى (أعراض الانسحاب).
٥) يفقد الشخص القدرة على القيام بأعماله وواجباته اليومية وتظهر علامات جسمية ونفسية على المريض بشكل دائم ومستمر.
٦) يميل الشخص المريض لزيادة الجرعة بشكل متتابع ويقبل على تعاطي أكثر من نوع وبذلك أصبح الشخص مريضًا بالإدمان.

المخدرات وأنواعها:

أنواع المخدرات

طبقاً للمصادر

طبيعية	نصف تخليقيه	تخليقيه
طبيعية يتم استخراجها من النباتات الطبيعية ولا يتم إضافة أية مواد لها مثل نبات الخشخاش والقنب، والكوكا، والقات، والأفيون.	**نصف تخليقيه وهي التي يتم استخراجها من النباتات الطبيعية ويتم إضافة بعض المواد الكيميائية لها مثل المورفين، والهيروين، والكوكايين، والكحوليات.**	تخليقيه وهي التي يتم تصنيعها بالكامل مثل العقاقير المهلوسة والمنومة والمسكنة والمهدئة (الترامادول – التامول – الشابو – الكريستال – الاستروكس – الباودر)

طبقاً للتأثير

مثبط أو مهبط للجهاز العصبي ومن أشهرها الهيروين والكحول	منشط للجهاز العصبي ومن أشهرها الكوكايين والأمفيتامينات
المهدئات والمنومات والتي تهيئ للنوم السريع والطويل وأشهرها رهبنول – كالميبام – نايت كالم	المهلوسات وهي المواد التي تؤثر على الإدراك (هلاوس وخيالات) LCD –وأشهرها الباركينول

تصنف أنواع المخدرات الرئيسية حسب طبيعتها ومصدرها إلى ثلاثة أقسام:

١ – المخدرات الطبيعية:

وهي مخدرات من أصل نباتي وهي كل ما يؤخذ مباشرةً من النباتات الطبيعية التي تحتوي على مواد مخدرة، سواء أكانت نباتية برية أي نباتات دون زراعة أو نباتات تمت زراعتها، منها (الحشيش والأفيون والكوكا والقات).

٢. المخدرات النصف تخليقية:

وهي المخدرات المستخلصة من المواد والنباتات الطبيعية، ولكنها أقوى تركيزاً، منها: المورفين المستخلص من الأفيون، ولكنه أشد قوة منه، والهيروين المشتق من المورفين، وهو أيضاً أشد قوة من المورفين.

ولعل هذه المواد المصنّعة لها تأثير بالغ الخطورة؛ لما تسببه من فقدان الشهية وزيادة في ضربات القلب والتهيّج وتوسيع حدقة العين وقصور في وظائف الكبد. ولعل أشد هذه الأعراض هو نقص جهاز المناعة المكتسب (الإيدز) الذي ينتقل عادة عن طريق تلوث الحقن التي يستخدمها المدمنون.

٣. المخدرات التخليقية:

وهي المخدرات الناتجة من تفاعلات كيميائية، وهي مخدرات تُصنع في المعامل من مواد كيميائية لا يدخل فيها أي نوع من أنواع المخدرات الطبيعية وإن كانت تحدث آثاراً مشابهة للمخدرات الطبيعية، خاصة حالة الإدمان، ومنها المهلوسات: الأمفيتامينات، الباربيتورات، والبنزوديازيبينات والشائع منها الآن (الفودو والاستروكس، الأيس..) ويتم تعاطيه بالتدخين أو استنشاقه مما يؤدي إلى دمار عصبي وجسدي وعقلي.

أهم أعراض تعاطى المخدرات التخليقية:

- نشاط مفرط، إحساس زائف بالقوة والطاقة.
- يمنع النوم ويكبح الشهية لفترات طويلة.
- يؤدي إلى هلوسة سمعية وبصرية، وبارانويا (شك مرضي).
- يؤثر بشدة على المخ، ويدمر مراكز الإدراك والذاكرة.
- يؤدي للإدمان السريع، ومن أول أو ثاني استخدام ممكن الجسم يتعلق به.
- يزيد من ممارسة العنف والعدوان بصورة كبيرة لدى الشخص المتعاطي.

طبيعة مرض الإدمان

يُعرف اضطراب تعاطي المواد النفسية طبقًا للدليل التشخيصي والإحصائي للأمراض النفسية الصورة الخامسة DSM.٥ بأنه: مرض مزمن قابل للانتكاس، يصيب المخ، ويتميز برغبة قهرية للتعاطي على الرغم من العواقب الوخيمة، ويتسبب في تغيرات في مخ الإنسان قد تستمر لفترة طويلة، كما يؤدي لتغيرات ضارة في سلوك المعتمد.

بعض المفاهيم ذات الصلة بمفهوم الإدمان:

أ) التعاطي:

التناول المتكرر لمادة نفسية إلى الحد الذي يوقع المتناول في أضرار ناجمة عن تأثير هذه المادة، أو عن نتائجها الاجتماعية أو الاقتصادية وتستخدم تعبيرات " تعاطي المخدرات، تعاطي الكحول ..... إلخ " على نطاق واسع الإشارة إلى التناول الضار أو الخطير، فهذه الجمل تشير غالباً إلى استهجان أي تناول غير طبي لهذه المواد ويشيع بين كثير من الكتَّاب العرب استخدام تعبير "سوء استخدام العقاقير".

ب) الإدمان:

يقصد به التعاطي المتكرر لمادة نفسية، أو لمواد نفسية، لدرجة أن المتعاطي (ويقال المدمن) يكشف عن انشغال شديد بالتعاطي، كما يكشف عن عجز أو رفض للانقطاع، أو لتعديل تعاطيه، وكثيراً ما تظهر عليه أعراض الانسحاب إذا ما انقطع عن التعاطي. وتصبح حياة المدمن تحت سيطرة التعاطي إلى درجة تصل إلى استبعاد أي نشاط آخر.

المعايير التشخيصية لاضطراب تعاطي المواد النفسية وفقًا للصورة الخامسة من الدليل التشخيصي والإحصائي للأمراض النفسية:

مجموعة من الأعراض الملازمة لتعاطي المواد النفسية، تنقسم إلى أربع مجموعات فرعية هي كالتالي: فقدان السيطرة، والخلل الاجتماعي، والاستخدام الخطر، والاعتمادية الدوائية، وتُستخدم هذه الأعراض بصفتها مقياسا لشدة الاضطراب فيكون ظهور عرضين دال على الاضطراب البسيط، وظهور من ثلاثة إلى خمسة أعراض دال على الاضطراب المتوسط، وظهور ستة أعراض فأكثر فيكون دليلًا على الاضطراب الشديد. وذلك على **النحو التالي:**

أ) فقدان السيطرة:

١- تعاطي كمية أكبر من المواد النفسية أو لفترة أطول مما كان ينوى المعتمد تعاطيها.

٢- جهود فاشلة لتقيل أو خفض الاستخدام.

٣- قضاء وقت كبير للحصول على المواد النفسية أو استخدامها أو حتى التعافي منها.

٤- ظهور الاشتياق واللهفة للمواد النفسية.

ب) الخلل الاجتماعي:

١- عدم القدرة على الوفاء بالالتزامات الرئيسية في الحياة بسبب الاعتماد على المادة أو المواد النفسية.

٢- الاستمرار في تعاطي المواد النفسية على الرغم من المشاكل الناجمة والمتفاقمة بسبب تعاطيها.

٣- التوقف أو التخلي عن أو التقليل من الأنشطة الحياتية المهمة بسبب التعاطي.

ج) الاستخدام الخطر:

١- التعاطي المتكرر في المواقف التي تتسم بالخطورة الشديدة.

٢- الاستمرار في التعاطي على الرغم من المشاكل الصحية والنفسية التي نتجت عن التعاطي أو تفاقمت بسببه.

د) الاعتمادية الدوائية:

١- ظهور ما يعرف بالتحمل لآثار المادة النفسية.

٢- ظهور أعراض الانسحاب في حالة عدم التعاطي أو محاولة التقليل من الجرعات.

ويندرج تحت هذا المصطلح العام عدة مصطلحات نوعية، هي:

١- الاعتماد العضوي:

حالة تكيفية عضوية تكشف عن نفسها بظهور اضطرابات عضوية شديدة في حالة انقطاع وجود مادة التعاطي، أو في حالة معاكسة تأثيرها نتيجة تعاطي عقارًا مضادًا، وتسمى أعراض الانسحاب، وهي مجموعة من الأعراض العضوية والنفسية الَّتي تختلف من مادة نفسية لغيرها.

٢- الاعتماد النفسي:

حالة تتسم بعدم الرضا مع دافع نفسي قوي يتطلب التعاطي المستمر أو الدوري لمادة نفسية معينة لإثارة المتعة أو لتحاشي المتاعب.

٣- أعراض الانسحاب:

مجموعة من الأعراض تختلف في بعض مفرداتها وفي شـــدتها تحدث للفرد على أثر الانقطاع المفاجئ عن تعاطي مادة نفسية معينة، أو تخفيف جرعتها، بشرط أن يكون تعاطي هذه المادة قد تكرر كثيراً واستمر هذا التكرار لفترات طويلة وبجرعات كبيرة.

٤- إمكانية الاعتماد:

وتشير إلى الخصائص التي تتوافر في أي مادة نفسية، بناءً على مالها من تأثير فارماكولوجي على عددٍ من الوظائف النفسية أو العضوية، وبمقتضاها يرتفع احتمال الاعتماد على هذه المادة.

٥- التحمل:

وهو تغير عضوي " فسيولوجي" يتجه نحو زيادة جرعة مادة نفسية معينة بهدف الحصول على نفس الأثر الذي أمكن تحصيله من قبل بجرعة أقل، ويمكن أن يحدث التحمل بفعل عوامل فسيولوجية أو عوامل نفسية أو اجتماعية، وقد يكون التحمل عضوياً أو سلوكياً، والتحمل العضوي عبارة عن تغير في الخلايا المستقبلة، بحيث يتضاءل أثر جرعة المادة المتعاطاة حتى مع بقاء هذه الخلايا معرضة لنفس تركيز المادة.

٦- المادة النفسية:

ويشير المصطلح بشكل عام إلى أي مادة كيميائية لها تأثير واضح على الجهاز العصبي المركزي، ويستخدم بعض الباحثين المصطلح مرادفا لمصطلح psychoactive مشيرين به إلى كل المواد المؤثرة في المراكز العصبية العليا، مثل المنشطات والمهلوسات والأفيونات والمنومات والمهبطات والكحوليات.

مراحل الإدمان Addiction Stages:

يمر الشخص بعدة مراحل قبل وصوله إلى حالة الإدمان أو إلى أن يصبح مدمنًا وهذه المراحل هي:

المرحلة الأولى: وهي مرحلة التعارف وحب الاستطلاع والمغامرة والتجريب مع الأقران، حيث يمر المدمن بمرحلة التعاطي التجريبي في مرحلة البداية.

المرحلة الثانية: وتسمي مرحلة التعاطي شبه المنتظم، وهي المرحلة التي يتعاطى الشخص المادة المخدرة على فترات متباعدة (مناسبات).

المرحلة الثالثة: وتسمى مرحلة التعاطي المنتظم، وهنا يصبح التعاطي جزءًا أساسيًا في حياة المتعاطي، ويقاوم أي محاولة لإبعاده عن التعاطي، بل يتوقف عن كثير من الأشياء في حياته في سبيل التعاطي، وهنا لا يهمه اعتراض المجتمع ووقوفهم ضده حيث يستمر في تعاطيه، ولا يعنيه نبذ الآخرين له، بل أن ذلك يزيده تمسكًا بالمخدر.

المرحلة الرابعة: مرحلة الاعتماد أو التعاطي القهري وهي مرحلة ظهور الآثار السلبية لمشكلة الإدمان وهي مرحلة الإدمان والاعتماد الكلي التي لا يمكن الاستغناء عندها عن المادة المخدرة.

- **العلامات الدالة على التعاطي والإدمان:**

ثمة علامات متعددة يمكن أن تنذر بدخول الفرد في الإدمان بحيث يكون وجود أحدها أو معظمها دالاً على دخول الفرد في تعاطي وإدمان المواد المخدرة والتي عن طريق ملاحظتها يتم الكشف المُبكر لمتعاطي ومدمن المادة المخدرة؛ ومنها ما يلي:

- أي تغير فجائي غير مألوف في الطباع أو الأصـــدقاء أو الســـلوك الأخلاقي ينبغي أن يؤخذ في الاعتبار.
- البعد عن الأسرة والفشل في العلاقات الاجتماعية.
- العثور على أشياء غير مألوفة مثل حقنة فارغة أو بقايا تدخين أو تعاطى.
- تزايد العصبية والتوتر للشخص المُدمن، ويصبح سهلاً لاستثارة النزعات العدوانية، ويعاني من حساسية زائدة، وغير قابل للتكهن بسلوكه.
- نقص الاهتمام بالذات، والإهمال في المظهر الخارجي.
- التشويش، والخلط بين الأولويات، والشعور بثقل المسئوليات التي كانت من قبل هينة.
- المراوغة والكذب.
- ضعف التحصيل الدراسي أو الكفاءة الإنتاجية والتركيز العام.
- المطالبة المستمرة بالنقود وزيادة الإنفاق بدون سبب واضح مع اكتشاف فقدان أشياء ثمينة من الأفراد المحيطة بالمتعاطي.
- الشعور الدائم بالتعب والإرهاق وعدم الراحة واضطرابات النوم.
- شحوب لون الوجه.
- فقدان الشهية لفترات طويلة.

أسباب الإدمان

إن عوامل الخطر لتعاطي المخدرات لا يمكن أن تنحصر في الأسباب الاجتماعية، والاقتصادية والثقافية فقط، وإلا كيف نفسر وجود نسبة معينة من المدمنين في المجتمع بأكمله، في حين أن كل أفراده معرضون إلى نفس الظروف، وحتى على مستوى العائلة الواحدة نجد الإخوة معرضون إلى نفس الوضع الاجتماعي، الاقتصادي والثقافي، لكن قد يتعاطى أحد أفرادها المخدرات في حين لا يتورط فيها الآخر، مما يبين أن تعاطي المخدرات مرتبط كذلك بالبنية النفسية للفرد وبما يعترضه من اضطرابات ونقص في المهارات.

١. الأسباب النفسية/ الروحية:

- اضطرابات المزاج (قلق –اكتئاب – وسواس).
- ضعف المهارات النفسية (حل المشكلات – التعبير عن الذات).
- التفكير المشوّه (أنا مش نافع – ماحدش بيحبني).
- شعور بالبعد عن الله أو الذنب الشديد.

٢. الأسباب الاجتماعية:

- أسرة مفككة أو مسيطرة أو غائبة.
- أصدقاء تعاطوا وأثّروا.
- مشكلات في المدرسة/العمل (تنمّر – فشل – ضغط).

٣. الأسباب البيئية:

- أماكن التعاطي قريبة.
- سهولة الحصول على المخدر.

- غياب البدائل الصحية (أنشطة – ترفيه – تعليم).

٤. الأسباب البيولوجية:

أكدت الكثير من الدراسات أن إصابة أحد الوالدين أو الأقارب بالإدمان يزيد من ظهور الإدمان لدى الأبناء أو داخل الأسرة، ويساعد في وجود استعداد وقابلية وراثية للإدمان.

تاريخ عائلي للإدمان.

كما أشارت العديد من الدراسات أن الأشخاص الذين يعانون من اضطراب في هرمونات السيروتونين أو الدوبامين، يكونوا أكثر عرضة للوقوع في الإدمان، بجانب أن التغييرات في نظام المكافأة والاعتماد على المخدر يؤثر بشكل كبير في نظام عمل مركز المكافأة وفي إدمان أحاسيس النشوة التي يشعر بها بعد التعاطي مباشرة.

ويمكن تخليص أسباب التعاطي والإدمان في النقاط التالية:

(١) أسباب تتعلق بالفرد المتعاطي:

تعتبر العوامل الفردية المتعلقة بالشخص المتعاطي نفسه من أهم الدوافع والأسباب لتعاطي المخدرات، وتختلف هذه العوامل من فرد لآخر باختلاف عوامل التنشئة الاجتماعية والأسرية ومن أهم هذه **الأسباب:**

١ – **رفقاء السوء:** حيث يتأثر الشخص بمواقف ومعتقدات زملائه وأصدقائه، ويكون ضغط الأقران باتجاه أحد أفرادها مما لا يترك له الخيار فإما أن يندمج مع المجموعة في عملية التعاطي وإما أن يتخذ القرار الأصعب بالانفصال عن المجموعة.

٢ – **ضعف الشخصية:** حيث يكون الأشخاص مسلوبين الإرادة وغير قادرين على إدارة حياتهم اليومية بشكل مستقل عن الآخرين، وغير قادرين على اتخاذ معظم القرارات الخاصة بهم بأنفسهم مما يجعله هدفاً سهلاً لمروجي المخدرات.

٣ – **الفضول وحب التجريب:** حيث يحاول المتعاطين اكتشاف وفهم ما يدور حولهم دون القلق بشأن العواقب المحتملة، ولكن نتيجة اندفاعهم وتسرعهم، غالبًا ما يقعون فريسة لتجار المخدرات.

٤ – **الأوهام الخاطئة:** خاصة ما يتعلق بقدرة المخدرات على زيادة القدرة الجنسية والجسدية تساعد على السهر والمذاكرة.

٥ – **الفراغ:** يتيح التفكير بمسائل غير معتادة كالمخدرات خاصة إذا ما اقترن ذلك بالبطالة والاكتئاب.

٦ – **حب التقليد:** يلجأ المتعاطي إلى تقليد شخصيات أحبها واتخذها نموذجاً في سلوكياتهم وأسلوب حياتهم مثل تقليد الممثلين أو حتى نماذج في الحي ممن يتعاطون المخدرات.

٧ – **الهموم والمشكلات الاجتماعية والعاطفية:** يلجأ المتعاطي إلى الهروب من واقعه بتعاطي المخدرات.

٨ – **خصائص وسمات شخصية المتعاطي: مثل** العصبية الشديدة والتوتر والقلق والاكتئاب، أو الخجل والشعور بالنقص وعدم التوافق النفسي والاجتماعي، وعدم الثقة بالنفس، وقلة الإحساس بالأمن، وعدم القدرة على تكوين علاقات وثيقة مع الآخرين.

٩– **انخفاض مستوى التعليم:** ليس هناك من شك في أن الأشخاص الذين لم ينالوا قسطاً من التعليم لا يدركون الأضرار الناتجة عن تعاطي المخدرات أو المسكرات فقد ينساقون وراء

المروجين للحصول على هذه السموم، وإن كان ذلك لا ينفي وجود بعض المتعلمين الذين وقعوا فريسة لهذه السموم.

(٢) أسباب تتعلق بالأسرة: –

تعتبر الأسرة من أهم العوامل في التنشئة الاجتماعية للفرد لتشكيل شخصية الفرد وتحديد ميوله الفكرية، والعقلية، والنفسية، والأخلاقية. ثم هناك عوامل أسرية تسهم في تكوين شخصية مضطربة عرضة للتعاطي والإدمان، **ومن أهم هذه العوامل:**

١ – القدوة السيئة من قبل الوالدين تجاه أبنائهم وربما كان أحد الوالدين مدمنًا.

٢ – انشغال الوالدين عن الأبناء وغياب رقابتهم عليهم.

٣ – التفكك الأسري وخاصة مع الطلاق.

٤ – قلة الحوار الداخلي في الأسرة.

٥ – زيادة عدد أفراد الأسرة قد تكون أحد العوامل المهيئة للتعاطي.

(٣) أسباب تتعلق بالمجتمع: –

١ – انتشار المواد المخدرة وسهولة الحصول عليها والسماع عن المخدرات والرؤية المباشرة لها.

٢ – قلة الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام في محاربة المخدرات، بل وربما لعب بعضها دوراً سلبياً ترويجياً من خلال الأفلام التي تقدمها عن أبطال وقادة يظهرون على أنهم مدمني مخدرات.

٣ – عدم وجود قوانين صارمة ضد المخدرات.

الآثار المترتبة على التعاطي والإدمان

يمكن تصنيف الآثار والمترتبات على التعاطي والاعتماد على المواد النفسية إلى آثار على الصحة الجسمية، والصحة النفسية للفرد، وإلى المشكلات الاجتماعية الناجمة عنها والمرتبطة بها وذلك على النحو التالي:

١. **الآثار الجسمانية:** للمواد المخدرة تأثيرات متعددة على الصحة البدنية للمدمن، ولعل أهمها:

- زيادة ضربات القلب وانسداد الشرايين.
- الجهاز التنفسي حيث يسبب ضيق في الشعب الهوائية واضطراب في الوظائف التنفسية.
- يصاب الجهاز الهضمي والكبد باضطراب؛ كما تصاب الغدد المنظمة لعملية الهضم.
- إصابات الجلد والأغشية المخاطية، نتيجة تكرار الحقن في الأوردة والاستنشاق.
- يكون المتعاطي عُرضه للإصابة بأمراض المسالك البولية والتناسلية.
- التهاب في الغلاف المبطن للقلب وإلى قصور في شرايين القلب.
- تدهور في كافة المراكز الإدراكية العليا.
- إصابة الأسنان واللثة بالتسوس والتكسير والتشقق وزيادة البكتريا مع احتمال الإصابة بمرض سرطان اللسان.
- التهاب الأغشية المبطنة للأنف.
- حدوث اضطرابات في الحواس (السمع – والإبصار – واللمس – والشم– والتذوق)

٢. **الآثار النفسية:**

- ضمور في خلايا المخ ينتج عنه خلل في الجهاز المركزي العصبي المركزي.
- أنماط سلوكية غير صحيحة مثل السرقة، وإهمال الدراسة.
- اضطراب التفكير، وسرعة الانفعال.

- تبلد العواطف والشك المستمر في المحيطين به.
- ارتباط القلق والاكتئاب.
- الفصام، وجنون العظمة.
- اضطراب النوم.
- الذهان، والخوف، والتخيلات.
- التقدير المنخفض للذات.
- التأثيرات السلبية على عدد من الوظائف العقلية مثل: الانتباه والإدراك والذاكرة والتفكير المجرد والقدرة على التحكم وحل المشكلات.
- العزلة والشعور بالوحدة.

٣. الآثار الاجتماعية المترتبة على التعاطي والاعتماد:

- زيادة نسبة الجريمة في المجتمع.
- وجود المخدرات الاصطناعية التي تزيد من السلوك العدواني الشديد مع إحداث هلاوس سمعية وبصرية وتجعل الفرد يرتكب الجريمة بدم بارد.
- اختلال دقة الإدراك البصري، والتناسق النفسي الحركي والانتباه وتقدير المسافات والأبعاد، وهي وظائف مهمة وذات دور أساسي في قيادة السيارات، مما يتسبب في حوادث السيارات.
- الفاقد الاقتصادي من عدم مشاركة المدمنين في الإنتاج والدخل القومي للدولة.
- التفكك الأسري وفقدان الروابط الأسرية.
- وعدم القدرة على التنشئة الاجتماعية الصحيحة.
- حيث تزيد الخلافات داخل الأسرة بين الزوجين وكذلك بين الأب المدمن والأبناء.
- انخفاض التحصيل الدراسي.

- فقدان الوظيفة.
- المشاكل المالية.
- توتر العلاقات الاجتماعية.
- خرق القانون.

٤. الآثار والأضرار الاقتصادية:

يؤثر إدمان المخدرات على الفرد والمجتمع من الناحية الاقتصادية؛ ومن مظاهر ذلك:

- زيادة البطالة.
- ضعف الإنتاج.
- السرقة وانتهاك حقوق الآخرين

عوامل الحماية والخطورة المرتبطة بالأسرة: –

عوامل الحماية: –

هناك عدد من عناصر الحماية والوقاية الأولية التي يجب أن تقوم الأسرة بتوفيرها وتعزيزها، ومن أهمها:

- الحرص على التواصل المستمر مع الأبناء والتعرف على مشكلاتهم وعالمهم الخاص، والمتابعة المستمرة لدائرة أصدقائهم وسلوكياتهم، خاصة في مرحلة المراهقة، والتي عادة ما يتعرض الأبناء خلالها للضغوط من قبل الأقران، بهدف خضوعهم لأحكام الجماعة (الشلة) حتى يكونوا مقبولين منها، وكلما اقترب الأبناء من سن الاستقلال أصبح ضغط وتأثير الأصدقاء أقوى على تفكيرهم ومعتقداتهم وسلوكياتهم، وتلك الضغوط قد تشجع تعاطي الخمور والمخدرات بين الشباب.

  لا سيما أن كل الدراسات والأبحاث العلمية أكدت على أن الأصدقاء يحتلون المرتبة الأولى في أسباب تعاطي أقرانهم والتعرف على أنواع المواد المخدرة.

- مساعدة الأبناء على اكتساب المهارات التي ترفع من قدراتهم وتبني ثقتهم بأنفسهم بدلًا من السعي إلى خلق أوهام من خلال حصولهم على تلك الثقة نتيجة تقليدهم للآخرين.

ومن الضروري هنا تشجيع الأبناء على الانخراط في الأعمال التطوعية المختلفة والمشاركة في الأنشطة الجماعية والحركات الكشفية، والروابط الشبابية المنظمة.

- تشجيع الأبناء على مزاولة الرياضة وتعلم الهوايات مثل القراءة والسباحة والرسم... إلخ. فإن أي هواية يتعلمها الشخص هي وقاية من أي ممارسات ضارة، حيث إن الإشباع النفسي الذي يجده فيها يغنيه عن البحث عن ذاته في عالم المخدرات.
- إدماج الأبناء في أنشطة جماعية أسرية مثل زيارات الأهل ورحلات أسرية والذهاب لأماكن العبادة.
- التحدث مع الأبناء بشأن الحقائق والمخاطر الناجمة عن التدخين وتعاطي المخدرات والمبادئ الأساسية للصحة العامة وطرق حماية أنفسهم، على أن يتم ذلك في سياق حوار تفاعلي.
- الاحترام المتبادل بين كل أفراد الأسرة بمختلف أعمارها.
- المتابعة المستمرة للمستوى الدراسي للأبناء والسعي لتطويره بشكل مستمر.

عوامل الخطورة: –

يزداد احتمال تعرض أحد أبناء الأسرة لمشكلة تعاطي المخدرات إذا ما تواجد عدد من العوامل الأسرية تسمى "عوامل الخطورة" تساهم في الدفع بالأبناء إلى دائرة التعاطي والإدمان حيث إن اضطراب الشخصية والانسياق وراء ضغط الأقران السلبي، والرغبة في خوض التجربة، وحب الاستطلاع، ووقت الفراغ، والمشاكل الأسرية هي الأسباب الرئيسية للانخراط في مشكلة المخدرات ومن عوامل الخطورة:

غياب دور الأسرة مثل:

- عدم تواصل الأسرة مع أبنائهم وعدم تفهمهم.
- سفر الأب للعمل بالخارج وعدم تواصله مع الأبناء.
- انشغال الأم بالعمل وعدم متابعة الأبناء.
- عدم وجود لغة حوار أو اتصال بين الأبناء والوالدين.

إساءة معاملة الأبناء سواء بالشدة أو التدليل

- يقصد بالشدة: القسوة غير المبررة على الأبناء وحرمانهم من حقوقهم الأساسية مثل (التعبير عن الرأي، إعطائهم المصروف، .....)
- التدليل: هو إصغاء الأب والأم لكل طلبات الأبناء بدون مناقشة أو توجيه، مثل إعطاء الوالدين للأبناء كل ما يطلبون من أموال بدون حساب أو متابعه.

التفكك الأسرى

- وهذا يؤدى إلى شعور الأبناء بعد الأمان داخل أسرهم ويبدأون في البحث عن عالم آخر ينسون فيه تلك المشاكل الامر الذي يجعلهم يتجهون إلى عالم التعاطي.

العنف الأسرى:

- هو استخدام غير مبرر للسلطة والقوة يهدف إلى إيذاء طرف ضعيف ويظهر بين أفراد الأسرة الواحدة، وقد يكون جسديا أو معنويا أو لفظياً.

المعاناة من بعض المشكلات الصحية أو النفسية قد يؤدى إلى إدمان الأبناء مثل:

- ممكن أن يتجه الأبناء إلى الإدمان إذا كان يعاني من إعاقة جسدية ليهرب من التنمر عليه من قبل الأصدقاء أو الأسرة.
- قد يحدث استخدام خاطئ لبعض الأدوية النفسية مما يسبب إدمان هذه المواد فيجب على الأسرة اتباع الإرشادات الطبية أثناء استخدام علاج نفسي لأحد الأبناء.

الأفكار المغلوطة المرتبطة بتعاطي المواد المخدرة

المخدرات والعمل:

يعتقد الفرد أن تعاطى المخدرات تجعله يقبل على العمل بإيجابية وجدية، ويتحمل العمل الشاق وساعات العمل الطويلة، بل وقد يجودون في العمل، وأن غياب المخدر يجعل الفرد عاجز عن العمل أو يفتقد التركيز.

بينما الحقيقة يؤثر سوء استخدام المواد في العمل على الإنتاجية، لأن الإساءة تؤدي إلى الإدمان على المدى الطويل وتؤثر سلبًا على كمية ونوعية عمل الموظف؛ يمكن أن يؤدي تعاطي الكحول أو المخدرات إلى إضعاف الموظفين جسديًا وعقليًا في العمل؛ يتعارض استخدام المواد المخدرة مع الشعور بالرضا المهني والدافع للقيام بعمل جيد.

المخدرات والاحتياجات الفسيولوجية:

من الأفكار الشائعة بين المتعاطين تأثير المخدرات على الاحتياجات الفسيولوجية اليومية كفتح الشهية والنوم والإثارة الجنسية أو أداء أفضل في العلاقة الجنسية، واكتساب القوة البدنية، بل وقد يعتقد بعضهم أن التعاطى يعطى مذاقا أفضل للطعام والحياة.

بينما الحقيقة يمكن أن يسبب الاستخدام طويل لمعظم المخدرات ضعفا إدراكيا، ومشاكل في نمو الدماغ وتطوره في مرحلة المراهقة، وقد يسبب تغييرا في اهتمامات الشخص أو أنشطته، وضعف قدرته البدنية والجنسية.

المخدرات والعلاقات الاجتماعية

يعتقد بعض المتعاطين في أن تعاطى المخدرات توثق علاقاته بالآخرين وتساعد على تكوين الصداقات وتوسيع دائرة معارفه وتحسين علاقته بأفراد أسرته، وإن غياب المخدر يتسبب في إحساس بالضيق وقد يؤدى إلى مشكلات في العلاقة بالآخرين كالشجار.

بينما الحقيقة تؤدي تعاطي المخدرات إلى فقدان الثقة في العلاقات، فعندما يعاني شخص ما من الإدمان، قد يكذب أو يتلاعب أو يخفي تعاطيه للمخدرات عن أحبائه. وهذا قد يدفع أحباءه إلى التشكيك في صدقه وموثوقيته، مما يؤدي إلى انهيار الثقة، بالإضافة إلى ذلك، قد يؤثر تعاطي المخدرات على التواصل في العلاقات، فقد يصبح الشخص الذي يعاني من الإدمان دفاعيًا أو عدوانيًا أو منعزلاً، مما يصعب على أحبائه التواصل معه بفعالية.

المخدرات ونسيان المشاكل والهموم

اشترك معظم المتعاطين في التأكيد على أهمية المخدرات للاسترخاء ونسيان المشاكل والفرحة والسعادة والمرح حيث إنهم يتوهمون أثناء تعاطيهم أن المشكلات قد تراجعت أو أنهم انتقلوا إلى دنيا أخرى جميلة خالية من الهموم.

بينما الحقيقة يحتاج الشخص المدمن إلى جرعات أكبر من العقار ليصل إلى الشعور بالنشوة، قد تزداد لديه صعوبة مواصلة الحياة بدون العقار ويحدث للجسم عدد من ردود الفعل النفسية والجسدية السلبية

نتيجة تناول جرعة زائدة من المخدرات، وغالبا ما تشمل الأعراض صعوبات التنفس والنعاس، والهلوسة والغثيان والتشنجات، قد تؤدي محاولات التوقف عن استخدام العقار إلى إحساس قوي بالرغبة في تناوله بجانب الشعور بتعب بدني شديد وهذا ما يعرف بأعراض الامتناع عن التعاطي.

اعتقاد الفرد أن مخدر الحشيش أو البانجو

هما أكثر الأنواع جلبا لمشاعر الفرفشة والانبساط والبهجة والنشوة، كما أنه معتقدات في الثقافة العامة تدعم هذه المعطيات الميدانية حول القنبيات (الحشيش والبانجو) والحشيش منها بوجه خاص، إذ يسود اعتقاد بعدم وجود آثار طبية ضارة له، وأنه ليس ادمان ولا يخلق حالة الاعتماد أو التعود البدني بالإضافة لدوره المهم في الإبداع.

بينما الحقيقة على النقيض تماماً من ذلك، إذ يصنف الحشيش ضمن المواد المسببة للإدمان لاحتوائه على المادة المخدرة تتراهيدروكانا بينول" والتي تبقى في الجسم لفترات طويلة، من ثم يتحول الحشيش إلى احتياج بدني ونفسي يعجز المتعاطي عن إيقافه. ويتحول الأمر إلى إدمان حقيقي نتيجة التمادي في تعاطي مخدر الحشيش.

الأبعاد القانونية والتشريعية لمكافحة التعاطي والإدمان

أولاً: مقدمة عن أهمية دراسة الأبعاد القانونية لمشكلة المخدرات

تُعَدّ المخدرات من أخطر القضـايا التي تواجه المجتمعات المعاصـرة، لما ينتج عنها من آثار مدمرة تمس الفرد والأسـرة والمجتمع على حد سـواء، فهي تضـعف القدرات العقلية والنفسـية والصـحية للفرد، وتُفقده احسـاسـه بالمسـؤولية، وقد تؤدي إلى فقدان عمله أو مصـدر رزقه، وعلى مسـتوى الأسـرة، تؤدي إلى اضـطراب العلاقات الأسـرية وتفكك الروابط العائلية نتيجة فقدان الثقة وتدهور السـلوك أما على مسـتوى المجتمع، فإنها تُشكّل عبئًا اقتصـاديًا مباشرًا سواء بفقدان العنصر البشري والقوى العاملة للمجتمع أو في تكلفة العلاج والملاحقة الجنائية لأنشـطة الاتجار والترويج مع وجود ارتباط مباشـر بين ارتكاب الجرائم وتعاطي المخدرات لاسيما جرائم العنف وهكذا تتحول المخدرات من مشكلة شخصية إلى أزمة شاملة تمس البناء الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع.

في مواجهة هذه التحديات، يتدخل القانون باعتباره الأداة التي يعتمد عليها المجتمع في ضـبط السـلوك وحماية مصـالحه العليا، من خلال قواعد عامة مجردة تسـري على جميع الافراد بلا اسـتثناء ويتم تطبيقها من خلال السلطة القضـائية التي تقوم بتفريدها على كل واقعة على حدى، مع مراعاة ظروفها وملابساتها الخاصة حتى يتحقق العدل ويتأكد سلامة التقدير.

ومن هذا المنطلق، جاء تجريم المخدرات كضـرورة لحماية القيم الاجتماعية وصـون طاقات الشـباب، ولم يقف المشـرّع عند حدود العقوبة، بل تطورت التشـريعات المصـرية لتجمع بين الحزم في مواجهة الاتجار والتهريب، والمرونة في إتاحة فرص العلاج والتأهيل للمتعاطين، وهذا التطور التشـريعي يعكس بوضـوح كيف يستجيب المجتمع لمخاطر هذه الظاهرة بشكل يعكس الأضرار التي تمثلها.

ومن الجدير بالذكر أن دراسة الأبعاد التشريعية لمشكلة المخدرات لا تقتصر على معرفة مواد القانون أو أرقامها، بل تمكّن الطالب من فهم العلاقة بين النص القانوني والواقع الاجتماعي، وكيف تترجم التشريعات وعي الدولة بخطورة الظاهرة إلى سياسات جنائية وصحية متكاملة، وبذلك يصبح الطالب أكثر وعيًا بدور القانون كوسيلة للردع من ناحية، وكآلية للعلاج وإعادة الدمج المجتمعي من ناحية أخرى.

وتزداد أهمية الإحاطة بالتداعيات القانونية المترتبة على التورط في الأنشطة المرتبطة بالمخدرات، سواء أكان ذلك بالتعاطي أو الاتجار، فالجهل بالقانون لا يعفي من المسؤولية، إذ قد تصل العقوبة الجنائية إلى الإعدام في بعض صور الاتجار (المادتان ٣٣ و٣٤ من القانون ١٨٢ لسنة ١٩٦٠ وتعديلاته)، كما تمتد الآثار إلى المجال الوظيفي، حيث نص قانون شروط شغل الوظائف أو الاستمرار فيها رقم ٧٣ لسنة ٢٠٢١ على إنهاء خدمة من يثبت تعاطيه المخدرات، حمايةً لسلامة المرافق العامة وإلى جانب ذلك، يشدد قانون المرور العقوبة على القيادة تحت تأثير المخدرات، والتي قد تصل إلى الحبس وسحب الرخصة، وتتضاعف التداعيات الجنائية إذا وقع حادث مرورى في هذه الحالة، إذ يُسأل السائق عن جريمة جنائية مشددة تصل إلى عقوبة الجنايات.

ثانياً: التطور التاريخي لتشريعات المخدرات

إن استعراض التطور التاريخي لتعامل المشرّع المصري مع مشكلة المخدرات يكشف بوضوح أن التشريع ليس نصًا جامدًا، بل هو **مرآة تعكس حجم الأضرار** التي تتفاقم بفعل انتشار هذه المواد في المجتمع، فكلما اتسعت دائرة الخطر وتعددت آثاره الصحية والاجتماعية والاقتصادية، كان لا بد من استجابة تشريعية جديدة أكثر حزمًا وصرامة، وبذلك يمكن القول إن مسار التشريعات المصرية في هذا المجال يمثل **تسلسلًا منطقيًا لاستجابة المجتمع** بداية من مجرد أوامر بسيطة تحظر زراعة أو تداول بعض

المواد المخدرة، ثم قوانين أشمل لضبط الاستعمال والاتجار، وصولًا إلى منظومة عقابية متدرجة تصل في أشد صورها إلى **عقوبة الإعدام**، مع إدخال أبعاد علاجية وتأهيلية للمتعاطين.

فقد صدر أول تشريع مكتوب لتجريم المخدرات منذ عام **١٨٠٠ وبدأ بحظر تعاطي الحشيش فقط** ثم امتد التجريم لاحقاً إلى منع زراعة الحشيش أو دخوله إلى القطر المصري، **ثم امتد الحظر عام ١٩١٨ لزراعة الخشاش ومعاقبة المخالفين ومن الجدير بالذكر أن العقوبات كانت تنحصر في تلك الحقبة في عقوبة الغرامة كعقوبة رئيسية**، ثم جاء القانون رقم **٢١ لسنة ١٩٢٨** كأول تشريع مصري شامل لمكافحة المخدرات حظر الجلب والتصدير والاتجار والتعاطي دون ترخيص، وكانت عقوباته تتراوح بين الحبس والغرامة، ثم صدر المرسوم بقانون رقم **٣٥١ لسنة ١٩٥٢**، وهو بداية مرحلة جديدة فقد حوَّل جرائم المخدرات إلى **جنايات** بعد أن كانت جنحًا، ونص على عقوبات تصل إلى الأشغال الشاقة المؤبدة والغرامات الكبيرة، وأخيراً جاء القانون رقم **١٨٢ لسنة ١٩٦٠** (المعمول به حتى الآن) ليضع الإطار التشريعي الأساسي لمكافحة المخدرات وتنظيم استعمالها والحد من الاتجار فيها، ويضع عقوبات على جرائم المخدرات تصل إلى الإعدام.

من كل ما سبق يتضح أن هذا التطور لا يعكس فقط خطورة المخدرات كجريمة، بل يعكس أيضًا إدراك الدولة والمجتمع أنها قضية تمس الأمن القومي، وتستوجب الجمع بين **الردع الجنائي والوقاية والعلاج**.

ثالثاً: التعريف القانوني للمخدرات

- تتعدد التعريفات العلمية للمخدرات والمؤثرات النفسية باختلاف زاوية النظر إليها، فالبعض يربط التعريف بقدرتها على إحداث **الاعتمادية والإدمان**، والبعض الآخر يركز على كونها مواد **مثبطة أو مهبطة أو منشطة للجهاز العصبي**، وهناك من يعرّفها بمدى قدرتها على **إحداث أثر مباشر على الإدراك والسلوك، وصولًا إلى تغييب العقل.**

- لكن من الناحية القانونية فتعريف المواد المخدرة يجب أن يكون **جامعاً مانعاً** بحيث يكون مرجعًا محددًا للتجريم والعقاب، لهذا اتجه المشـرّع المصـري في القانون رقم ١٨٢ لسـنة ١٩٦٠ إلى عدم وضـع تعريف عام، بل اعتمد على **حصر المواد المخدرة في جداول ملحقة بالقانون**، بحيث تصـبح العبرة بوجود المادة في هذه الجداول من عدمه.
- وهذه الجداول ليست ثابتة، بل جعلها القانون **ديناميكية وقابلة للتعديل** (بالحذف أو الإضافة أو تغيير النسب) من خلال قرارات إدارية يصدرها وزير الصحة، بناءً على توصية اللجنة الثلاثية المختصة، وذلك بهدف مواكبة التطور السريع في ظهور مواد ومركّبات جديدة فلو ظهر مخدر جديد في السوق، يُضاف مباشرة إلى الجداول بقرار وزاري دون انتظار قانون جديد.

رابعاً: ملامح المنظومة القانونية المتعلقة بالمخدرات

تقوم المنظومة التشـريعية المتعلقة بالمخدرات على عدة قوانين أسـاسـية متكاملة، من أبرزها القانون رقم ١٨٢ لسنة ١٩٦٠ بشأن مكافحة المخدرات وتنظيم استعمالها والاتجار فيها وتعديلاته المتعاقبة والذي يُعَد الإطار التشـريعي الرئيسـي المنظم في هذا الشـأن، والقانون رقم ٧٣ لسـنة ٢٠٢١ بشـأن شـروط شـغل الوظائف أو الاسـتمرار فيها الخاص بحظر ممارسـة الوظيفة العامة تحت تأثير المخدرات وأخيراً قانون المرور رقم ٦٦ لسنة ١٩٧٣ وتعديلاته، وخاصـة نصـوصـه المتعلقة بتجريم القيادة تحت تأثير المخدرات وتشديد العقوبة في حالة التسبب في الحوادث، وتتمثل أهم ملامح المنظومة القانونية المصرية في التعامل مع مشكلة المخدرات في النقاط التالية:

١. تجريم كافة صور التعامل على المخدرات إلا في الأحوال المصرح بها رسميًا:

الأصـل أن القانون يجرم كل صـور التعامل غير المشـروع مع المخدرات مثل الجلب – التصـدير – الصناعة – الزراعة – تكوين أو إدارة عصابات للاتجار– الحيازة – الإحراز – الشراء – البيع – النقل –

التسليم – التقديم بمقابل أو بغير مقابل – تهيئة مكان للتعاطي بمقابل أو بغير مقابل (وتشكل هذه الأفعال الركن المادي في جرائم المخدرات بصفة عامة).

غير أن المشرّع لم يضع هذا الحظر على إطلاقه، بل استثنى من التجريم بعض الأحوال المشروعة مثل استخدام بعض المواد المخدرة في تصنيع الأدوية والعقاقير الطبية أو الاستخدام الطبي للأدوية المدرجة بجداول المخدرات وذلك كله وفقاً للقواعد القانونية المنظمة لذلك.

٢. تشديد العقاب على جرائم الاتجار وتقديم المخدرات للغير.

تختلف العقوبة المقررة لجرائم المخدرات باختلاف القصد من ارتكاب أي من أفعال الركن المادي السابق الإشارة إليها فقد شدد المشرّع العقاب في حال كان القصد هو الاتجار أو التقديم للغير.

- فجرائم الجلب، أو التصدير، أو الصناعة، أو الزراعة، أو تكوين، أو إدارة عصابات للاتجار عقوبتها: الإعدام + الغرامة.

- وجرائم الحيازة، أو الإحراز، أو الشراء، أو البيع، أو النقل، أو التسليم، أو تقديم المخدرات للتعاطي بقصد الاتجار أو تهيئة أو إدارة مكان لتعاطي المخدرات بمقابل عقوبتها: الإعدام أو السجن المؤبد + الغرامة. وترتفع العقوبة إلى الإعدام فقط في ظروف مشددة مثل (استخدام من لم يبلغ ٢١ سنة أو أحد الفروع أو الأصول أو من يتولى الجاني رعايته أو إذا وقعت الجريمة في دور العبادة، أو المؤسسات التعليمية، أو النوادي، أو أماكن العلاج، أو بجوارها المباشر).

- ومن أوجه التشديد أيضاً تقييد نطاق (المادة ١٧ عقوبات): فلا يجوز للقاضي النزول بالعقوبة إلا درجة واحدة فقط، بخلاف باقي الجرائم درجتين ودون أن يقل الحد الأدنى لا يقل عن ٦ سنوات سجن.

- كما لا تنقضي الدعوى الجنائية ولا تسقط العقوبة بمضي المدة في الجنايات المنصوص عليها في قانون مكافحة المخدرات وتنظيم استعمالها أو الاتجار فيها.

٣. تجريم صور أخرى للتعامل مع المخدرات.

هناك جرائم أخرى مشـــددة في قانون مكافحة المخدرات يجب الإحاطة بها والتنبه من عدم الوقوع في أي صورة من صورها مثل:

- استخدام الغش أو الإكراه لدفع الغير للتعاطي وعقوبتها: الإعدام + الغرامة.
- التوسط في ارتكاب إحدى جنايات المخدرات (الوسيط لا يشارك في الاتجار وإنما يتوسط فيه فقط ويمكن أن يتم ذلك عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي مثلاً) عقوبتها: نفس عقوبة الجناية الأصلية.
- تقديم المخدرات أو تسهيل التعاطي أو إدارة مكان لتعاطي المخدرات بغير مقابل عقوبتها: السجن المؤبد + الغرامة.
- الحيازة أو الإحراز المجرد (دون قصد الاتجار أو التعاطي) عقوبتها: السجن المؤبد + الغرامة.
- التواجد في مكان معد أو مهيأ لتعاطي المخدرات مع العلم بذلك عقوبتها: الحبس مدة لا تقل عن سنة + الغرامة.

٤. التعامل التشريعي المتوازن مع التعاطي أو الإدمان بين (الردع وإتاحة مسارات العلاج).

سبق أن أوضحنا أن المشرّع المصري شدّد العقوبات في حالات الجلب، أو التصدير، أو الاتجار، أو تقديم المخدرات للغير باعتبارها أخطر صـــور التعامل غير المشـــروع، لكن في حالة ما إذا كان قصـــد الحيازة أو الإحراز هو التعاطي أو الاستعمال الشخصي، فقد اتخذ المشرّع نهجًا أكثر توازنًا يجمع بين التجريم والردع كأصـــل عام، وبين إتاحة مســـارات علاجية للمتعاطي باعتباره مريضًـــا يحتاج إلى العلاج والدعم.

- من حيث الأصـــل يعاقب من يثبت حيازته أو إحرازه للمخدرات بقصـــد التعاطي أو الاســـتعمال الشخصـي بعقوبة تصـل إلى السـجن المشـدد وهي عقوبة رادعة ومع ذلك فهي أخف نسـبياً من عقوبات الاتجار أو تقديم المخدر للغير.

- واستثناءً من مبدأ العقاب وإدراكًا من المشرع أن المدمن هو مريض في المقام الأول، فقد وضع مسارات قانونية واضحة تهدف إلى تشجيعه على العلاج ويمثل هذا المسار العلاجي بديلًا كاملًا للمسؤولية الجنائية، فقد ورد النص عليه صراحةً تشجيعًا على التعافي فقد أجازت المادة (٣٧) للمحكمة أن تستبدل عقوبة السجن بإيداع المتهم إحدى المصحات... ليعالج فيها طبيا ونفسيا واجتماعيا، والأهم من ذلك، نصت المادتان (٣٧ مكررًا أ، ب) على عدم إقامة الدعوى الجنائية أصلًا على من يتقدم طواعية للعلاج أو يطلب علاجه أحد أفراد أسرته.
- ومن الجدير بالذكر أن صندوق مكافحة وعلاج الإدمان والتعاطي (الخط الساخن: ١٦٠٢٣)، يوفر العلاج بسرية ومجانًا لمن يرغب طوعاً للعلاج.

٥. حظر ممارسة الوظيفة العامة تحت تأثير المخدرات.

صدر في مصر القانون رقم ٧٣ لسنة ٢٠٢١ في شأن شروط شغل الوظائف أو الاستمرار فيها، والذي يمثل الإطار التشريعي الأساسي الذي يحظر على العاملين في الجهاز الإداري للدولة والجهات العامة ممارسة مهامهم تحت تأثير المخدرات.

يهدف هذا القانون بشكل أساسي إلى حماية أرواح المواطنين المتعاملين مع المرافق العامة (مثل القطارات، الحافلات...) وضمان جودة الخدمات العامة بحيث تقدم هذه الخدمات بكفاءة ونزاهة من قبل موظفين بكامل يقظتهم العقلية والجسدية.

ويطبق القانون على نطاق واسع يشمل العاملين في معظم قطاعات الدولة والجهات الخدمية وأبرزهم:

- كافة وحدات الجهاز الإداري للدولة: الوزارات، المصالح الحكومية، وحدات الإدارة المحلية.
- الهيئات العامة: سواء كانت خدمية أو اقتصادية.
- الشركات القابضة والشركات التابعة لها.
- شركات القطاع العام وشركات قطاع الأعمال العام.

- المرافق العامة الحيوية: مثل قطاعات الكهرباء، البترول، النقل (السكك الحديدية، مترو الأنفاق)، المطارات والموانئ، والمياه والصرف الصحي.
- العاملون في قطاعات التعليم والصحة.

ويرتب القانون جزاءً رادعًا على من يثبت تعاطيه للمواد المخدرة من المخاطبين بأحكامه بحيث يتم إنهاء خدمتهم بقوة القانون وذلك بموجب حملات مفاجئة للكشف تتم من خلال صندوق مكافحة وعلاج الإدمان والتعاطي بالتعاون مع وزارة الصحة والسكان ومصلحة الطب الشرعي.

ويمتد نفس الجزاء على من يمتنع عن إجراء الكشف أو يتهرب منه دون مسوغ قانوني.

ويوجب القانون أيضًا إجراء تحاليل دورية على المخاطبين بأحكامه قبل التعيين، أو التعاقد، أو الترقي، أو الندب، أو الإعارة ..... وفي حال ثبوت التعاطي يكون الجزاء أيضًا هو إنهاء الخدمة أو منع التعيين أو التعاقد حسب الأحوال.

٦. حظر القيادة تحت تأثير المخدرات:

تعتبر جريمة القيادة تحت تأثير المخدرات أحد صور التجريم التي وضعها المشرع لحماية الغير من الحوادث المرورية التي يرتكبها من كان واقعًا تحت تأثير المخدرات أثناء القيادة.

فقد حظر قانون المرور المصري قيادة أي مركبة إذا كان السائق واقعًا تحت تأثير مخدر، ويخوّل لمأموري الضبط فحص حالة السائق بالوسائل الفنية أو إحالته للجهة الطبية المختصة عند الاشتباه.

ووفقًا لقانون المرور رقم ٦٦ لسنة ١٩٧٣ وتعديلاته تصل العقوبات في حال ثبوت التعاطي إلى الحبس والغرامة وإذا نتج عن القيادة تحت تأثير المخدرات حادث أو ترتب عليه وفيات تصل العقوبة إلى السجن المشدد.

وختاماً فان سلوك طريق المخدرات لا يحمل في طياته فقط تداعيات صحية واجتماعية واقتصادية خطيرة فقط، بل يوقع الشخص في دائرة المساءلة القانونية ويترتب عليه تداعيات يمكن أن تصل به إلى السجن أو الإعدام وفقدان مصدر الرزق.

المصادر

www.unodc.com

www.who.com

www.drugcontrol.org.eg